﴿ الجزء الثالث ﴾

من

الجواب الصحيح

لمن بدل دين المسيح

تصنيف شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية

طبع بمعرفة حضرتي الشيخ فرج الله زكي الكردي
والشيخ مصطفى القباني الدمشقي

سنة ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٥ م

مطبعة النيل بمصر

كان اهله لم يتفقوا على شيء فيه ودل اختلافهم في مقالاتهم ومابينها مما في كتبهم على باطله ٠ فاما قولنا في باب التوحيد واعترافنا بواحدانية الله تعالى ونفينا عنه الشركاء والانداد والامثال والاولاد فهو قول لا يشكون في صحته ولا يشك فيه أحد من اهل الكتب وسائر الملل ولا غيرهم من أهل القول بالدهر وسائر عبدة الاصنام والاوثان وكل منهم يقر به ويرجع اليه إلا ان منهم من يتابعنا على تحديد التوحيد ٠ ومنهم من يدخل العلل فيه بان يقول ثلاثة ترجع الى واحد وصنماً نعبده اجلالاً لله ليقربنا الى ربنا وربه ومدبر الامور قديم لابد ان نعترف به خالقها وباريها وكل منهم مقر بقولنا وذاهب الى مذهبنا على الاعتراف بالله على الجهة التي يذهب اليها وانه واحد لاشريك له فقد صح عقدنا بلا شك منكم ولا من أحد من الامم فيه ولا في شيء منه بل تقودكم الضرورة الى الاقرار به والاجتماع معنا عليه والحمد لله رب العالمين على توفيقه واياه نسأل ان يتم علينا تسديده بقدرته وان يحيينا ويميتنا على الاسلام غير مشركين ولا جاحدين ولا مبدلين انه على كل شيء قدير وكل مستصعب عليه يسير وهو بمن خافه واتقاه وطلب ما عنده ولم يلحد في دينه رؤف رحيم قلت هذا آخر ما كتبته من كلام الحسن بن أيوب وهو ممن كان من اجلاء علماء النصارى وأخبر الناس باقوالهم فنقله لقولهم أصح من نقل غيره وقد ذكر في كتابه من الرد على مايحتجون به من الحجج العقلية والسمعية وما يبطل قولهم من الحجج السمعية والعقلية مايبين ذلك . ونحن نذكر مع ذلك كلام من نقل مذاهبهم من أئمتهم المنتصرين لدين النصرانية ونذكر ما ذكروه

قال الحسن بن أيوب وقد بينا الحجج في بطلان كل قول لكم
مما عقدتم به شريعة ايمانكم ووجدنا قوما منكم اذا نوظروا في
ذلك قالوا قد وجدنا أكثر الاديان يختلف أهلها فيها ويتفرقون
على مقالات شتى هم عليها وكل منهم يدعي ان الصواب في يده وهذا
أيضاً من سوء الاختيار وذهاب القلوب عن رشدها وانصرامها
عن سبيل حقها فلم يختلف أهل دين من الأديان في عقد معبودهم
ولا شكوا فيه ولا تفرقوا القول فيما اختاروه الا أهل ملل النصرانية
فقط وسائر من سواهم انما اختلفوا في فروع من فروع الدين
وشرائعه مثل اختلاف اليهود في أعيادهم وسنن لهم ومثل اختلاف
المسلمين في القدر فمنهم من قال به ومنهم من دفعه وفي تفضيل قوم
من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم على نظرائهم بعد اتفاق جماعتهم
على الههم ومعبودهم وخالقهم وان الله اله الخلق كلهم واحد لاشريك له
ولا ولد ثم اتفاقهم بعد ذلك على نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم لايشكون
فيه وعلى القرآن وانه كتاب الله المنزل على محمد المرسل لايختلفون فيه
فاذا صح اتفاقهم على هذه الاصول كان ما سواها جللا لايقع معه كفر ولا
يبطل به دين والبلاء العظيم الاختلاف في المعبود فلو ان قوما لم يعرفوا
لهم الهاً ولا ديناً ثم عرض عليهم دين النصرانية وجب ان يتوقفوا عنه اذ

ان في عصره بنيت مدينــة طبّرية مشتقة من اسمه قال وملك بعــده قيصر آخر اربع سنين وثلاثة أشهر قتــل بلاطس وولي شخصاً كان شديداً على تلاميذ المسيح وقتل رئيس الشهداء والشمامسة فرجم بالحجارة حتى مات وذكر انه لقى التلاميذ من اليهود ومن الروم شدة شديدة وقتل منهم خلق كثير وانه مات هذا وولى بعده قيصر آخر وفي زمنه وقع جوع ووباء وفي زمنه كتب متى وبين انجيله بالعــبرانية في بيت المقدس وفسره من العبرانية الى الرومية يوحنا صاحب الانجيل قال وفي تسع سنين من ملكه كان مرقس صاحب الانجيل بمدينة الاسكندرية يدعو الناس الى الايمــان بالمسيح وانه اول شخص جعل بطريركا على الاسكندرية وانه صير معه اثنى عشر قسيساً وأمرهم اذا مات البطريرك ان يختاروا واحداً من الاثنى عشر قسيساً ويضع الاثنى عشر أيديهم على رأسه ويبركونه ويصلحونه بطريركا ثم يختارون رجلا فاضلا قسيسا ويصيرونه معهم بدل القسيس الذى اصلحوه بتركا ليكونوا اثنى عشر ابداً فلم يزل رسمهم بالاسكندرية على هذا الى زمن الثلاثماية وثمانية عشر فامرهم بطريرك الاسكندرية الذي كان من جملة الثلاثماية وثمانية عشر ان لا يفعل هذا فيما بعد ومنع ان يصلح الاقساء البترك بل يختاروا من اى بلد كان رجلا فاضلا واذا مات البترك اجتمع الاساقفة فاصلحوا البترك من اى بلد كان من اولئك الاقسة أو من غيرهم فانقطع الرسم الاول من اصلاح الاقساء البترك وجعل التيسير لهم في اصلاح البترك بابا ثم سمي بترك الاسكندرية بابا ومعناه الجــد ومن حنانيا الذى أصلحه مرقس البشير الى حادي عشر بطركا بالاسكندرية لم يكن في

من حججهم مثل ابن البطريق بترك الاسكندرية فانه صنف كتابه الذي سماه نظم الجوهر وذكر فيه أخبار النصارى ومجامعهم واختلافهم وسبب احداثهم ما أحدثوه مع انتصاره لقول الملكية والرد على من خالفهم . قال سعيد بن البطريق بطريرك الاسكندرية في تاريخه المعروف عند النصارى الذي سماه نظم الجوهر وذكر فيه مبدأ الخلق وتواريخ الانبياء والملوك والامم وأخبار ملوك الروم وأصحاب الكراسي برومية وقسطنطينية وغيرها ووصف دين النصرانية وفرق أهلها وهو ملكي رد على سائر طوائف النصارى لما ذكر مولد المسيح صلوات الله عليه وانه ولد في عهد ملك الروم قيصر المسمى اغسطس لاثنتين واربعين سنة من ملكه قال وملك ستا وخمسين سنة قال وملك بعده ابنه طيباريوس قيصر برومية وللمسيح خمسة عشرة سنة وكان لقيصر هذا صديق يقال له بلاطس من قرية على شط البحر الذي تحت قسطنطينية ويسمى ذلك البحر السطس ولذلك يسمى بلاطس النبطي فولاه على أرض يهوذا قال وفي خمس عشرة سنة من ملك طيباريوس قيصر هذا طهر يحي بن زكريا المعمداني فعمد اليهود في الاردن لغفران الخطايا فجاء المسيح الى يحي بن زكريا فعمده يحي في الاردن ولسيدنا المسيح ثلاثون سنة وذكر قصة قتل يحي وقصة الصلب المعروفة عند النصارى الى ان قال وكتب بلاطس الى طيباريوس الملك يخبر سيدنا المسيح وما تفعل تلاميذه من العجائب الكثيرة من ابراء المرضى واحياء الموتى فاراد ان يؤمن بسيدنا المسيح ويظهر دين النصرانية فلم يتابعه اصحابه على ذلك وملك اثنتين وعشرين سنة وستة أشهر وذكر

من ذكر وانثى حتى كانوا يشقون بطون الحبالى ويضربون باطفالهم الصخور وخرب المدينة والهيكل واضرم بهما النار واحصى القتلى على يده فكانوا ثلاثة آلاف الف وذكر عدة قياصرة بعد ذلك وانه ولي واحد منهم خمس عشرة سنة يقال له ذوما طيانوس وكان شديداً جداً على اليهود وانه بلغه ان النصارى يقولون ان المسيح ملكهم وان ملكه الى الدهر فغضب غضباً شديداً وأمر بقتل النصارى وان لا يكون في ملكه نصراني وكان يوحنا صاحب الانجيل هناك فسمع بهذا فخاف وهرب الى افسس ثم انه أمر باكرامهم وترك الاعتراض عليهم ثم تولى بعده قيصر آخر سنة وبعض اخرى ثم ملك آخر بعض تسع عشرة سنة يسمى طرايانوس قال وهذا الملك أثار على النصارى بلاء عظيما وحزنا طويلا وقتل شهداء كثيرة وقتل بطريك انطاكية برومية وقتل أسقف بيت المقدس وصلبه وله مائة وعشرون سنة وأمر ان يستعبد النصارى اذ ليس لهم دين ولا شريعة فلشدة ما استعبد النصارى وغاظ ما نالهم من القتل رحمتهم الروم وشهد وزراء الملك عنده ان النصارى لهم شريعة ودين وانه لا يحل ان يستعبدوا فكف عنهم الاذية قال وفي عصره كتب يوحنا انجيله بالرومية في جزيرة يقال لها بتمرا من أرض الروم من أرض اثينة في عصر رجل من عظماء الروم فيلسوف يقال له مومودس قال وفي ذلك العصر رجع اليهود الى بيت المقدس فلما كثروا وامتلأت منهم المدينة عزموا ان ملكوا منهم ملكا فبلغ الخبر طيباريوس قيصر فوجه بقائد من قواده بجيش عظيم الى بيت المقدس فقتل من اليهود مالا يحصى كثرة قال وخرج على قيصر هذا خارجي مقاتل ببابل فخرج اليه بنفسه

عمل مصر أسقف ولم يكن البطاركة قبله اصلحوا أسقفا وان العامة لما سمعت الاساقفة يسمون البطريرك ابا قالوا اذا كنا نحن نسمى الاسقف ابا والاسقف يسمي البطريرك ابا فيجب علينا ان نسمى البطريرك بابا أي الجد اذ كان ابا لابينا فسمي بطريرك الاسكندرية من وقت هرقل بابا أى الجد قال وخرج مرقس الى برقة يدعو الناس الى الايمان بالسيد المسيح ومات فلوريوس قيصر وملك بعده ابنه بارون ثلاثة عشرة سنة قال وهو اول من هاج على النصارى الشر والبلاء والعذاب قال وفي عصره كتب بطرس رئيس الحواريين الانجيل انجيل مرقس عن مرقس بمدينة رومية ونسبه الى مرقس قال وفى عصر هذا الملك كتب لوقا انجيله بالرومية الى رجل شريف من عظماء الروم يقال له ثوفيلا فكتب له أيضاً الابركسس الذي فيه أخبار التلاميذ وقد كان لوقا البشير صاحب بولس الرسول يقول في بعض رسائله ان لوقا الطبيب يقول عليكم السلام وقال واخذ نارون قيصر لبطرس فصلبه منكساً ثم قتله لان بطرس قال له ان أردت ان تصلبنى فاصلبنى منكساً لئلا اكون مثل سيدى المسيح فانه صلب قائما وضرب عنق بولس الرسول بالسيف واقام بطرس بعد صعود المسيح اثنين وعشرين سنة قال وكان مرقس صاحب الانجيل بالاسكندرية وبرقة يدعو الناس الى الايمان فاقام سبع سنين وفى اول سنة من ملك بارون قيصر قتل مرقس بالاسكندرية وأحرق جسده بالنار وذكر بعده عدة قياصرة وذكر ان طيطس خرب البيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد ان حاصرها وأصاب أهلها جوع عظيم وقتل كل من كان فيها

فنموهم من ذلك وبنى اليونانيون على تلك المزبلة هيكلا على اسم الزهرة فلم يقدر أحد من النصارى بعد ذلك ان يقرب ذلك الموضع قال ثم مات ايليا الملك وملك بعده انطونينوس قيصر برومية اثنى وعشرين سنة قال وفى إحدى عشرة سنة من ملكه صير يهودا اسقفا على بيت المقدس أقام سنتين ومات قال فمن يعقوب أسقف بيت المقدس الاول الى يهودا أسقف بيت المقدس هذا كانت الاساقفة الذين صيروا على بيت المقدس مختونين وذكر انه ولى بعد هذا قيصر آخر اسمه مرقس تسع عشرة سنه وانه اثار على النصارى بلاء عظيما وحزناشديداً واستشهد في زمانه شهداء كثيرون قال وكان فى أيامه جوع شديد ووباء عظيم لم تمطر السماء سنين وكاد الملك وجميع اهل مملكته ان يهلكوا من الجوع فسألوا النصارى ان يبتهلوا إلى الههم فدعوا فامطر الله عليهم مطراً عظيما وارتفع الوباء والقحط قال وكان بأيامه بأرض اليونانين مفنوس الحكيم قال وفي خمس سنين من ملكه صير طوليانوس بطريركا وهو أول بطريرك اصلح الاساقفة في عمل مصر أقام ثلاثاً وأربعين سنة ومات

(فصل) قال وفي ذلك العصر كتب بطريرك الاسكندرية الى أسقف بيت المقدس وبطرك أنطاكية وبطرك رومية فى حساب فصح النصارى وصومهم وكيف يستخرج من فصح اليهود فوضعوا في ذلك كتباً كثيرة على ماهو عليه اليوم قال وذلك ان النصارى كانوا بعد صعود سيدنا المسيح الى السماء إذا عيدوا عيد الغطاس من الغد يصومون أربعين يوما ويفطرون كما فعل سيدنا يسوع المسيح لان

فوقعت بينهم حرب شديدة وقتل من الفريقين خلق عظيم وقتل قيصر في الحرب وملك بعده أندريانوس قيصر عشرين سنة فخرج الى ذلك الخارجي سائل فهزمه وصار الى مصر فلقي منـه أهل مصر شـدة شديدة وأخذ الناس بعبادة الاصنام وقتل من النصارى خلقاً كثيراً وأصاب ايليا ابـه علة في بدنه فكان ينفذ الى البلدان يطلب شفاء لعلته فوصـفوا له بيت المقـدس فلما وافاه رآها خراباً ليس فيها أحد الا كنيسة للنصارى فامر ان تبنى المدينة وتحصن بحصن قوي فلما سمع اليهود اقبلوا من كل بلد وكل مدينة فما كان الازمان قليـل حتى امتلأت منهم المدينة فلما كثروا ماكوا عليهم ماكا فاتصل الخبر بايليا بن قيصر اندريانوس فوجه اليهم بقائد من قواده مع خلق كثير فحاصر المدينة فمات كل من فيها من الجوع والعطش ثم فتحها فقتل من اليهود مالا يحصى وهدم الحصن وخرب المدينة حتى صيرها صحراء قال وهذا آخر خراب بيت المقدس وهرب من اليهود من هرب الى مصر والى الشام والى الجبال والى الغور وأمر الملك ان لا يسكن المدينة يهودي وان يقتل اليهود ويستأصلوا وان يسكن المدينة اليونانيون وبنوا على باب الهيكل برجا وجعل فوقه الواح ويكتبوا عليهـا اسم ايليا الملك وذلك من ثمان سنين من ملكه قال والبرج اليوم على باب مدينة بيت المقدس وسمي محراب داود قال فسمي بيت المقدس الى هـذا الوقت ايليا فمن الخراب الاول الذي أخربه طيطس الى هذا الخراب ثلاث وخمسون سنة وامتلأت بيت المقدس من اليونانيين فنظروا الى النصارى يأتون الى تلك المزبلة التي فيهـا القـبر والافرابيون فيصـلون

فانه لم يذكر من المسيح الى هنا مايتي سنة بل ذكر الى الخراب مائة وثلاثة وعشرين سنة وقد تقدم ذكره لديمقراطيس قبل هذا* قال وفي عشر سنين من ملكه ظهرت الفرس فغلبت على بابل وامدوا فارس وتملك ازدشير بن ساسان بابل من اهل اصطخر وهو اول ملك ملك على فارس في المرة الثانية قال ومات قمودوس قيصر ملك الروم وملك بعده قيصر آخر ثلاثة اشهر آخر وملك بعده برومية سويرس قيصر سبع عشرة سنة وذلك في اربع سنين من ملك ازدشير وكان هذا الملك شديداً قد اثار على النصارى بلاء عظيما وعذاباً كبيراً وقتل كل عالم منهم وقتل خلقاً كثيراً واستشهد في أيامه خلق كثير من النصارى في كل موضع ثم قتل كل من كان بمصر والاسكندرية من النصارى وهدم الكنائس وبنى بالاسكندرية هيكلا وسماه هيكل الآلهة وملك بعده قيصر وهو انطونيوس الاصلع ست سنين وملك بعده قيصر آخر ثلاث عشرة سنة كانت النصارى في أيامه في هدو وسلامة وكانت أمه تحب النصارى وفي أيامه سمى بطرك الاسكندرية بابا اي الجد وملك بعده قيصر آخر ثلاث سنين وهذا اثار على النصارى بلاء طويلا وحزناً عظيما وقتل منهم خلقاً كثيراً وأخذ الناس بعبادة الاصنام وقتل من الاساقفة خلقاً كثيراً وقتل بترك انطاكية فلما سمع إسقف بيت المقدس بقتله هرب وترك الكرسي قال ومات قيصر هذا في السنة الثانية من ملك بهرام بن هرمز وملك بعده قيصر آخر ثلاثة أشهر ثم بعده آخر اربع سنين واسمه عزدمانوس وفي ثلاث سنين من ملكه ملك بهرام بن هرمز وملك بعده بهرام بن بهرام على الفرس تسع عشرة سنة

سيدنا المسيح لما اعتمد بالاردن خرج الى البرية فاقام بها صائماً أربعين
يوما وكان النصارى اذا أفصح اليهود عيدواهم الفصح فوضع هؤلاء
البطاركة حساباً للفصح ليصوم النصارى أربعين يوما ويكون فطرهم
يوم الفصح ليتم فرحهم بذلك * قلت فقد أخبر عن المسيح انه لما صام
أربعين يوما عقب المعمودية وكان يعيد مع اليهود فى عيدهم لا يعيد
عقب صومه شاركه النصارى فى ذلك مدة فصاروا يصومون أربعين
عقب الغطاس الذي هو نظير المعمودية ويعيدون مع اليهود العيد ثم انهم
بعد هذا ابتدعوا تغيير الصوم فلم يصوموا عقب الغطاس بل نقلوا الصوم
الى وقت يكون عيدهم مع عيد اليهود فيكون عيدهم مع عيد اليهود
وهو فصح المسيح ويكون ذلك وقت قيامته من قبره قال ومات مرقس
الملك وملك بعده قمودوس قيصر رومية اثنى عشر سنة وفى أيامه كان
فى أرض اليونانيين فى مدينة افرغامس جالينوس الحكيم صاحب
صناعة الطب وذكر جالينوس في فهرست كتبه انه ربي قمودوس
الملك وذكر جالينوس في المقالة الأولى من الكتاب المعروف
بكتاب اخلاق النفس انه كان في عصر قمودوس الملك رجل
يقال له بولس طلبه قمودوس الملك ليقتله فهرب منه وكان له غلامان
فقبضهما الملك فضربهما الملك وطلب منهما ان يدلاه على مولاهما فلم
يفعلا لكرم انفسهما ونخوتهما وشدة محاماتهما على مولاهما فقتلهما وان
من الاسكندر الى بولس خمسماية سنة وست عشرة سنة وذلك فى السنة
التاسعة من ملك قمودوس قيصر فهذا ما ذكر جالينوس قال وكان ايضاً
في ايامه ديمقراطيس الحكيم * قلت هذه المدة اكثر مما ذكره سعيد هذا

الله عليهم النعاس فناموا كالاموات واخذ قائد من قواده صفيحة من نحاس وكتب فيها خبرهم وقصتهم مع دقيانوس الملك وصير الصفيحة في صندوق نحاس ودفنه داخل الكهف وبنى الكهف ومات الملك دقيانوس قيصر وملك بعده قيصران بروميـة سنتين ثم قيصر آخر اسمه غنيونوس خمس عشر سنة وملك بعده قيصر آخر سنة واحدة وذلك من ثلاث سنين من ملك هرمز وفى أول سنة من ملك هـذا صير بولس بطركا على انطاكية ويسمى بولوس الشمشاطي قال وهو الذي ابتـدع دين البوليانية فسمي التابعون لدينـه والقائلون بمقالته بوليانيين قال وكانت مقالته ان سيدنا المسيح خلق من اللاهوت انساناً كواحد منا فى جوهره فان ابتداء الابن من مريم وانه اصطفى ليكون مخاصاً للجوهر الانسي صحبته النعمة الالهية فحلت فيه بالمحبـة والمشيئة ولذلك سمى ابن الله وقال ان الله جوهر واحـد واقنوم واحد ولا نؤمن بالكلمة ولا بروح القـدس قال وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر اسقفاً في مدينة انطاكية ونظروا في مقالة بولس فاوجبوا على هـذا الشمشاطي اللعن فلعنوه ولعنوا من يقول بمقالتـه وانصرفوا قال وبعده ملك قيصر آخر ست سنين اسمه اوراغوس قيصر قال وكان النصارى بالاسكندرية فى أيامه يصـلون فى المطامير والبيوت فزعا من الروم ولم يكن يظهر بترك بالاسكندرية لئلا يقتلوهم فلما صار ناورن بطركا ظهر ولم يزل يداري الروم حتى بنى بالاسكندرية كنيسة حنا وما رمريم وملك بعده قيصران ثم قيصر اسمه فاروس وذلك في تسع سنين من ملك سابور بن هرمز وكان شديداً على النصارى قتل الاخوين قرمان

وفي ايامه ظهر رجل فارسي يقال له ماني فاظهر دين المانية وزعم انه نبي فاخذه بهرام بن بهرام ملك الفرس فشقه نصفين واخذ من اصحابه ومن يقول بقوله مايتي رجل فغرس رؤسهم في الطين منكسين حتى ماتوا منكسين وملك بعد قيصر هذا فيلبس قيصر على الروم رومية سبع سنين وآمن بالسيد المسيح ووثب عليه قائد من قواده فقتله ثم ملك بعده قيصر آخر اسمه ذاقيوس وهو دقيانوس وذلك من عشر سنين من ملك بهرام بن بهرام فلقي النصارى منه حزناً طويلا وعذاباً شديداً وقتل منهم من لايحصي واستشهد في أيامه من الشهداء خلق كثير وقتل بطرك رومية ثم خرج الى مدينة افسس فبنى في وسطها هيكلا عظيما وصير فيه الاصنام وامر ان يسجد للاصنام ويذبح لها ومن لم يفعل ذلك قتل فقتل من النصارى بافسس خلقاً عظيما وصلبهم على الحصن واتخذ من أولاد عظماء افسس سبعة غلمان من خواصه وعلى كسوته وقدمهم على جميع من عنده وذكر اسماءهم اسماء اصحاب الكهف قال وهؤلاء السبعة الغلمان لم يسجدوا للاصنام فاعلموا الملك بخبرهم فامر بحبسهم ثم خرج الى بعض المواضع واطلق سبيلهم الى حين رجوعه فلما خرج من المدينة أخذ الغلمان كل مالهم فتصدقوا به ثم خرجوا الى جبل عظيم يقال له جاوس شرقي افسس فيه كهف كبير فاختفوا في الكهف فكان واحد منهم في كل يوم يتنكر ويدخل المدينة فيسمع مايقول الناس في شأنهم ويشتري لهم طعاماً ويرجع فيعلمهم بقدوم دقيانوس الملك فسأل عنهم فقيل له انهم في جبل جاوس في الكهف مختفين فامر الملك ان يبنى باب الكهف عليهم ليموتوا وصب

فاقام ستة أشهر ومات وكان اريوس قد استعان على اشلا باصدقائه فاورى انه قد رجع عن تلك المقالة فقبله اشلا وادخله الكنيسة وجعله قسيساً قال واما دقيطيانوس الملك فكان يطلب النصارى فيقتلهم فبينما هو يسير فى طلبهم اذ بلغ الى موضع يقال له ملطيه فصب الله عليه نقمته فوقع فى عال عظيمة وامراض عظيمة حتى ذاب جسمه وكان الدود يتساقط من بدنه الى الارض وسقط لسانه من حنكه ومات وملك بعده قيصران أحدهما المشرق والشام وأرض الروم والآخر رومية ونحوها وكان احدهما اسمه علانيوس والآخر مقصطيوس فكانا كالسباع الضارية على النصارى واثاروا عليهم البلاء والجلاء ومالا يصفه واصف وفعلا بهم مالم يفعله احد من الملوك قبلهم وملك معهما على برنطية وما والاها قسطس أبو قسطنطين وكان رجلاً ديناً مبغضاً للاصنام محباً للنصارى فخرج قسطس الى ناحية الجزيرة والرها فنزل فى قرية من قرى الرها يقال لها كفرجاث فنظر فيها امرأة حسنة جميلة يقال لها هيلانة وكانت قد تنصرت على يدى اسقف الرها وتعلمت قراءة الكتب فخطبها قسطس من أبيها فزوجه أياها فحبلت منه ورجع قسطس الى برنطية وولدت هيلانة قسطنطين فتربى بالرها وتعلم حكم اليونانيين وكان غلاماً حسن الوجه قليل الشعر وديعاً محباً للحكمة. وأما علانيوس فكان رجلاً وحشياً شديد البأس مبغضاً للنصارى جداً كثير القتل لهم محباً للنساء ولم يترك للنصارى بنتاً بكراً إلا أخذها وأفسدها وقتلها وكذلك أصحابه هكذا كانوا يفعلون بالنصارى وكان النصارى فى شدة شديدة جداً معهم وبلغه خبر

ودميان الشهدين وملك بعده دقيطيانوس قال فمن خراب طيطس لبيت المقدس الى ملك دقيطيانوس مايتان وست سنين ومن مولد سيدنا المسيح الى دقيطيانوس مأيتان وست وسبعون سنة ومن الاسكندر الى دقيطيانوس خمساية وخمس وتسعون سنة ومن سبى بابل الى دقيطيانوس الف وثلاثماية وخمس وثلاثون سنة ومن داود الى دقيطيانوس الف وتسعماية واحدى واربعون سنة قال وملك دقيطيانوس فى احدى عشرة سنة من ملك سابور بن هرمز ملك الفرس وملك معه اثنان تملكا على الروم احدى وعشرين سنة وهؤلاء اثاروا على النصاري بلاء عظيما وحزناً طويلا وعذابا اليما وشدة شديدة تجل عن الوصف من القتل والعذاب واستباحة الاموال واستشهدوا ألوفا من الشهداء وعذبوا ماري جرجس اصناف العذاب وقتلوه بفلسطين وقتلوا ماري مينا وماري بقطر وايناخوس ومركورس وغيرهما قال وفي عشر سنين من ملكهما صير بطرس بطركا على الاسكندرية فاقام عشر سنين وقتل وفي عشرين سنة من ملكهما ضرب عنق بطرس هذا البطرك بالاسكندرية قال وكان لبطرس تلميذان اسم احدهما اشلا والآخر الاكصندروس وكان بالاسكندرية رجل يقال له اريوس يقول ان الاب وحده الله الفرد والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب اذ لم يكن الابن فقال بطرس البطرك لتلميذيه ان المسيح لعن اريوس فاحذرا ان تقبلا قوله فاني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب فقلت له ياسيدي من شق ثوبك فقال لي أريوس فاحذروا ان تقبلوه ويدخل معكم الكنيسة كنيسة الله قال وبعد قتل بطرس بخمس سنين صير اشلا بطركا على الاسكندرية

فلما قرأ كتبهم اغتم غماً شديداً وبقي متحيرا لايدري كيف يصنع فبينما هو متفكر إذ ظهر له من نصف النهار في السماء صليب من كواكب تضيء مكتوباً حوله (بهذا تغلب) فقال لاصحابه رأيتم ما رأيت؟ قالوا نعم فآمن من ذلك الوقت بالنصرانية وذلك لست سنين من بعد موت أبيه فتجهز قسطنطين واستعد لمحاربة مقسطيوس ملك رومية وعمل صليباً كبيراً من ذهب وصيره على رأس البند وخرج يريد مقسطيوس فلما سمع مقسطيوس ان قسطنطين قد وافاه لمحاربته استعد لحربه وعقد جسراً على النهر الذي قدام رومية وخرج مع جميع أصحابه يحارب قسطنطين فاعطى قسطنطين النصرة عليه فقتل من أصحاب مقسطيوس مقتلة عظيمة وهرب مقسطيوس وغرق هو وأصحابه حتى امتلأ البحر وهو النهر الذي عند رومية غرقى وقتلى وخرج اهل رومية الى قسطنطين بالاكاليل الذهب وكل أنواع اللهو واللعب فلقوا قسطنطين وفرحوا به فرحاً عظيماً فلما دخل المدينة أمر ان تدفن أجساد النصارى الشهداء المصاليب وكل من كان من النصارى هرب أو نفاه مقسطيوس يرجع الى بلده وموضعه ومن أخذ له شيء ردّ اليه وأقام أهل رومية سبعة أيام يعيدون للملك وللصليب ويفرحون . فلما سمع الخبر علانيوس جمع ماقدر عليه وتجهز لقتال قسطنطين فلما عاينه انهزموا من بين يديه وأخذهم السيف وقتل منهم مقتلة عظيمة ومنهم من اسر ومنهم من استأمن وافات علانيوس عريانا فلم يزل يتقرى موضعاً موضعاً حتى وافى مدينته فجمع الكهنة والسحرة والعرافين الذين كان يحبهم ويقبل منهم فضرب اعناقهم لئلا يقعوا في يد قسطنطين

قسطنطين وانه غلام هاد قليل الشر كثير العلم والخير وأخبره الحكماء الذين له والمنجمون ان قسطنطين سيملك ملكا عظيما فهم بقتله وعلم قسطنطين بذلك فهرب من الرها وذهب الى مدينة برنطية ووصل الى أبيه قسطس فسلم اليه الملك وبعد قليل مات قسطس وصب الله على علانيوس الملك عللا عظيمة حتى تقطع لحمه وتهرأ وبقى مطروحاً لا يقدر أحد أن يقترب منه فعجب الناس مما ناله ورحمه أعداؤه مما حل به فرجع الى نفسه وقال لعل هذا الذي بي مما اقتل النصارى فكتب الى جميع عماله ان يطلقوا النصارى من الحبوس وان يكرموهم ولا يؤذوهم ويسئلوهم ان يدعوا له في صلاتهم فصلى النصارى على الملك ودعوا له فوهب الله له العافية ورجع الى أفضل مما كان عليه من الصحة والقوة فلما صح وقوي رجع الى شر مما كان عليه من الردي وكتب الى جميع عماله ان يقتلوا النصارى ولا يعيش فى مملكته نصراني ولا يسكنوا مدينة ولا قرية له فمن كثرة القتلى كانوا يحملون على العجل ويرمون بهم في البحار والصحارى وقتل مارجرجس وأخاه بمدينة قباذوقيه وهما من أهلها وقتل بربارة وذكر حربا جرت بينه وبين سابور لما تنكر سابور وجاء اليه متنكراً وعرفه قال واما مقسطيوس فكان شريراً على أهل رومية واستعبد كل من كان برومية وخاصة النصارى فكان ينهب أموالهم ويقتل رجالهم ونساءهم وصبيانهم فلما سمع أهل رومية بملك قسطنطين وانه مبغض للشر محب للخير وان أهل مملكته معه فى هدو وسلامة كتب رؤساء رومية الى قسطنطين يسئلونه ويطلبون اليه ان يخلصهم من عبودية مقسطيوس عدو الله

لكم من هذا الصنم فاجابوه الي ذلك فكسر الصنم وأصلح منه صليباً وسمى الهيكل كنيسة ميكائيل وهى الكنيسة التى تسمى قيسارية احترقت بالنار وقت موافاة الجيوش من المغاربة القرامطة مع المسمى أبو عبيد الله وكان معه أمير من أصحابه يسمى حباسة وذلك في خلافة المعتضد بالله وكان عامله على مصر يومئذ مولاه المعروف بتكين الحاجب رجل تركى فنفر الى المغاربة وجاءه مدد من الشرق مع الخادم الملقب بمونس الأستاذ فهرب منه أبو عبيد الله وحباسة وجنودهما وصير العيد لميكائيل الملك والذبائح والي اليوم القبط بمصر والاسكندرية يعيدون في هذا اليوم عيد ميكائيل الملاك ويذبحون فيه الذبائح الكثيرة وكذلك الملكية يعيدون في هذا اليوم عيد ميكائيل الملاك وصار رسما الى اليوم • قال فلما منع بترك الاسكندرية أريوس من دخول الكنيسة ولعنه خرج أريوس مستعديا عليه ومعه أسقفان فاستغاثوا الى قسطنطين الملك وقال اريوس انه تعدى علي وأخرجني من الكنيسة ظلماً وسأل الملك ان يشخص الاكصندروس بطرك الاسكندرية ليناظره قدام الملك فوجه قسطنطين برسول الى الاسكندرية فاشخص البطرك وجمع بينه وبين أريوس ليناظره فقال قسطنطين لاريوس أشرح مقالتك قال أريوس أقول ان الاب كان اذ لم يكن الابن ثم الله أحدث الابن فكان كلمة له الا أنه محدث مخلوق ثم فوض الامر الى ذلك الابن المسمى كلمة فكان هو خالق السموات والارض وما بينهما كما قال في انجيله اذ يقول وهب لى سلطانا على السماء والارض فكان هو الخالق لهما بما أعطي من ذلك ثم ان الكلمة تجسدت من مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحاً واحداً فالمسيح

وصير الله على علائيوس ناراً في جوفه حتى كانت أحشاؤه تتقطع من الحر الذي كان يجده في جوفه وسقط على الارض وتهرا لحمه على عظمه ومات وملك قسطنطين الدنيا في هدو وسلامة وذلك في احدى واربعين سنة من ملك سابور بن هرمز ملك الفرس قال وتنصر قسطنطين في مدينة يقال لها نيقوميذيا وذلك في اثنى عشرة سنة من ملكه وأمر ببنيان الكنائس في كل بلدوان يخرج من بيت المال الخراج مما يعمل به ابنية الكنائس قال وفي خمس سنين من ملكه صير الاكصندروس بطريركاً على الاسكندرية وهو تلميذ بطركها بطرس الذى قتل وهو رفيق اشلا فاقام ست عشرة سنة وفي خمس عشرة سنة من رياسته كان المجمع بمدينة نيقية الذي رتبت فيها الامانة الارتذكسية فمنع الاكصندروس بترك الاسكندرية أريوس من دخول الكنيسة ولعنه وقال ان أريوس ملعون لان بطرس البترك قبل ان يستشهد قال لنا ان الله لعن أريوس فلا تقبلوه ولا تدخلوه الكنيسة • وكان على مدينة أسيوط من عمل مصر أسقف يرى رأي اريوس فلعنه أيضاً وكان بالاسكندرية هيكل عظيم كانت كلاوبطرة الملكة بنته على اسم زحل وكان فيه صنم من نحاس عظيم يسمى ميكائيل وكان أهل الاسكندرية ومصر في أثنى عشر يوما من شهر هتور وهو تشرين الثاني يعيدون لذلك الصنم عيداً عظيماً ويذبحون الذبائح الكثيرة فلما صار هذا بطركا على الاسكندرية وظهرت النصرانية اراد ان يكسر الصنم ويبطل الذبائح فامتنع عليه أهل الاسكندرية فاحتال لهم بأن قال ان هذا صنم لا منفعة فيه ولا مضرة فلو صيرتم العيد لميكائيل الملاك وجعلتم هذه الذبائح له كان أنفع لكم عند الله وكان خيراً

الانسي صحبته النعمة الالهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة فلذلك سمي ابن الله ويقولون ان الله جوهر واحد واقنوم واحد يسمونه بثلاثة اسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس وهي مقالة بولص الشمشاطي بطرك انطاكية واشياعه وهم البوليانيون .ومنهم من كان يقول بثلاثة آلهة لم يزل صالح وطالح وعــدل بينهما وهي مقالة مرقيون واشياعه وزعموا ان مرقيون رئيس الحواريين وانكروا بطرس السليح .ومنهم من كان يقول ربنا هو المسيح وهي مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثمائة وثمــانية عشر اسقفا .قال فلما سمع قسطنطين الملك مقالاتهم عجب من ذلك واخلا لهم دارا وتقدم لهم بالاكرام والضيافة وأمرهم ان يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفاً على دين واحد ورأي واحد فناظروا بقية الاساقفة المختلفين فافلحوا عليهم حججهم واظهروا الدين المستقيم وكان أيضاً باقي الاساقفة مختلفي الاديان والآراء وصنع الملك للثلاثماية والثمانية عشر اسقفا مجلساً خاصاً عظيما وجلس في وسطه وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعها اليهم وقال لهم قد سلطتكم اليوم على المملكة لتصنعوا ما بدا لكم لتصنعوا ماينبغي لكم ان تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين فباركوا على الملك وقلدوه سيفه وقالوا له أظهر دين النصرانية وذب عنه ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع وفيها مايصلح ان يعمل به الاساقفة وما يصلح للملك ان يعمل بمــا فيها وكان رئيس المجمع والمقــدم فيه الاكصندروس بطريرك الاسكندرية وبطرك الانطاكية واسقف بيت المقدس ووجه بطرك رومية من عنده رجلين فاتفقوا على نفي اريوس

الآن معنيان كلمة وجسد الا انهما جميعاً مخلوقان قال فأجابه عند ذلك
بطرك الاسكندرية وقال تخبرنا الآن ايما أوجب علينا عندك عبادة من
خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا؟ قال أريوس بل عبادة من خلقنا قال له
البطرك فان كان خالقنا الابن كما وصفت وكان الابن مخلوقا فعبادة الابن
المخلوق أوجب من عبادة الاب الذى ليس بخالق بل تصير عبادة الاب
الخالق للابن كفرا وعبادة الابن المخلوق ايمانا وذلك من اقبح الاقاويل
فاستحسن الملك وكل من حضر مقالة البطرك وشنع عندهم مقالة اريوس
ودار بينهما أيضاً مسائل كثيرة فأمر قسطنطين للبطرك الاكصندروس
ان يلعن اريوس وكل من قال بمقالته • فقال له بل يوجه الملك فيشخص
البطاركة والاساقفة حتى يكون لنا مجمع ونضع فيه قضية ونلعن اريوس
ونشرح الدين ونوضحه للناس فبعث قسطنطين الملك الى جميع البلدان
فجمع البطاركة والاساقفة فاجتمع فى مدينة نيقية بعد سنة وشهرين الفان
وثمانية واربعون اسقفا وكانوا مختلفى الآراء مختلفى الأديان. فنهم من
يقول المسيح ومريم الهان من دون الله وهم المريمانية ويسمون المريميين
ومنهم من كان يقول ان المسيح من الاب بمنزلة شعلة نار تعلقت من
شعلة نار فلم تنقص الاولى لايقاد الثانيـة منها وهى مقالة سارينون
واشياعه • ومنهم من كان يقول لم تحبل مريم لتسعة اشهر وانما مر نور
فى بطن مريم كما يمر الماء فى الميزاب لان كلمة الله دخلت من اذنها
وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهى مقالة اليان واشياعه
ومنهم من كان يقول ان المسيح انسان خلق من اللاهوت كواحد منا
فى جوهره وان ابتداء الابن من مريم وانه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر

الى بيت المقدس مع اسقف بيت المقدس فلما وصلت لم يكن لها حرص ولا همــة إلا طلب الصليب فجمعت اليهود والسكان فى بيت المقــدس واختارت منهم عشرة ومن العشرة ثلاثة كان واحد منهم يقال له يهوذا فسألتهم ان يدلوها على موضع الصليب فامتنعوا وقالوا ليس عندنا علم منه ولاخبره بالموضع• فامرت بهم فطرحتهــم في جب ليس فيه ماء فاقاموا سبعة ايام لم يطعموا ولم يسقوا فقال أحدهم الذي اسمه يهوذا لصاحبيه ان أباه عرفه بالموضع الذى تطلب هذه المرأة وان جده عرف اباه فصاح الاثنان من الجب اخرجونا حتى نسلم الملكة بحال هــذا الرجل فاخرجوهم فاخبروا الملكة بمــا قال لهما يهوذا فامرت بضربه بالسياط فاقرانه يعرف الموضع فخرج حتى جاء الى الموضع الذى فيــه المقــبرة والاقرانيون وكانت مزبلة عظيمة هناك فصلى وقال اللهم ان كان في هذا الموضع المقبرة فاسألك ان تزلزل المكان وتخرج منه دخاناً حتى يؤمن فزلزل الموضع وخرج منــه دخان كما سأل فآمن فامرت هيلانة بكنس الموضع من التراب فظهرت المقبرة والاقرانيون ووجد ثلاثة صلبان• قالت هيلانة كيف لنا ان نعلم بصليب الســيد المسيح وكان بالقرب منهم عليل شديد العلة قد يئس منه فوضع الصليب الاول عليه والثانى والثالث فقام المريض وليس به شئ يكره • فعلمت هيلانة انه الصليب الذي لســيدنا المسيح فجعلته فى غلاف من ذهب وحملته معها وحملته بما تقدر عليه واظهرت كل ما كان مدفوناً من آثار سيدنا المسيح وحملتــه الى ابنها قسطنطين وبنت كنيسة القمامة فى موضع الصليب والاقرانيون وكنيسة قسطنطين وانصرفت وامرت اسقف بيت المقدس

واصحابه ولعنوهم وكل من قال مقالته ووضعوا الامانة وثبتوا ان الابن مولود من الاب قبل كون الخلائق وان الابن من طبيعة الاب غير مخلوق واتفقوا على ان يكون فصح النصارى في يوم الاحد الذي يكون بعد فصح اليهود وان لايكون فصح اليهود مع فصح النصارى فى يوم واحد وثبتوا ما وضعه من تقدم ذكره من حساب الصوم والفصح وان يكون فطر النصارى يوم فصحهم يوم الاحد الذى يكون بعد فصح اليهود لان النصارى كما قلنا من قبل كانوا اذا عيدوا عيد الحميم وهو عيد الغطاس صاموا من الغد اربعين يوماً ويفطرون فاذا كان عيد اليهود عيدوا معهم الفصح فصيروا يوم الفصح للفطر ومنعوا ان يكون للاسقف زوجة وذلك ان الاساقفة منذ وقت الحواريين الى مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر كان لهم نساء لانه كان اذا صير واحد اسقفاً وكانت له زوجة تبيت معه ولم تتنح عنه ماخلا البطاركة فانه لم تكن لهم نساء ولا كانوا ايضاً يصيرون احداً بطركا له زوجة • قال وانصرفوا مكرمين محظوظين وذلك فى سبع عشرة سنة من ملك قسطنطين قال وسن قسطنطين الملك ثلاث سنين • احداها كسر الاصنام وقتل كل من يعبدها • والثانية ان لايثبت في الديوان الا اولاد النصارى ويكونون امراء وقواداً • والثالثة ان يقيم الناس جمعة الفصح والجمعة التى بعدها لايعملون فيها عملا ولا يكون فيها حرب • قال وتقدم قسطنطين الى اسقف بيت المقدس ان يطلب موضع المقبرة والصليب ويبني الكنائس ويبدأ ببناء القمامة المقدسة فقالت هيلانة ام قسطنطين الملك انى نذرت ان اصير الى بيت المقدس فاطلب المواضع المقدسة فابنيها فدفع الملك اليها اموالا كثيرة جزيلة وسارت

به فانا لما كنا لا نشك ان المسيح حي فعال وكان قد دل بقوله انما افعل الخالق والحياة كان قولك به كونت الاشياء انما هو راجع في المعنى الى انه كونها فكانت به مكونة ولو لم يكن ذلك كذلك لتناقض القولان قال ورد عليه أيضاً فقال . اما قول من قال من أصحاب اريوس ان الاب يريد الشيء فيكونه الابن والارادة للاب والتكوين للابن فان ذلك يفسد ايضاً اذ كان الابن عنده مخلوقا فقد صار حظ المخلوق في الخلق اوفي من حظ الخالق فيه وذلك ان هذا أراد وفعل وذاك اراد ولم يفعل فهذا اوفر حظاً في فعله من ذاك ولا بد لهذا ان يكون في فعله لما يريد ذلك بمنزلة كل فاعل من الخلق لما يريد الخالق منه ويكون حكمه كحكمه في الجبر والاختيار فان كان مجبوراً فلا شيء له في الفعل وان كان مختاراً فجائز ان يطاع وجائز ان يعصى وجائز ان يثاب وجائز ان يعاقب وهذا اشنع في القول • قال ورد عليه ايضاً وقال ان كان الخالق انما خلق خلقه بمخلوق فالمخلوق غير الخالق بلا شك فقد زعمتم ان الخالق يفعل بغيره والفاعل بغيره محتاج الى متمم ليفعل به اذ كان لايتم له الفعل الا به والمحتاج الى غيره منقوص والخالق يتعالى عن هذا كله • قال فاما دحض بطرك الاسكندرية حجج أولئك المخالفين وظهر لمن حضر بطلان قولهم تحيروا وخجلوا فوثبوا على بطرك الاسكندرية فضربوه حتى كاد يقتل فخلصه من ايديهم ابن اخت قسطنطين وهرب بطرك الاسكندرية المحتج على اصحاب اريوس وصار الى بيت المقدس من غير حضور احد من الاساقفة ثم اصلح دهن الميرون وقدس الكنائس ومسحها بدهن الميرون وسار الى الملك فاعلمه

ان يبني باقي الكنائس وذلك في اثنين وعشرين سنة من ملك قسطنطين قال فمن ميلاد سيدنا المسيح الى ان وجد الصليب ثلاثمائه وثمانية وعشرون سنة وذكر انه بعد هذا اجتمعوا بمجمع عظيم ببيت المقدس وكان معهم رجل قد دسه بطرك القسطنطينية وجماعة معه ليسألوا بطرك الاسكندرية وكان هذا الرجل لما رجع الى الملك اظهر انه مخالف لاريوس وكان يرى رأيه ويقول بمقالته فقام هذا الرجل واسمه مانيوس فقال ان اريوس لم يقل ان المسيح خالق الاشياء ولكن قال به خلقت الاشياء لان كلمة الله التي بها خلق السموات والارض وانما خلق الله الاشياء بكلمته ولم تخلق الاشياء كلمته كما قال سيدنا المسيح في الانجيل المقدس كل بيده كان ومن دونه لم يكن شئ فقال به كانت الحياة والحياه نور البشر وقال في العالم والعالم به تكون فاخبر ان الاشياء به تكونت ولم يخبر انها كونت له قال فهذه كانت مقالة اريوس ولكن الثلاثماية وثمانية عشر اسقفاً تعدوا عليه وظلموه وحرموه ظلماً وعدواناً فرد عليه بطرك الاسكندرية وقال اما اريوس فلم يكذب عليه الثلاثمائة وثمانية عشر اسقفاً ولاظلموه لانه انما قال ان الابن خالق الاشياء دون الاب واذا كانت الاشياء انما خلقت بالابن دون ان يكون الاب لها خالقاً فقد يجب ان يكون ما خلق منها شيئاً وفي ذلك تكذيب للمسيح قوله الاب يخلق وانا اخلق وقال ان انا لم اعمل عمل أبي فلا تصدقوني وقال كما ان الاب يحيي من يشاء ويميته كذلك الابن يحيي من يشاء ويميته فدل على انه يحيي ويخلق وفي هذا تكذيب لمن زعم انه ليس بخالق وانما خلقت به دون ان يكون خالقاً له ٠ واما قولك ان الاشياء كونت

أخرى ماطهره الله فلا تنجسه انت ثم جاء الصوت بهذا ثلاث مرات ثم ان الازار ارتفع الى السماء فعجب بطرس وتحير فيما بينه وبين نفسه فبهذا المنظر وبما قال سيدنا المسيح في انجيله المقدس امر بطرس وبولس ان نأكل كل ذي اربع قوائم من الخنزير وغيره من جميع الحيوان حلالاً لنا. فامر الملك ان تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتقطع صغاراً صغاراً وتصير على أبواب الكنائس في كل مملكته يوم احد الفصح وكل من خرج من الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنزير فمن لم يأكل منه يقتل فقتل لاجل ذلك خلق كثير . قال سعيد وكان لقسطنطين ثلاثة أولاد أكبرهم قسطنطين بن قسطنطين وذلك حين ملك ازدشير بن سابور بن هرمز على الفرس وملك بعده سابور بن سابور لخمس سنين من ملك قسطنطين قال وفى ذلك العصر اجتمع اصحاب اريوس وكل من قال بمقالته الى الملك قسطنطين فحسنوا له دينهم ومقالتهم وقالوا ان الثلاثمائة وثمانية عشر اسقفاً الذين كانوا اجتمعوا بنيقية قد اخطأوا وحادوا عن الحق فى قولهم ان الابن متفق مع الاب في الجوهر . فتأمر ان لايقال هذا فانه خطأ فاراد الملك ان يفعل ذلك قال وفى ذلك العصر ظهر على الاقرانيون وهو الجلجلة نصف النهار صليب من نور من الارض الى السماء يفوق ضوءه ضوء الشمس فكان يبلغ الى طورزيتا فرأى ذلك كل من كان فى بيت المقدس من كبير وصغير فكتب اسقف بيت المقدس الى قسطنطين بن قسطنطين بالخبر وقال في أيام ابيك السعيد ظهر صليب كواكب من السماء في نصف النهار وفى أيامك ظهر أيها الملك على الاقرانيون صليب من نور يفوق نوره نور الشمس فى نصف النهار

بالخبر فصرفه الملك الى الاسكندرية

(فصل) قال وامر الملك ان لايسكن يهودى بيت المقدس ولا يجوز بها ومن لم يتنصر يقتــل فتنصر من اليهود خلق كثير وظهر دين النصرانيـــة فقيل لقسطنطين الملك ان اليهود يتنصرون من فزع القتل وهم على دينهم ٥ قال الملك كيف لنا ان نعلم ذلك منهم ؟ قال بولس البترك ان الخنزير في التوراة حرام واليهود لا يأكلون لحم الخنزير فامر ان تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتطعمهم منها فمن لم يأكل منه علمنا انه مقيم على دين اليهودية . فقال الملك اذا كان الخنزير في التوراة حراماً فكيف يجوز لنا ان نأكل لحم الخــنزير ونطعمه الناس ؛ فقال له بولس البترك ان ســيدنا المسيح قد ابطل كل ما في التوراة وجاء بناموس آخر وبتوراة جديدة وهو الانجيل وفي انجيله المقدس ان كل ما يدخل البطن ليس بحرام ولا بنجس وانمــا ينجس الانسان الذي يخرج من فيه • وقال بولس الرسول في رسالته الى اهل مدينــة قورنثيوس الاولى الطعام للبطن آلته لها والبطن للطعام وله يلعن ومكتوب في الابركسس يعنى اخبار الحواريين ان بطرس رئيس الحواريين كان فى مدينــة يافا فى منزل رجــل دباغ يقال له سيمون وانه صعد الى المنزل ليصلي وقت ست ساعات من النهار فوقع عليه سبات فنظر الى السماء قد تفتحت واذا ازار قد نزل من السماء حتى بلغ الارض وفيه كل ذي اربع قوائم على الارض من السباع والذئاب وغير ذلك من طير السماء وسمع صوتاً يقول له يابطرس قم فاذبح وكل . فقال بطرس يارب ما أكلت شيئاً نجساً قط ولا وسخاً قط فجاء صوت ثان كل ما طهره الله فليس بنجس وفي نسخة

سنة وفي احدى وعشرين سنة من رياسته كان المجمع الثاني بقسطنطينية قال وكان في عصره أهل مدينة نيريار كلهم صابئون فوضع اسقف نيريار واميمرا في ميلاد المسيح ويقول في ابتدائه السيد ولد مختوناً نخذوا المسيح من السماء واستقبلوه على الارض فاما قرأه عليهم استهزأوا به واقبلوا يضحكون منه فلما كان عيد الحميم وضع ميمرا في عيد الحميم هتك فيه دين الصابئين وفضحهم فيه ومكن فيه دين النصرانية . قال وكان في عصر يوليانوس الملك الكافر اول راهب سكن برية مصر وبنى الديارات وجمع الرهبان وكان آخر بالشام وهو اول من سكن برية الاردن وجمع الرهبان وبنى الديارات قال وخرج هذا الملك الكافر لقتال سابور ملك الفرس فلسوء مذهبه ورداءة دينه وما أراد ان يأخذ بعبادة الاصنام ظفر به ملك الفرس فقتله وقتل من اصحابه مقتلة عظيمة . وذكر اسقف قيسارية انه كان جالساً في محرابه وحذاءه لوح فيه صورة ماري مركورس الشاهد فنظر الى اللوح فلم ير فيه صورة الشاهد فعجب من ذلك اذ غابت فلم يكن الا ساعة حتى عادت صورة الشاهد الى اللوح وفي طرف الحربة المصورة التي في يد الشاهد شبيه بالدم فتعجب من ذلك وبقي متحيراً حتى بلغه ان الملك الكافر قتل في الحرب فعلم ان ماري مركوس الشاهد قتله لشدة بغضه الذي كان للنصارى وما كان عزم عليه من عبادة الاصنام . وذكر بعد هذا جماعة من البتاركة والاساقفة كان بعضهم اريوسيا وبعضهم منانيا وبعضهم ملكيا وذكر فتنا بينهم وتعصب كل طائفة لبتركها حتى يقتل بعضهم بعضا وينفي بعضهم بعضاً وذكر انه

وكتب اليه ان لايقبل قول أصحاب اريوس فانهم حائدون عن الحق كفار قد لعنهم الثلاثماية وثمانية عشر اسقفاً ولعنوا كل من يقول بمقالتهم فقبل قوله • قال وفى ذلك الوقت غلبت مقالة اريوس على قسطنطينية وانطاكية وبابل والاسكندرية فسمي التابعون لاريوس والقائلون بمقالته اريوسيين مشتقا من اسمه • قال وفى ثانى سنة من ملك قسطنطين صير على انطاكية بطرك اريوسي ثم بعده آخر اريوسى ثم بعده آخر منانى وصير على قسطنطينية بترك منانى • قال ففى عشر سنين من ملكه صير على قسطنطينية بطرك وكان يقول روح القدس مخلوقة واقام عشر سنين ومات ونقل بعد ذلك بطرك انطاكية فصير على قسطنطينية وكان منانيا قال وأما أهل مصر والاسكندرية فكان اكثرهم اريوسيين ومنانيين فغلبوا على كنائس مصر فاخذوها ووثبوا على بترك الاسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واستخفى وصيروا على اسكندرية بتركا منانيا وفى ذلك الزمان قدم من القسطنطينية الى الاسكندرية قائد وكان اريوسيا فنفى الملكى واقام بطركا اريوسيا فلما خرج القائد قتل الملكيون ذلك البترك الاريوسى وأحرقوه بالنار ومات الملك قسطنطين ابن قسطنطين وله في الملك اربع وعشرون سنة وملك بعده يوليانوس الملك الكافر على الروم سنين وأراد ان يرد الناس الى عبادة الاصنام وقتل من الشهداء خلقاً كثيراً وفي اول سنة من ملكه وثب الاريوسيون ببيت المقدس على أسقفها الملكي الذى كتب بظهور الصليب ليقتلوه فهرب منهم فصيروا أسقفاً اريوسياً • قال وفى ثانى سنة من ملكه صير على انطاكية بطركا على الامانة اقام خمسا وعشرين

واحدة وكيان واحدة وثلاثة أقانيم اله واحد جوهر واحد طبيعة واحدة وثبتوا ان جسد سيدنا المسيح بنفس ناطقة عقلية • قال فمن المجمع الاول الى هذا المجمع الثانى ثمان وخمسون سنة قال واطلق بطرك الاسكندرية للبطاركة والاساقفة والرهبان أكل اللحم من أجل المنانية ليعرف المناني منهم لان المنانية لايرون أكل اللحم ولا شيئاً من الحيوان البتة وكان أكثر أساقفة مصر منانية فاكل بطاركة مصر وأساقفتهم اللحم وأما بطاركة رومية وقسطنطينية وأساقفتها ورهبانها فلم يأكلوا اللحم وأكلوا بدل اللحم السمك وأقاموه مقام اللحم اذ كان حيوانا • قال سعيد ابن البطريك لم يطلق أكل اللحم على أنهم يعتاضون منه بالسمك اذ ليس بذبيحة ويمنعون أكل اللحم اذ كان قد اخطأ الذين أقاموا السمك مقام اللحم وسيدنا المسيح فقد أكل اللحم فوجب ضرورة أكل اللحم اقتداء بالسيد المسيح ولو يوما واحداً في السنة ليزيلوا الشك من مذهب المنانية • قال وفي الابركسس مكتوبا مانظره بطرس السليح بيافا من تنزل السفنية وفيها كل ذي أربع قوائم ولهذا الحكم كل من لم يأكل اللحم مخالف لشريعة النصرانية ومضاه لمذهب الصابئة والروم وهم لايغتسلون الى اليوم لان المنانية لايرون الغسل بالماء فلما طال بهم الزمان أقاموه على هذه السنة. وقال قوم انما تركوا الغسل بالماء لشدة برد بلادهم وبرد الماء عندهم وانه لايتهيأ لهم بالجملة ان يقربوا الماء في الشتاء لثلجه وبرده فصار سنة جارية شتاء وصيفاً • والمنانية صنفان السماعون والصديقون فالسماعون يصومون فى كل شهر اياما معلومة. والصديقون يصومون الدهر كله ولا يأكلون الا مانبت من الارض فلما تنصروا خافوا ان يتركوا

اختلفت آراء النصارى وكثرت مقالاتهم وغلبت عليهم مقاله اريوس وانهم ملكوا عليهم ملكا اسمه تدوس وان الوزراء والقواد اجتمعوا اليه ذاكرين ان مقالات الناس اختلفت وفسدت وغلبت عليهم مقالة اريوس ومقدينوس فينظر الملك في هذا ويذب عن النصرانية ويوضح الامانة المستقيمة وكتب الى بطرك اسكندرية وانطاكية ورومية واسقف بيت المقدس يحضروا مع اساقفتهم بقسطنطينية الا بطرك رومية فانه كتب وانفذ بالامانة المستقيمة فاجتمع بقسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً وكان المقدم البطاركة الثلاثة فدفع الملك اليهم كتاب بطرك رومية فكان صحيحاً موافقاً وكان يزعم ان روح القدس اله ولكن مخلوق مصنوع • فقال بطرك الاسكندرية ليس روح القدس عندي معنى غير حياته فاذا قلنا ان روح القدس مخلوق فقد قلنا ان حياته مخلوقة واذا قلنا ان حياته مخلوقة فقد زعمنا انه غير حي واذا زعمنا انه غير حي فقد كفرنا ومن كفر وجب عليه اللعن فاتفقوا على لعن مقدونيوس فلعنوه واشياعه ولعنوا البطاركة الذين كانوا بعده يقولون بقوله ولعنوا اسقف لونية واشياعه ولعنوا بوليناريوس واشياعه لانه كان يقول ان الاب والابن وجه واحد ولعنوا بوليناريوس واشياعه لانه كان يقول ان جسد سيدنا المسيح بغير فعل وثبتوا ان روح القدس خالقة غير مخلوقة اله حق وان طبيعة الاب والابن جوهر واحد وطبيعة واحدة وزاد في الامانة التي وضعها الثلاثماية والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في مدينة نيقية وبروح القدس المحيي المميت المنبثق من الأب وثبتوا ان الاب وحده والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم ذو ثلاثة وجوه وثلاث خواص في وحدانية

كثير وكلوه فلم يكلمهم فصاروا به الى بطريق المدينة وكلمه فلم يتكلم فهدده فلم يتكلم فجاء اليه أسقف المدينة فكلمه وخوفه وقال انك ان لم تكلمني وتقل لى من أين لك هذه الدراهم والا قتلتك • وانما كان يمتنع من الكلام خوفا من ذاقيوس الملك فقالوا له انه قد مات وملك بعده جماعة ملوك فضربوه حتى آلمه الضرب فخبرهم بحاله على جليتها • فقالوا له ان ذاقيوس قد مات وملك بعده ملوك كثيرة والملك اليوم تذوس الكبير وقد ظهر دين النصرانية ثم سار معهم الى الكهف فنظروا الى اصحابه والصندوق النحاس الذى فيه الصحيفة الرصاص مكتوب فيها قصتهم وخبرهم فكثر تعجبهم وكتبوا الى الملك يعلمونه بخبرهم فركب وسار الى مدينة افسس فنظر اليهم وكلمهم وبعد ثلاثة ايام دخل اليهم فوجدهم امواتاً فامر ان يتركوا فى الكهف ولا يخرجوا ولكن يدفنوا فيه وتبنى عليهم كنيسة وتسمى بأسمائهم ويعيد لها عيد في كل سنة فى ذلك اليوم وانصرف الى قسطنطينية • قال فمن وقت هرب الفتية من ذاقيوس الى الكهف الى الوقت الذى ظهروا فيه وماتوا مائة وسبع او تسعة واربعون سنة *قلت هذا مما اخطأ فيه فان الله تعالى اخبر انهم لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً • لكن بعض المفسرين زعموا ان هذا قول بعض اهل الكتاب لقوله الله اعلم بما لبثوا وليس كذلك فان الله لم يذكر هذا عن أهل الكتاب بل ذكره كلاماً منه تعالى • قال سعيد وفي زمنه كانت قصة بترك قسطنطينية يوحنا الملقب بفم الذهب وتولى بعده ابنه ثذوس الصغير اثنين واربعين سنة لاحدى عشرة سنة من ملك يزدجرد بن بهرام وفى زمنه جعل نسطورس الذي تنسب اليه مقالة النسطورية بطركا

أكل اللحم فيعلم بهم فجعلوا لانفسهم صياما فصاموا الميلاد والحواريين فلما طال بهم الزمان وتربوا فى هذا الصوم أكلوا اللحم فتبعتهم فى ذلك النساطرة واليعاقبة والمارونية وصارت سنة استحسنها الملكية فتبعوهم وخاصة المقيمون ببلاد الشام. وأما الروم فما تركوا أكل اللحم فى أيام صوم الميلاد وصوم الحواريين وتلك الأيام التى نظن انها من جملة الصوم الكبير فمن أحب ان يصوم الميلاد والحواريين والسيدة ولا يأكل لحماً فليس بواجب وليس لاحد قطع اللحم طول السنة الا في صوم الاربعين المقدسة فقط ومن فعل بضد ذلك فهو مخالف راجع الى أصحاب الآراء المختلفة • قال وفى ثمان سنين من ملك تذوس ظهرت فتية الذين كانوا هربوا من ذاقيوس الملك واختفوا في الكهف وذلك ان الرعاة على طول الزمان كانوا اذا جازوا بذلك الموضع الذى هو الكهف قلعوا الطوب المبنى على باب الكهف حتى عاد مفتوحا كالباب فلما انتبهت الفتية توهموا انهم كانوا نياما ليلة واحدة فقالوا لصاحبهم الذى كان يذهب يبتاع لهم الطعام أمض واشتر لنا طعاما واستعلم خبر ذاقنوس فلما خرج الى باب الكهف نظر الى البنيان والهدم ثم مضى حتى بلغ باب المدينة وهى أفسس فرأى باب المدينة عليه صليب كبير منصوب فانكر ذلك فى نفسه وقال أحسب انى نائم فاقبل يمسح عينيه وينظر يميناً وشمالا هل يرى من يعرفه فلم ير فبقى متحيراً وقال لعلى اخطأت الطريق ولعل هذه مدينة أخرى ثم دخل المدينة فدفع دراهم مما كان معه عليها صورة ذاقيوس الملك فانكر عليه وقالوا لعله أصاب كنزاً ثم قالوا من أين لك هذه الدراهم والا قتلناك فلم يكلمهم وصاح الناس فاجتمع اليه خلق

وتعصب مع نسطورس لجمع الاساقفة الذين قدموا معه فقطع بطرك اسكندرية وقطع اسقف افسس • فلما رأى أصحاب بطرك اسكندرية قبح فعاله وقع بينهم شر عظيم وخرجوا من افسس وصار أصحاب بطرك اسكندرية والمشرقيون حزبين فلم يزل ثذوس الملك حتى اصلح بينهم وكتب المشرقيون صحيفة وثبتوا فيها الامانة الصحيحة وقالوا فيها ان مريم العذراء القديسة ولدت الهاً ربنا يسوع الذى هو مع أبيه في الطبيعة ومع الناسوت فى الناسوت وأقروا بطبيعتين ووجه واحد واقنوم واحد ولعنوا نسطورس ووجهوا بالصحيفة الى بطرك اسكندرية فقبل الصحيفة وأجابهم عنها بموافقتهم على ذلك • وقال قوم لما قبل صحيفة المشرقيين بداله ولم يقبل طبيعتين ووجهاً واحداً • وقال سعيد بن البطريق وهم في ذلك كاذبون لان كتبه تنطق بذلك ثم أرسل نسخة صحيفة المشرقيين الى جماعة من الاساقفة يعلمهم ان المشرقيين رجعوا الى الايمان وانهم غير موافقين لنسطورس. قال فمن المجمع الثاني الى المائة والخمسين أسقفاً المجتمعين بمدينة قسطنطين ولعنوا مقدونيوس الى هذا المجمع المائتين أسقفاً المجتمعين بافسس على نسطورس احدى وخمسون سنة . قال ولما نفى نسطورس صار الى مصر فاقام بضيعة فى صعيد مصر يقال لها اخميم ومات ودفن بها وكانت مقالته قد اندرست فاحياها من بعده بزمان طويل مطرانُ نصيبين فى عصر يوسطيانوس ملك الروم وقباذ بن فيروز ملك الفرس فبثها بالمشرق فلذلك كثر النسطورية بالمشرق وخاصة أرض أهل فارس بالعراق والموصل ونصيبين والفرات والجزيرة • قال سعيد بن البطريق رأيت ان ارد على النسطورية في هذا الموضع وابين بطلان

على قسطنطينية قال وكان نسطورس يقول ان مريم العذراء ليست بوالدة الهاً على الحقيقة ولذلك كان اثنان، احدهما الذى هو اله مولود من الاب . والآخر الذى هو انسان مولود من مريم وان هذا الانسان الذى يقول انه مسيح بالمحبة متوحد مع ابن اله ويقال له اله وابن الاله ليس بالحقيقة ولكن موهبة . واتفاق الاسمين والكرامة شبيهاً باحد الانبياء . فبلغ قوله بطرك الاسكندرية فانكر ذلك وكتب اليه يقبح عليه فعله ومقالته ويعرفه فساد ماهو عليه و يسأله الرجوع الى الحق فجرت بينهما رسائل كثيرة ولم يرجع نسطورس عن مقالته فكتب الى بطرك انطاكية يسأله ان يكتب الى نسطورس ويعرفه قبح فعله ورأيه وفساد مقالته ويسأله الرجوع الى الحق فكتب الى نسطورس ان هو لم يرجع اجتمعوا ولعنوه وجرت بينهمارسائل كثيرة فلم يرجع فكتبوا الى بطرك رومية وانطاكية وبطرك بيت المقدس ان يجتمعوا في مدينة افسس لينظروا فى مقالة نسطورس فاجتمع بالمدينة مايتا اسقف مقدمهم بطرك اسكندرية وتأخر بطرك انطاكية فلم ينتظروه وبعثوا الى نسطورس فلم يحضر معهم فنظروا في مقالته وأوجبوا عليه اللعن فلعنوه ونفوه وثبتوا ان مريم العذرا والدة الاله وان المسيح اله حق وانسان معروف بطبيعتين متوحدة فى الاقنوم وهذا هو خلاف المحبة لان نسطورس كان يقول ان التحيد اي الاتحاد اتفاق الوجهين واما التحيد اى الاتحاد المستقيم فانما هو ان يكون اقنوما واحداً من طبيعتين فلما لعنوا نسطورس قدم يوحنا بطرك انطاكية فلما وجدهم قد لعنوه قبل حضوره غضب وقال ظلمتم نسطورس ولعنتموه باطلا

في الانجيل ولا غيره ان صفة الله القائمة به مولودة ولا ان الرب له مولود قديم ازلي لكن اذا قدر ان الامر كذلك فصفة الله لم يسمها احد مسيحا فاذا قدر ان اللاهوت والناسوت جوهران اقنومان لاتحاد بينهما لم يلزم ان يكون اللاهوت مسيحاً ولا هناك مسيح هو اله ولا مسيح هو ابن اله وقد تقدم عن نسطور انه كان يقول ان هذا الانسان الذى نقول انه مسيح متوحد بالمحبة مع ابن اله ويقال له اله وابن اله ليس بالحقيقة فقد صرح بأن المسيح هو الانسان فقط دون اللاهوت وان المسيح ليس باله ولا ابن اله في الحقيقة فبطل ماالزمه اياه من انه يلزم ان يكون هنا مسيحان . واما قوله لابد لمريم من ان تكون ولدت المسيح او لم تلده * فيقال بل ولدت المسيح وهو الانسان وهو غير اللاهوت الذى تزعمون ان الاب ولده وليس في ذلك مسيحان بل مسيح واحد انسان مخلوق وأيضاً فقوله فان كان ولدته فلا بد ان يكون ولادا روحانياً أو جسمانياً فان كان روحانياً فالمسيح ابن واحد أقنوم واحد مسيح واحد تقسيم باطل وحجة فاسدة داحضة . فان مريم لم تلد ولادة روحانية بل خرج الولد من فرجها كما تخرج أولاد النساء من فروجهن سواء كانت عذرتها باقية أو لم تكن . وأما ما ذكره من التمثيل بصفيحة الحديد فلو قدر انه مثل مطابق لم يدل على صحة قولهم بل غايته انه يدل على امكانه فاين الدليل على ان هذا هو الواقع فليس فيه ما يدل على صحة قول الملكية وفساد قول خصومهم فكيف وهو تمثيل غير مطابق . فان الحديد اذا اتحدت به النار كان الحديد قد استحالت عن صفته فلم يبق حديداً محضاً وليست ناراً محضة والخشبُ وغيره اذا أحرق وصار ناراً فليس

قولهم وفساده لان النسطورية في عصرنا هذا خالفوا قول نسطور القديم وزعموا ان نسطور كان يقول ان المسيح جوهران واقنومان الاه تام بأقنومه وجوهره وانسان تام بأقنومه وجوهره وان مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته لان الاب عندهم ولد إلهاً ولم يلد انساناً ومريم ولدت انساناً ولم تلد الهاً* فيقال لهم ان كان الامر على ماتقولون فالمسيح مسيحان وابنان فمسيح اله وابن اله ومسيح انسان وابن انسان لانه لابد لمريم من ان تكون ولدت المسيح او لم تلده فان كانت ولدته فلا بد ان تكون ولادا روحانياً او جسمانياً فان كان جسمانيا فهو غير الذي ولده الاب وذلك يوجب ان يكون مسيحان وان كان روحانيا فالمسيح ابن واحد اقنوم واحد مسيح واحد والدليل على ذلك صفيحة الحديد التي تحد بها النار فانها سيف واحد تحرق وتمنع وتقطع وتضيء لا يجوز ان يكون من الجهة الحديدية هي المحرقة المضيئة من غير جهة النار اذ كان مالم يكن فيه نار من الحديد غير محرق ولا الجهة النارية هي القاطعة المانعة اذ كان شأن النار الاضاءة والاحراق لا القطع فقد ثبت بهذا وصح ماتعتقده الملكية من ان المسيح اقنوم واحد وبان زيف قول النسطورية ان المسيح اقنومان* قلت يقال لهذا ان قول النسطورية والملكية وان كانا باطلين فقول الملكية اشد بطلانا واعظم كفرا وتناقضا وما ذكره هذا باطل اما قوله لو كان الامر على ماتقولون فالمسيح مسيحان. فيقال له هذا انما يلزم ان لو كان اللاهوت بمجرده يسمى مسيحاً فان النسطورية وافقوهم على باطل وهو ان الرب ولد الهاً وهذا باطل ولم يقل احد قط من الانبياء لا

مايجري على حديدها فاذا طرقت فالتطريق واقع على نارها كما هو واقع على حديدها وكذلك اذا مدت وكذلك اذا بصق عليها وكذلك اذا القيت في الماء فان كان هذا التمثيل مطابقاً لزم ان يكون ماحل بالناسوت قد حل باللاهوت فيكون رب العالمين هو الذي كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط وهو الذي صفع عندهم وبصق في وجهه وجعل الشوك على رأسه وضرب بالسياط وصلب ومات وتألم كما يحكي مثل هذا عن اليعقوبية وهذا لازم لكل من قال بالاتحاد حتى النسطورية ان قالوا انهما متحدان بالمشيئة بمعنى ان مشيئة هذا عين مشيئة هذا بخلاف ما اذا قالوا ان مشيئته موافقة لمشيئته ليست اياها ولهذا قال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) الى قوله (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر اني يؤفكون) فذكر سبحانه وتعالى انهما كانا يأكلان الطعام لان ذلك من أظهر الادلة على انهما مخلوقان مربوبان اذ الخالق احد صمد لا يأكل ولا يشرب وذكر مريم مع المسيح لان من النصارى من اتخذها الهاً آخر فعبدها كما عبد المسيح والذين لايقولون بهذا كثير منهم يطلب منها كل ما يطلب من الله حتى يقول لها اغفري لي وارحميني وغير ذلك بناء

هو خشباً محضاً وليس هو ناراً محضة بسيطة فمن شأن الشيئين اذا اتحدا ان يستحيل كل منهما الى جوهر ثالث وطبيعة ثالثة ليست لاهذا ولا هذا كالماء واللبن اذا اتحدا فان ذلك يصير جوهراً ثالثاً وطبيعة ثالثة لالبنا محضا ولا ماء محضا وكذلك النار مع الحديد أو الخشب أو غير ذلك فان ذلك يصير جوهراً ثالثا ليس حديداً محضا ولا خشبا محضا ولا ناراً محضة لكن الحديد اذا برد فهو حديد لكنه تغيرت حقيقته فالنار تلينه وتذهب خبثه ولا يبقى بعد اتحاده بالنار كما كان قبل والخشب يصير فحما وهو جوهر ثالث اذ كان من طبع النار انها تؤثر في كل جسد بحسبه فتؤثر في الحديد بحسبه وفي الخشب بحسبه وكل شيئين اتحدا فانهما يصيران جوهراً ثالثا واقنوماً ثالثا وطبيعة ثالثة • فان كان اللاهوت والناسوت قد اتحدا كما زعموا فقد استحالت صفة اللاهوت واستحالت صفة الناسوت فلم يبق اللاهوت لاهوتاً ولا الناسوت ناسوتاً بل صاروا جوهراً ثالثاً لا لاهوت ولا ناسوت وهم ينكرون هذا القول وهو باطل فان رب العالمين لايتبدل وتستحيل صفاته بصفات المحدثات ولا ينقلب القديم ولا شيء من صفاته محدثاً ولا يستحيل القديم الرب الخالق والمخلوق المحدث الى شيء ثالث بل صفات الرب التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها لاتتبدل ولا تنقلب ولا تستحيل فضلا عن ان تستحيل الى أمر ثالث ثم هذا الثالث ان كان قديماً خالقاً صار هنا خالقان قديمان وان كان مخلوقا محدثاً كان الخالق قد صار مخلوقا محدثاً ومعلوم ان استحالة الخالق الى خالق آخر • او الى مخلوق ممتنع ظاهر الامتناع ومما يوضح هذا ان ما مثلوا به من الحديدة المحماة بالنار هي جوهر ثالث يجري على نارها

اللاهوت اتحد في الناسوت عنــد الحمل وانه كان مسيحا وهو محمول ومولود ومرضع الى ان صلب وقتل • فقد اقروا ان مريم ولدت الها مسيحا واحداً اقنوما واحداً* فيقال له هذا التقسيم يدل على بطلان قول النصارى الذين ابتدعه طوائفهم الثلاثة وغــيرهم فان الاتحاد يزعمون انه كان من حين حملت به مريم وانه كان ينمو قليلا قليلا كنمو جسد المسيح والاتحاد باطل كما قد قرر غير مرة ولو قدر انه ممكن لظهر أثر ذلك فان الله لما كلم موسى من الشجرة ظهر من الآيات والعظمة مادل على ذلك • ولذلك كان اذا كلم موسى يظهر آيات ذلك وكذلك ما اخبر به في التوراة وغيرها من مصاحبته لبنى اسرائيل هو مما ظهر اثره وان لم يكن متحداً ولا حالا في شيء من ذلك ولمـا تجلى من طورسينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران بما انزله من كتبه ظهر آثار ذلك وان لم تكن ذاته متحدة ولا حالة بفاران ولا طورسينا باتفاق الامم فكيف تكون ذاته متحدة بما في بطن مريم او حالة فيــه ولا يظهر أثر ذلك وايضاً فيقال له قد يقول النسطورية له الناسوت كان مسيحاً من حين الحمل بمعنى انه كان طاهراً مقدساً لا بمعنى اتحاد اللاهوت به وان قالوا المسيح اسم للاهوت والناسوت جميعا فيقال ليس في كتب الانبياء ما يقتضى هذا والنسطورية يسلمون ذلك لكن قد يقولون ان المسيح اسم لهما كما ان الانسان اسم للروح والجسد ثم قد يقال لجسد الانسان الميت هذا الانسان فيقال وهو في بطن مريم أمه قبل نفخ الروح فيه هذا الجنين وهــذا الحمل فكذلك اذا قيل له مسيح بدون اللاهوت وايضا فقــد تقول النساطرة باقتران اللاهوت

على انها تشفع فى ذلك الى ابنها فتارة يقولون ياوالدة الاله اشفعي لنا الى الاله وتارة يسئلونها الحوائج التى تطلب من الله ولا يذكرون شفاعة وآخرون يعبدونها كما يعبدون المسيح وقد ذكر سعيد بن البطريق هذا عنهم لما ذكر اجتماعهم عند قسطنطين بنيقية قال وكانوا مختلفي الآراء مختلفي الاديان فمنهم من يقول المسيح وأمه آلهان من دون الله وهم المريمانيون ويسمون المريمانية • كذلك قال ابن حزم وقد قال تعالىٰ (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمي آلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لي ان اقول ماليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا اعلم مافي نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد) وهو سبحانه لم يحك هذا عن جميع النصارى بل سأل المسيح سؤالا يقرع به من اتخذه وأمه آلهين من دون الله • قال ابن البطريق ويقال للنسطورية ايضاً اخبرونا عن الناسوت التي اتحدت بها اللاهوت وسمي مسيحاً هل هو لم يزل مسيحاً منذ كان فى بطن مريم الى حين وضعته وأرضعته وشب وصلب وقتل أم كان ثلاثين سنة وهو واحد من الناس ثم اتحد بعد ذلك اللاهوت بالناسوت فكان مسيحاً فان قالوا لم يكن مسيحاً وهو في بطن مريم وانما ولدت مريم انساناً كان ثلاثين سنة وهو واحد من الناس ثم اتحد بعد ذلك اللاهوت بالناسوت فكان مسيحاً • تركوا قولهم وكذبوا الانجيل وبولص وجميع كتب الكنيسة وخرجوا عن مقالة النصرانية • وان قالوا ان

قبل الولاة وهو حمل فان قالوا قبل الولادة وقبل الحمل فقد زعموا انه اتحد قبل إن يكون انساناوقبل ان يصور وقولك فان كان ذلك كذلك فسد قول النسطورية ان القديم اتحد بانسان جزئي لان الانسان الجزئي انما كان انسانا جزئيا لما صار مصوراً بشريا فيقال له هذا السؤال لازم للطوائف الثلاثة فانهم يقولون بالاتحاد اعظم من النساطرة فان قيل هم يقولون انه اتحد بانسان كلي كان هذا من أفسد الاقاويل فان المسيح بشر معين جزئى يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه لم يكن انسانا كلياً ثم قال ويلزمهم ان يزعموا ان اللاهوت قد كان حل مع الناسوت تسعة أشهر ونحوها من بدء الحمل مقيما معه في الموضع الذى يحمل فيه الجنين ثم ولدا معاً وهذا خلاف قولهم ان مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته فيقال قد يقولون انه ولد الناسوت دون اللاهوت كما يقول الملكية انه صلب الناسوت دون اللاهوت وان كان هذا متناقضاً فالنساطرة اقل تناقضاً لان الملكية يقولون انهما شخص واحد اقنوم واحد فقد اتحد أحدهما بالآخر فاذا جاز مع هذا ان يفارق أحدهما الآخر فى الاكل والشرب والصلب والموت فمن قال انهما جوهران اقنومان هو اولى ان يقول ولدت احدهما دون الآخر ثم قال وان قالوا اتحد به وهو حمل صورة تامة قلنا لهم فقد كان الاله حملا قبل الولادة واذا جاز ان يحمل جاز ان يولد فيقال هم لايقولون بانهما صارا شخصاً واحداً اقنوماً واحداً بل يقولون جوهران أقنومان وحينئذ فلا يقولون حملت باله ولا ولدت الهاً كما لا يقول الملكية صلب اللاهوت ومات اللاهوت مع قولهم بان اللاهوت والناسوت اتحدا قال

من حين الحمل ولا يلزم ان يكون قد ولدت الهاً اذا لم يقولوا بالاتحاد بل قالوا هما جوهران اقنومان ولدت احدهما ولم تلد الآخر كما تقول الملكية معهم انه صلب احدهما ولم يصلب الآخر ومات احدهما ولم يمت الآخر وتألم احدهما ولم يتألم الآخر فكيف جوز الملكية حين الموت ان يحل الموت والصلب والاكل والشرب وسائر الامور البشرية باحد الجوهرين دون الآخر ولم يجوزوا حين الولادة ان تلد مريم احد الجوهرين دون الآخر وهل هذا الا من تناقضهم كقولهم جميعا انه صعد الى السماء وقعد عن يمين ابيه مع قولهم ان اللاهوت مع الناسوت قعد عن يمين الاب ويقولون مع ذلك ان اللاهوت القاعد عن يمين الآخر هو ذلك الآخر وهما جوهر واحد واله واحد مع قوله انه اله حق من اله حق فمناقضاتهم كثيرة ولاريب ان قول النسطورية ايضا متناقض لكن لايمكن ان نصحح قول الملكية دون قولهم بل قول الملكية اعظم فسادا وتناقضا فالنسطورية يقولون الاله لم يولد ولم يصلب واليعقوبية يقولون ولد وصلب والملكية يقولون ولد ولم يصلب ومتى جاز ان يولد جاز ان يموت ويصلب وان لم يجز ان يصلب ويموت لم يجز ان يولد فتجويز احدهما ومنع الآخر تناقض ويقال للملكية انتم تقولون أن اللاهوت اتحد بالناسوت عند الحمل وكان مسيحا وهو مصفوع ومصلوب وميت ومتألم وتقولون هذا كان بالناسوت دون اللاهوت فهذا التناقض من جنس تناقض النساطرة قال ابن البطريق ويقال للنساطرة ايضا متى اتحدت الكلمة بالانسان أقبل الولادة ام في حال الولادة فان قالوا قبل الولادة قلنا لهم قبل الولادة قبل الحمل او

تحمل الها ولم تلده وصح ماتعتقده الملكية ان مريم ولدت الها مسيحاً واحداً ابناً واحداً اقنوماً واحداً فيقال له ليس هذا اتناقض من النسطورية باعظم من تناقض الملكية فانهم مع قولهم باتحاد اللاهوت والناسوت وانهما شخص واحد يقولون ان أحدهما كان يأكل ويشرب ويصوم ويصلي ويتصرف وانه أخذ وصفع ووضع الشوك على رأسه وصلب وألم ومات دون الآخر فادا كان قول النسطورية متناقضاً فقول الملكية اعظم تناقضا فادا منعوا ان تحمل المرأة وتلد الناسوت دون اللاهوت لاحل الاتحاد الذى بينهما وجب ان يمنعوا ان يأكل ويشرب ويصلب ويقتل احدهما دون الآخر لاجل الاتحاد بطريق الاولى وكون الصلب والقتل اعظم منافاة للربوبية من حمل مريم به وولادته اياه لايمنع كون كل ذلك ممتنعاً على الله ومن جوز عقله ان يكون رب العالمين خرج من فرج مريم وهى بكر فقد جعل رب العالمين يخرج من ثقب صغير وهذا أعظم مايكون من الامتناع ومن جوز عليه هذا جوز عليه ان يخرج من كل ثقب مثل ذلك الثقب واكبر منه وجوز ان يخرج رب العالمين من فم كل حيوان وفرجه ومن شقوق الابواب وغير ذلك من الثقوب وان قالوا ذلك مكان طاهر قيل افواه الانبياء والصالحين اطهر من كل فرج فى العالم فيجوز ان يخرج من فم كل نبي وولي لله ومن اذنه ومن انفه فان هذه الخروق والثقوب افضل من فروج النساء تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً فهؤلاء النصارى يقولون ان كون الله مولودا من فرج مريم غير كونه مولودا في الازل من الاب بل هما ولادتان روحانية وجسمانية وهم اذا طولبوا بتفهيم

فان قالوا كان الاتحاد في حال الولادة قلنا فقد ولدت مريم الكلمة اذا مع الانسان والكلمة عندنا وعندهم اله فقد ولدت مريم الهاً فان قالوا نعم قلنا فاذا جاز ان يولد فلم لا يجوز ان يكون حملا فاذا أجازوا ذلك تركوا قولهم وان لم يجيزوه قلنا فما الفرق بين ان يكون مولودا و بين ان يكون محمولاً فان قالوا ليس الاله مولوداً ولم يكن الاتحاد قبل الولادة وهو ان يكون محمولا ولا في حال كونه ولدا في حال الولادة قلنا فهذا نقض قولكم ان مريم ولدت المسيح لان المسيح عندكم ليس هو الانسان وحده ومريم عندكم انما ولدت الانسان وحده واذا كان المسيح ليس هو الانسان وحده وعندكم انما ولدت الانسان وحده قبل الاتحاد فانما ولدت اذاً ما ليس بمسيح اذ كان انما كان مسيحاً بالاتحاد وكان الاتحاد بعد الولادة فانما كان مسيحاً بعد الولادة فاذا كان هذا عندكم فاسداً وكانت مريم ولدت المسيح فمريم لم تلد الانسان وحده وهذا يوجب انها قد ولدت الاله مع الانسان ويوجب ان الاتحاد كان قبل الولادة قال فقد تبين زائف ما تعتقده النسطورية من ان مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وصح ان مريم ولدت الهاً مسيحا واحداً قال ويقال لهم اذا زعمتم ان المسيح جوهران جوهر قديم وجوهر محدث ثم زعمتم ان مريم ولدت المسيح فقد اقررتم ان مريم ولدت هذين الجوهرين اللذين هما المسيح واذا ولدتهما واحدهما اله فقد ولدت الهاً قديما ولا يجوز ان تلد الا ما كان محمولا فهذا يوجب انها قد كانت حاملة لذلك الاله فقد تبين زايف ما تعتقده النسطوريه ان مريم لم

الالفاظ المتشابهة لا نعلم مراد الرسول بها كان هذا مما قد يعذرون به فان المتشابه من النصوص لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فاذا قالوا لسنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله كانوا شاهدين على أنفسهم بعدم العلم وشهادة الانسان على نفسه مقبولة بخلاف القول الذى تكلموا به هم وزعموا ان معناه يدل عليه كلام الأنبياء او يدل عليه العقل فان عليهم ان يبينوا معناه الذي عنوه به وعليهم ان يبينوا انه قد دل على ذلك شرع او عقل فاذا قالوا نفس الكلام الذي قلناه لا نتصور معناه كانوا معترفين انهم يقولون على الله مالا يعلمون وهذا حرام عليهم وان قالوا ان كلام الأنبياء دل على ذلك كان غاية ما عندهم التمسك بالمتشابه وحينئذ فيطالبون بتفسير المتشابه والجمع بينه وبين المحكم على وجه صحيح معلوم والا فاذا قالوا هذا فوق العقل لا نفهمه قيل لهم فدعوا المتشابه لا تحتجون به ولا تذكرون له معنى تزعمون انكم لا تعقلونه فمتى ثبت عن الأنبياء قول وقال قوم انا لا نفهمه انهم يصدقون على انفسهم واما اذا فسروا كلام الانبياء بقول عبروا به عن مراد الأنبياء وقالوا هذا مرادهم مع تعبيرهم عنه بعبارات اخرى طولبوا بان يبينوا ذلك المعنى وقيل لهم ان فهمتم ماقلتموه فبينوه وان لم تفهموه فلا تتكلموا بلا علم قال سعيد بن البطريق ان أئمة الضلالة اعنى نسطوريوس وارطيوس وديسقورس وسورس ويعقوب البراذعي واشياعهم الذين ارادوا ان يقيموا الزيف والمحال ولم يراجعوا الى خشية الله وزاغوا عن سبيل الحق لسوء رايهم فقد تورطوا في بحر الضلالة وهم جميعا فيما ارتطموا فيه من ضلالتهم يضمرون جهلا منهم باتحاد لاهوت سيدنا المسيح بناسوته

ما يقولونه وقيل لهم هذا لا يتصور ان يكون رب العالمين يخرج من نقب ضيق لافرج ولا فم ولا اذن ولا غير ذلك من الانقاب قالوا هذا فوق العقل واعترفوا بان هذا لا يتصوره العقل • فيقال لهم هذا الكلام لم يقله نبي من الانبياء ولم ينطق نبي من الانبياء بان مريم حملت برب العالمين وولدته بل ولا نطق نبي من الانبياء بان الله مولود ولا شيء من صفاته مولود لاعامه ولا حياته ولا غير ذلك ولا نطق نبي من الانبياء لا المسيح ولا غيره بان الله اتحد بشيء من المخلوقات وليس في الانجيل وغيره مما ينقل عن الانبياء شيء من ذلك بل غاية ما فيها كلمات مجملة متشابهة كقوله انا وأبي واحد كما قال الله لمحمد (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) وقوله (من يطع الرسول فقد أطاع الله فاذا قال بعض ملاحدة المسلمين من الشيعة أو المتصوفة أو غيرهم ان الله اتحد بمحمد) لقوله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) كان هذا من جنس قول النصارى والآية لم تدل على ذلك بل مبايعة الرسول مبايعة لله لان الرسول أمر بما أمر الله به ونهي عما نهى الله عنه فليس فى كلام الانبياء ان الله ولا شيئا من صفاته مولود الولادة التى يسمونها ولادة عقليـة وروحانية ولا في كتبهم ان شيئا من صفات الله تسمى ابنا لله ولا ان اللاهوت ابن الله فضـلا عن ان ينطقوا بان الله مولود من امرأة ولادة وخرج من فرجها فيكون مولوداً ولادة جسمانية ولهذا لما تنازعت النصارى فى ذلك لم يكن لمن ادعاه على من نفاه حجة من نصوص الانبياء غاية ما عندهم التمسك بالفاظ متشابهة وتغيير الفاظ صريحة محكمة تبين ان المولود انما هو بشر فاذا قالوا فى

الانسان الكاملة بجسدها ودمها وروحها العاقلة الكلمانية وصارت كلمة الله بقوامها قواما لتثليث الناسوت التي كمل جوهرها بتقويم قوام كلمة الله اياها لانها لم تخلق ولم تك شيئاً الا نقول من كلمة الله الذي خلقها وكونها لامن شئ لاسبق قبل ذلك في بطن مريم ولا من شئ كان لها من نطفة ولامن غير ذلك غير قوام الكلمة الخالقة الذي هو احد التثليث الالهي فذلك القوام معدود معروف مع الناس لما ضم اليه وخلقه له التحم به من جوهر الانسان فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد قوام لكلمة الله الخالقة واحد فى التثليث بجوهر لاهوته واحد فى الناس بجوهر ناسوته وليس باثنين ولكن واحد مع الاب والروح وهو اياه واحد مع الناس جميعاً بجوهرين مختلفين من جوهر اللاهوت الخالق وجوهر الناسوت المخلوق بتوحيد القوام الواحد قوام الكلمة التى هى الابن المولود من الله قبل الادهار كلها وهو اياه المولود من مريم العذراء في آخر الزمان من غير مفارقة من الاب ولا من روح القدس * قلت فهذا كلام سعيد بن البطريق الذي قرر به دين النصارى وفيه من الباطل ما يطول وصفه لكن نذكر من ذلك وجوها • الوجه الاول قوله ان من عظم تدبير الله ان بعث كلمته الخالقة التى بها خالق كل شيء من جوهره ليست مخلوقة ولكن مولودة منها فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائم الدائم فالتحمت من مريم العذراء • فيقال قد جعلت الكلمة خالقة وقلت بعد هذا ولا كانت الكلمة برية منه ولا من روحه الخالقة وقلت بعدها فاحتجبت الكلمة الخالقة بانسان مخلوق خلقته لنفسها بمسرة الاب وموازرة روح القدس جميعاً خلقاً جديداً * فيقال لهم اخالق العالم عندكم خالق واحد

ويتورط كل واحد منهم في وجه من وجوه الخلطة ويتمسك به فقد رايت ان اوضح وجه الخلطة وابين ذلك لتقف على فساد قولهم ان من عظيم تدبير الله وكمال عدله وجليل رحمته ان بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء من جوهره ليست مخلوقة ولكن مولودة منه من قبل كل الدهور ولم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط ولا كانت الكلمة برية منه قط ولا من روحه الخالقة ولا من جوهره فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائم الدائم الثابت الذي لم يزل ولا يزال فالتحمت من مريم العذراء وهي جارية طاهرة مختارة من نسل داود اصطفاها الله لهذا التدبير من نساء العالمين وطهرها بروح القدس وروحه الجوهرية حتى جعلها اهلا لحلول كلمة الله الجوهرية بها فاحتجبت الكلمة الخالقة بانسان مخلوق خلقته لنفسها بمسرة الآب وموازرة روح القدس خلقاً جديداً من غير نطفة آدمية جرت عليها الخطيئة ومن غير مجامعة بشرية ولا انفكاك عذرة تلك الجارية المقدسة فهو انسان تام بجسده ونفسه الدموية وروحه الكلمانية التي من صورة الله في الانسان وشبهه فكانت مسكناً لله في حلوله واحتجابه للطفها عن جميع مالطف من الخلائق كلهم واعلم انه لا يرى شيء من لطيف الخلق الا في غليظ الخلق ولا يرى ماهو لطيف من اللطيف الا مع ماهو اغلظ منه فيما يظهر لاهل الاثقال من غليظ الخلق وانا وجدنا روح الانسان العاقلة الكلمانية الطف من لطايف الخلق فلذلك كانت اولى خلق الله بحجاب الله فكانت لها حجاباً ولمن هو الطف منها وكانت النفس الدموية لها حجاباً والجسد الغليظ حجاباً فعلى هذا خالطت كلمة الله الخالقة لنفس

والتوراة كلام الله والانجيل كلام الله ولا يقول احد ان شيئاً من ذلك خلق السموات والارض ولا يقول احد يا كلام الله اغفرلى وارحمنى فقول هؤلاء ان كلمته هى الخالقة وانه خلق بها كلام متناقض فانها ان كانت هي الخالقة لم تكن هى المخلوق به فالمخلوق به ليس هو الخالق الثالث ان يقال قولكم كلمة الله الخالقة اهى كلام الله كله أم هي بعض كلام الله ام هي المعنى القائم بالذات القديم الازلي الذى يثبته ابن كلاب ام حروف وأصوات قديمة ازلية كما يقوله بعض الناس ام هي الذات المتكلمة؟ فان كانت هي الذات المتكلمة فهى الاب والرب وتكون هي الموصوفة بالحياة فلا يكون هناك كلام مولود ولا كلمة ارسلت ولا غير ذلك مما ذكروه وهذا خلاف قولهم كلهم فان الكلمة المتحدة بالمسيح ليست هى الاب عندهم. وان قالوا بل هي كلام الله كله. قيل لهم فيكون المسيح هو التوراة والانجيل والقرآن وسائر كلام الله وهذا لايقولونه ولم يقله أحد ولا يقوله عاقل. وان قالوا انها هي المعنى الواحد القديم الازلى أو الحروف والاصوات القديمة الازلية. قيل لهم هذان القولان وان كانا باطلين فان قلتم بهما لزمكم ان يكون المسيح هو كلام الله كله فان هذين عند من يقول بهما هما جميع كلام الله والتوراة والانجيل وسائر كلام الله عبارة عن ذلك المعنى القائم بذات الله وهو الحروف والاصوات القديمة القائمة بالذات عند من يقول بهذين وان قلتم ان المسيح بعض كلمات الله. فحينئذ لله كلمات اخر غير المسيح فاجعلوا كل كلمة خالقاً كما جعلتم الكلمة المتحدة بالمسيح خالقاً اذ كنتم تقولون الكلمة هى الخالقة وهي المخلوق بها فقولوا عن سائر كلمات الله انها خالقة مخلوق بها وحينئذ فيتعدد الخالق بتعدد كلمات الله

وهو الله واحد أم للعالم ثلاثة آلهة خالقون ؟ فان قالوا ان الخالق واحد وهم ثلاثة آلهة خالقون كما انهم في كثير من كلامهم يصرحون بثلاثة الهة وثلاثة خالقين ثم يقولون اله واحد وخالق واحد . فيقال وهذا تناقض ظاهر فاما هذا وأما هذا . واذا قلتم الخالق واحد له ثلاث صفات لم ننازعكم في ان الخالق له صفات لكن لا يختص بثلاثة . فان قالوا بثلاثة الهة ثلاثة خالقين كما قد كثر منهم في كثير من كلامهم بان كفرهم وعظم شركهم وبان ان شركهم اعظم من كل شرك في العالم فغاية المجوس الثنوية اثبات اثنين نور وظلمة وهؤلاء يثبتون ثلاثة ثم الادلة السمعية في التوراة والانجيل والزبور وسائر كلام الانبياء مع الادلة العقلية المبينة لكون الخالق واحداً كثيرة جداً لا يمكن حصرها هنا . وان قالوا ان الخالق واحد له صفات . قيل لهم فهذا مناقض لقولكم انه بعث كلمته الخالقة وقولكم ولا كانت الكلمة برية منه ولا من روحه الخالقة وقولكم فهبطت الكلمة الخالقة وقولكم فاحتجبت الكلمة الخالقة بانسان مخلوق خلقته لنفسها بمسرة الاب وموازرة الروح . فهذا يقتضي ان الكلمة خالقة وان الروح خالقة وانها خلقت بمسرة الاب الخالق وموازرة الروح الخالقة وهذا الخالق هبط والاب لم يهبط فاذا كان الخالق واحداً له صفات لم يكن هنا الا خالق واحد . الوجه الثاني قولكم بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء وقد نطقت الكتب بان الله يخلق الاشياء بكلامه فيقول لها كن فيكون هكذا في القرآن والتوراة وغيرهما لكن الخالق هو الله تعالى يخلق بكلامه ليس كلامه خالقاً ولا يقول أحد قط ان كلام الله خالق السموات والارض

بلا كلمته ولا روحه قط ٠ من قال من الانبياء انه لم يكن بلا روحه قط او ان روحه صفة له قديمة أو انها حياته؟ وكلام الانبياء كله ينطق بأن روح الله وروح القدس ونحو ذلك هو ماينزله على الانبياء كالوحي والتأييد أو الملائكة فليست روح الله صفة قائمة به ولا غيرها ولكنها امر بائن عنه. الوجه السادس انه اذا كان قد بعث كلمته الخالقة وهبطت والتحمت من مريم فهو نفسه رب العالمين هبط والتحم من مريم أم رب العالمين نفسه لم يهبط ولم يلتحم من مريم وانما هبط والتحم الكلمة التي أرسلها فان قلتم هو نفسه هبط والتحم كان الاب الوالد للكلمة هو الذي هبط والتحم وكان الاب هو الكلمة وهذا مناقض لاقوالكم ٠ وان قلتم ان المبعوث الهابط الملتحم ليس هو الاب بل هو كلمة الرب فقد جعلتموه الخالق فيكون هناك خالقان خالق ارسل فهبط والتحم ٠ وخالق ارسل ذلك ولم يهبط ولم يلتحم وقد ثبتم خالقا ثالثا وهو الروح وهذا تصريح بثلاثة آلهة خالقين ٠ الوجه السابع انه قال ان الله بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء فمع كونه جعلها خالقة جعل انه بها خلق كل شيء والذي خلق بها كل شيء هو خالق فجعلها خالقة وجعل خالقاً آخر وجعل احد الخالقين قد خلق الآخر به كل شيء وجعل هذا الخالق قد بعث ذاك الخالق الذي به خلق كل شيء وجعل الكلمة الخالقة احتجبت بانسان مخلوق خلقته لنفسها بمسرة الاب وموازرة روح القدس خلقا جديداً واذا كانت هي الخالقة بمسرة الاب الخالق على الخلق فالاب لم يخلقه بل سر بذلك وروح القدس وازرت ذلك والخالق خالق الخلق ومعلوم انه اذا كان للخالق من يوازره على الخلق لم

واذا كانت كلمات الله لا نهاية لها كان للخالق خالقون لا نهاية لهم وهذا غاية الباطل والكفر وبالجملة اى شى فسروا به الكلمة تبين به فساد قولهم ولكنهم يتكلمون بما لا يفهمونه ويقولون الكذب والكفر المتناقض وانما عندهم تقليد من اضلهم كما قال تعالى (يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل * الوجه الرابع ان يقال لهم مالم يعلم بالمعقول فليس فى المنقول مايدل عليه وانتم لا تدعون انكم عرفتموه بالعقل لكن بما نقل عن الانبياء وانتم قد فسرتم كلمته بعلمه وحكمته وروح القدس بحياته فمن اي نبي تنقلون ان علم الله وحكمته مولودة منه وانه يسمى ابنا وان علمه أو حكمته خالق كل شيء وان حياته خالقت كل شيء وان علمه خالق واله ورب وحياته خالقة واله ورب وليس في الانبياء من سمى شيئا من صفات الرب ولداً له ولا ابنا ولا ذكر ان الله ولد شيئاً من صفاته فدعوا كم ان صفته القديمة الازلية ولدت مرتين مرة ولادة قديمة أزلية • وولادة حادثة من فرج مريم كذب معلوم على الانبياء لم يقل أحد منهم ان الله ولد ولا ان شيئاً من صفاته ولده لا ولادة روحانية ولا ولادة جسمانية وهذا وان أبطل قول الملكية فهو لقول اليعقوبية أشد ابطالا وهو مبطل أيضا لقول النسطورية فانهم يقولون بالامانة التي فيها انه مولود قديم أزلى فان طوائفهم الثلاثة متفقون على الامانة التى ابتدعوها في زمن قسطنطين بعد أكثر من ثلاثمائة سنة من المسيح. الوجه الخامس قولكم بعث كلمته الخالقة فهي كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء ليست مخلوقة ولكن مولودة منه ولم يكن الله

تكلموا بروح الله وروح القدس ونحو ذلك ولم يرد احد بذلك حياة الله قط فتسمية حياة الله روحا وتفسير مراد الانبياء بذلك افتراء على الله ورسله . الوجه الثامن قوله فهبطت كلمة الله الخالقة بقوامها القائم الدائم الثابت الذي لم يزل ولا يزول فالتحمت من مريم العذراء وهي جارية طاهرة مختارة من نسل داود اصطفاها الله لهذا التدبير من نساء العالمين وطهرها بروح القدس روحه الجوهرية التي جعلها أهلا لحلول كلمة الله الجوهرية بها فاحتجبت الكلمة الخالقة بانسان مخلوق خالقته لنفسها بمسرة الأب وموازرة روح القدس خلقاً جديداً ، فيقال ان الكتب دلت على ان المسيح تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء البتول وهكذا هو في الامانة التي لهم وبهذا اخبر القرآن حيث اخبر في غير موضع انه نفخ في مريم من روحه مع أخباره انه ارسل اليها روحه قال تعالى (واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكيا قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغيا قال كذلك قال ربك هو عليَّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة) وقال تعالى (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) وقال تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) فالكتب

يكن مستقلا بالخالق بل يكون له فيه شريك فهـذه الكلمة تارة يقولون هي الخالقة وتارة يقولون خاق بها الخالق فخلقت وتارة يقولون ان روح القدس وازرها في الخلق فهذه اربعة اقوال ينقض بعضها بعضا فان كان الله هو الخالق لكل شئ فالخالق واحـد فليس هناك خالق آخر ولا شريك له فى الخلق . والخالق اذا خلق الاشياء بقوله كن لم يكن كلامه خالقا ولو كانت كل كلمة الهـاً خالقاً لكان الآلهة الخالقون كثيرين لانهاية لهم • ثم قال ليست بمخلوقة ولكن مولودة منه من قبل كل الدهور • فيقال من من الانبياء سمى شيئا من صفات الله مولوداً قديما أزليا فكيف يكون مولود قديم أزلي وهل يعقل مولود الا محدثا • وأيضا فاذا جاز ان تكون الكلمة التي يفسرونها بالعلم او الحكمة مولودة منه • فكذلك تكون مولودة منـه وان كانت حياته منبثقة منه فكلمته منبثقة منه فجعل احدى الصفتين الازليتين مولودة من الازل غـير منبثقة والاخرى ليست مولودة من الازل بل منبثقة مع كونه باطلا فهو متناقض وتفريق بين المتماثلين فانه ان جاز ان يقال للصـفة القديمة الازلية انها مولودة منه فالحياة مولودة • وان جاز ان يقال انهـا منبثقة فالكلمة منبثقة وايضا فكون الصفة الها خالقا واثبات ثلاثة آلهة خالقين مع قولهم ان الخالق واحد تناقض آخر وأيضا فقوله ولم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط • ان أراد بروحه حياته فهذا صحيح لكن من من الانبياء سمى حياة الله روحـه • ومن الذي جعل لله روحاً قديمة أزلية وهل هذا الا افتراء على الانبياء وليس لقائل ان يقول ان هذا نزاع لفظي فلا اعتبار به لان هـذا تفسير لكلام الانبياء فهم الذين

فلمَ لايجوز ان تكون زوجة للخالق الذي هو الاب مع ان الخالق التحم من مريم وقد قلتم لم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط ولا كانت الكلمة برية منه قط ولا من روحه الخالقة ولا من جوهره فجعلتم الروح خالقة والله الذي هو الاب خالقا والمسيح قد تجسد من الروح الخالقة ومن مريم فكما ان مريم امه فالروح الخالقة بمنزلة أبيه وأيضاً فمريم لها اتصال بالأب وبروح القدس وكلاهما أب للمسيح على ماذكرتموه فاذا كانت مريم متصلة بكل واحد ممن جعلتموه أبا للمسيح وقلتم ان الخالق التحم من مريم فهذا أبلغ مايكون من جعل الخالق زوج مريم ومهما فسرتم به اتحاد اللاهوت بناسوت المسيح المخلوق منها كان تفسير التحام اللاهوت بناسوت مريم حتى يصير زوجا لمريم أولى وأحرى وليس في ذلك نقص ولا عيب الا وفي كون اللاهوت بن مريم ماهو أبلغ منه في النقص والعيب ومعلوم ان الانسان أعلى قدراً عنده من زوجته وان تسلطه على زوجته أعظم منه على أمه فان الرجل مالك للزوجة قوام عليها والمرأة أسيرة عند زوجها بخلاف أمه فاذا جعلتم اللاهوت الخالق القديم الازلى ابنا لناسوت مريم بحكم الاتحاد مع كونه خالقاً لها بلاهوته وابناً لها بناسوته ولم يكن هذا ممتنعاً عندكم ولا قبيحاً • فان تكون مريم صاحبة له وزوجة وأمرأة بحكم الالتحام بالناسوت أولى وأحرى • وان كان هذا ممتنعاً وقبيحاً فذاك أشد امتناعا وقبحاً ولهذا ذهب طوائف من النصارى الى ان مريم أمرأة الله وزوجته وقالوا انما هو أبلغ من ذلك حتى ذكروا شهرة النكاح ولقد قال بعض أكابر عقلاء الملوك ممن كان نصرانياً انهم كانوا اذا نبهوا على قولهم ان عيسى بن الله لم يفهموا

الالهية يصدق بعضها بعضا لكن دعواكم ان روح القدس روح الله الجوهرية اى حياته القديمة الازلية أمر مخالف لجميع كتب الله وانبيائه فلم يفسر أحد منهم روح القدس بصفة لله لاجوهرية ولا غير جوهرية ولا قديمة ولا غير قديمة ولا أرادوا بذلك حياة الله فقولكم هذا تبديل لكلام الله وكلام انبيائه ورسله كما انكم في قولكم ان كلمة الله أو علمه أو حياته مولود منه وان صفته القديمة الازلية هي ابنه ماحرفتم فيه كلام الانبياء فلم يرد أحد منهم هذا المعنى بهذا اللفظ قط ولم يطلق فى جميع الكتب التى عندكم لفظ الابن والمولود الا على محدث مخلوق لاعلى شيء قديم أزلي لاموصوف ولا صفة لاعلم ولا كلام ولا حكمة ولا غير ذلك وكل ولادة في الكتب الالهية التي عندكم وغيرها فهي ولادة حادثة زمانية وكل مولود فهو محدث مخلوق زماني ليس في الكتب ولادة قديمة أزلية ولا مولود قديم ازلى كما انكم ذكرتم ذلك فى أمانتكم وغيرها فلو كان ماذكرتموه ممكنا في المعقول لم يجز ان تجعلوه موجودا واقعا وتقولوا الانبياء أرادوا بذلك إلا ان يكونوا بينوا ان ذلك مرادهم • فاذا • كان كلامهم صريحا في أنهم لم يريدوا ذلك والمعقول الصريح يناقض ذلك كان ماقلتموه كذبا على الله وعلى انبيائه ورسله ومسيحه وكان باطلا فى المعقول وكنتم ممن قيل فيه لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا في أصحاب السعير ثم يقال انتم قلتم ان الكلمة الخالقة هبطت فالتحمت من مريم واحتجبت بانسان مخلوق خلقته لنفسها وقلتم ان مريم حملت بالاله الخالق وولدته الذى هو الابن فاذا جوزتم ان تكون مريم هى امًّا للخالق الذى هو الابن حملته وولدته

ان الروح انما نفخت فيه بعد اربعة أشهر ومن قال انها نفخت فيه من حين أخذ الجسد من مريم وهذا يشبه قول جمهور النصارى الذين يقولون ان المسيح مات وصاب وفارقته الروح الباطلة المنفوخة فيه والاله المتحد به لم يفارقه أبداً فانهم يقولون انه من حين اتحد بناسوت المسيح لم يفارقه بل هو الآن متحد به وهو في السماء قاعد عن يمين ابيه وذلك القاعد هو الخالق القديم والاب هو الاله الخالق القديم الازلى وهما مع ذلك اله واحد والمقصود هنا انهم يقولون باتحاد اللاهوت بجسد لا روح فيه قبل النفخ وبعد الموت الى ان قام من قبره فعادت الروح اليه وحينئذ لم يظهر من تلك المضغة من العجائب وهم يستدلون على الهية المسيح بالعجائب مع انه كان الاله متحداً به قبل ان يظهر العجائب وحينئذ فلا يلزم من عدم ظهور العجائب من شئ الجزم بأن الرب لم يتحد به مع امكان الاتحاد ويلزم ان كل جامد وحي ظهرت منه العجائب ان يكون ذلك دليلا على ان الرب اتحد به وحينئذ فعباد العجل اعذر من النصارى • وان كان من عباد الاصنام من يقول ان الصنم خالق السموات والارض فهو اعذر من النصارى لان ظهور العجائب من الحيوان الاعجم والجماد اعظم من ظهورها من الانسان الناطق لا سيما الانبياء والرسل فان الانبياء والرسل معروفون بظهور العجائب على ايديهم فاذا ظهرت على يد من يقول اني نبي مرسل كانت دليلا على نبوته لا على الهيته والمسيح كان يقول اني نبي مرسل كما ذكر ذلك فى الانجيل في غير موضع • فأما الحيوان الاعجم والجماد فلا يجوز ان يكون نبياً فان جاز الاتحاد بالمضغة والجسم المقبور الذي لا روح فيه فاتحاده

من ذلك إلا ان الله أحبل أمه وولدت له المسيح ابنه كما يحبل الرجل المرأة وتلد له الولد فيكون قد انفصل من الله جزء فى مريم بعد ان نكحها وذلك الجزء الذي من الله ومن مريم ولدته مريم كما تلد المرأة الولد الذي منها ومن زوجها وقد قالت الجن المؤمنون (وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) فنزهوه عن هذا وهـذا وهؤلآء الجن المؤمنون أكمل عقلا ودينا من هؤلآء النصارى وقال تعالى (بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شيء عليم) فقوله انى يكون له ولد تقديره من أين يكون له ولد فانى فى اللغة بمعنى من أين ذلك وهذا استفهام انكار فبين سبحانه انه يمتنع ان يكون له ولد ولم تكن له صاحبة مع انه خالق كل شىء وان هذا الولد يمتنع ان يكون وان هذا الامتناع مستقر في صريح المعقول ثم اذا كانت الكلمة التى هى الخالق المخلوق به قد حلت فى جوف مريم والتحمت من مريم وخلقت منها انسانا هو المسيح خالقته لنفسها واحتجبت به واتحدت به فهل كان خالقها لهذا الانسان قبل الاتحاد والاحتجاب أم حين ذلك؟ فانه بعد ذلك ظاهر الامتناع محال انها بعد الاحتجاب به والاتحاد خالقته بل لابد ان تكون خالقته قبله أو معه فان كان معه لزم كون المخلوق متحداً بالخالق دائماً لم تمر عليه لحظة الا وهو متحد به فاذا أمكن ان يقارن المخلوق خالقه وعندهم انه أقام تسعة أشهر حملا كعامة الناس وقد ذكر سعيد بن البطريق هذا فاذا كان كذلك كان الرب متحدا بالمضغة والجماد الذي لاروح فيه واذا جاز عليه هذا جاز ان يتحد بسائر الجمادات وهذا على قول الاكثرين الذين يقولون

وعاينوه اولم يره احد فان قلتم قد رآه الناس وعاينوه فهذا مخالف للحس والشرع والعقل اما الحس فان احدا ممن راى المسيح لم ير شيئاً يتميز به المسيح عن غيره من البشر غير العجائب التي ظهرت على غيره منها ماهو اعظم مما ظهر عليه ولم ير الا بدن المسيح الظاهر لم ير باطنه لا قلبه ولا كبده ولا طحاله فضلا عن ان يرى روحه فضلا ان يرى الملائكة الذين يوحون اليه فضلا عن ان يرى الله ان قدر انه كان متحدا به او حالا فيه فدعوى المدعي ان من راى المسيح فقد راى الله عيانا ببصره في غاية المباهتة والمكابرة والكذب لو قدر ان الله حال فيه او متحد به فانه من المعلوم ان الملائكة تنزل على المسيح وغيره وتتصل بارواحهم والناس لا يرون الملائكة بل الجن تدخل في بني آدم والناس لا يرونهم وانما يرون جسد المصروع وكل انسان معه قرينه من الملائكة وقرينه من الجن وهو نفسه لا يرى ذلك ولا يراه من حوله وتحضره الملائكة وقت الموت ولا يراهم من حوله مع انه هو يراهم قال تعالى (فلولا اذا بلغت الروح الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين) فاذا كانت هذه المخلوقات التي اتفق اهل الملل على اقترانها بالانسان واتصالها بهم وان رؤيتها ممكنة لا يراها الناس فكيف يقال ان المسيح الذي لم ير الناس منه الا ما راوه من امثاله من الرسل كابراهيم وموسى ولم يكن له قط شيء يتميز به عن جنس الرسل كيف يقال ان الذين راوه راوا الله عيانا بابصارهم . واما الشرع فموسى والمسيح وغيرهما من الانبياء اخبروا ان أحداً لا يرى الله في الدنيا . وأما العقل فان رؤية بعض ملائكة الله او

بالعجل وبالصنم اولى وحينئذ فخوار العجل عجيب منه فاستدلال عباد العجل بذلك على انه إله خير من استدلال النصارى على الهية المضغة ان قدر ظهور شيء من العجائب التي قد يستدلون بها • وان كانت تلك لاتدل الا على نبوته صلى الله عليه وسلم تسليما • الوجه التاسع قوله فاحتجبت الكلمة الخالقة بانسان مخلوق خلقته لنفسها وقوله فكانت مسكنا في حلوله واحتجابه للطفها عن جميع مالطف من الخلائق كلهم • يقال له اولا من اين لك ان روح الانسان الطف من جميع المخلوقات وانها الطف من الملائكة والروح الذي قال الله فيه (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من اذن له الرحمن) وانها الطف من الروح التي نفخ في آدم منه بقوله (ونفخت فيه من روحي) وبتقدير ان تكون الطف فانت لاتقول ان الاحتجاب والاتحاد كان بروح الانسان مجردة بل بالجسد الناسوتي الدموي الغليظ وتقول ان الخالق التحم من مريم العذراء فتجعل الخالق قد التحم من لحم مريم ومن رحمها الذي هو لحم ودم وهذه اجساد كثيفة بل جمهورهم يقول اتحد بجسد لاروح فيه قبل النفخ وبعد الموت وقبل ان يقوم من قبره. وحينئذ فقولك فكانت مسكنا لله في حلوله واحتجابه للطفها عن جميع مالطف من الخلائق كلهم و . ف ممنوع والتعليل به باطل فانه لو كان مسكنا للطفه لم يجز ان يسكن الا في الروح اللطيفة فلما اثبت اتحادا بالجسد الكثيف بطل قولك انه اتحد بالانسان للطفه • الوجه العاشر قولكم واعلم انه لايرى شيء من لطيف الخلق الا في غليظ الخلق ولايرى ماهو لطيف من اللطيف الامع ماهو اغلظ منه. يقال لهم اما ان يكون الله لما اتحد بالمسيح عندكم قد رآه الناس

أولى خالق الله بحجاب الله فكانت له حجاباً وكانت النفس الدموية لهـا حجاباً والجسد الغليظ حجاباً فعلى هـذا خالطت كلمة الله الخالقة لنفس الانسان الكاملة لجسدها ودمها وروحها العاقلة الكلمانية وصارت كلمة الله بقوامها قواما لتثليث الناسوت التى كمل جوهرها بتقويم قوام كلمة الله اياها لانها لم تخلق ولم تك شيئاً الا بقول من كلمة الله الذي خلقها وقومها لامن شيء سبق قبل ذلك فى بطن مريم ولا من سبب كان لها من غير ذلك غير قوام الكلمة الخالقة الذى هو احد التثليث الآلهي *فيقال لهم هذا الكلام يقتضي ان الخالق احتجب بالنفس الناطقة والنفس الناطقة احتجبت بالبدن وأنتم تصرحون بان نفس الكلمة التي هى الخالق وهى الله عندكم التى خلقت لنفسها انساناً احتجبت به وقلتم هو انسان تام بجسده ونفسه الدموية وروحه الكلمانية أى نفسه الناطقة التي هى صورة الله في الانسان وشبهه فكانت مسكنا لله فى حلوله واحتجابه فصرحتم بان البدن مع الروح مسكن لله في حلوله واحتجابه وانه هو الذى خلق ذلك البدن والروح وقلتم ان هذه الكلمة الخالقة المحتجبة التى قلتم انها الله التحمت من مريم العذراء. فاذا كان الله الخالق قد التحم من مريم العذراء فمعلوم ان ذلك قبل نفخ النفس الناطقة التي سميتموها الروح الكلمانية في المسيح .واذا كان الخالق تعالى قد التحم بجسد لاروح فيه والتحامه به أبلغ من حلوله فيه ثم اتخذ الجسد حجابا قبل نفخ الروح الكلمانية فيه .فكيف يقال انما حل فى الروح لافي البدن وهو قد التحم بالبدن واتخذ منه جزأً مسكنا له وحجابا قبل ان ينفخ فيه الروح الكلمانية وقلتم أيضا فعلى هذا خالطت كلمة الله الخالقة

بعض الجن يظهر لرأيها من الدلائل والاحوال مايطول وصفه فكيف بمن رأى الله والذين رأوا المسيح لم يكن حالهم الاكحال سائر من رأى الرسل منهم الكافر به المكذب له ومنهم المؤمن به المصدق له بل هم يذكرون من اهانة ناسوته مالايعرف عن نظرائه من الرسل مثل ضربه والبصاق فى وجهه ووضع الشوك على رأسه وصلبه وغير ذلك وايضاً فمعلوم ان من رأى الله اما ان يعرف انه الله او لايعرف فان عرف انه رأى الله كان الذين رأوا المسيح قد علموا انه الله ولو علموا ذلك لحصل لهم من الاضطراب مايقصر عنه الخطاب • وان كانوا لم يعرفوه فهذا فى غاية الامتناع حيث صار رب العالمين لايميز بينه وبين غيره من مخلوقاته بل يكون كواحد منهم ولا يميز بينه وبينهم ولا يعرف الرائى ان هذا هو الله • ولوازم هذا القول الفاسدة كثيرة جداً وان قالوا ان الله لم يرلما اتحد بالمسيح وانما رأى جسد المسيح الذى احتجب به الله • فقولهم بعد ذلك واعلم انه لايرى شئ من لطيف الخلق الا في غليظ الخلق ولا يرى ماهو لطيف من اللطيف الا مع ما هو اغلظ منه كلام لافائدة فيه . اذ كان هذا مثلا ضربوه لله ليبينوا انه يرى فاذا سلموا انه لم ير لم يكن فى هذا المثل فائدة بل كان هذا استدلالا على شيء يعلمون انه باطل وايضاً فما ذكروه من ان اللطيف لايرى الا في الغليظ باطل فان اللطيف كروح الانسان لاترى فى الدنيا وان علم وجودها وأحس الانسان بروحه وصفاتها فرؤيتها بالبصر غير هذا يبين ذلك • الوجه الحادي عشر قولهم وانا وجدنا روح الانسان العاقلة الكلمانية يعنون النفس الناطقة الطف من لطيف الخلق فلذلك كانت

هم فى ضلال وجهل لايتصورون معقولا ولا يعرفون مايقولون بل ولا لهم اعتقاد يثبتون عليه فى المسيح بل مهما قالوه من بدعهم كان باطلا وكانوا هم معترفين بانهم لايفقهون مايقولون • لهذا يقولون هذا فوق العقل ويقولون قد اتحد به بشر لا يدرك فما لايدرك وما هو فوق العقل ليس لاحد ان يعتقده ولا يقوله برأيه لكن اذا أخبرت الرسل الصادقون بما يعجز عقل الانسان عنه صدقهم وان نقل عنهم ناقل مايعلم بصريح العقل بطلانه علم انه يكذب عليهم إما في اللفظ والمعنى وإما في أحدهما واما اذا كان هو يقول القول الذي يذكر انه علم صحته أو انه فسر به كلام الانبياء وهو لايتصور مايقوله ولا يفقهه • فهذا قائل على الله وعلى رسله مالا يعلم وهذا قد ارتكب أعظم المحرمات قال تعالى (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون) وقال تعالى عن الشيطان (انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله مالا تعلمون) وقال تعالى (ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له مافى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً اليما ولا يجدون

لنفس الانسان الكاملة بجسدها ودمها وروحها العاقلة الكلمانية هـذا
تصريح بان الخالق خالط الانسان بجسده ودمه وروحه وتقولون انما
احتجبت بالروح اللطيفة مع تصريحكم بان الخالق اختلط بالجسد والدم
وهذا أيضا يناقض قول من قال انه اتحد به اتحاداً بريا من الاختلاط
فقد صرحتم هنا انه اختلط به وسيأتى بعض نظائر هـذا في كلامهم
يصرحون فيه باختلاط اللاهوت بالناسوت . الوجه الثانى عشر قولكم
غير قوام الكلمة الخالقـة الذى هو احد التثليث الالهي فذلك القوام
معدود معروف مع الناس لما ضم اليـه وخلقه له اتحد به من جوهر
الانسان فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد قوام الكلمة الله الخالقة واحد
فى التثليث بجوهر لاهوته واحد من الناس بجوهر ناسوته وليس باثنين
ولكن واحد مع الاب والروح وهو اياه واحـد مع الناس جميعاً
بجوهرين مختلفين من جوهر اللاهوت الخالق وهو الناسوت المخلوق
بتوحيد القوام الواحد قوام الكلمة التى هي الابن المولود من الله من
قبل كل الدهور وهو اياه المولود من مريم العذراء فى آخر الزمان من
غير مفارقة من الاب ولا من روح القدس . فيقال فى هـذا الكلام بل
فيما تقـدم ذكره مايطول تعـداده ووصفه من التناقض والفساد
والكلام الباطل والكلام الذى تكلم به قائله وهو لا يتصور مايقول
مع سوء التعبير عنه كقوله وهو اياه فيضع الضمير المنفصل موضع
المتصل ويعطف أحدهما على الآخر بلا واو عطف الى أمثال ذلك
مما يطول ذكر معايبه وذلك ان قولهم فى نفسه باطل لاحقيقة له وهم
لم يتصوروا معنى معقولاً ثم عبروا عنه حتى يقال قصروا فى التعبير بل

يحتاج الى مخلوقه وهو من الكفر الواضح فانه يظهر امتناعه بصريح العقل وهذا لازم للنصارى سواء قالوا بالاتحاد أو بالحلول بلا اتحاد وان كانت فرقهم الثلاث يقولون بنوع من الاتحاد فانه مع الاتحاد كل من المتحدين لابد له من الآخر فهو محتاج اليه كما يمثلون به في الروح مع البدن والنار مع الحديد فان الروح التى فى البدن محتاجة الي البدن كما ان النار في الحديدة محتاجة الى الحديدة وكذلك الحلول فان كل حال محتاج الى محلول فيه وهو من الكفر الواضح فانه يظهر امتناعه بصريح العقل فان ذلك المخلوق ان قدر انه موجود بنفسه قديم ازلي فليس هو مخلوقا ومع هذا فيمتنع ان يكون كل من القديمين الازليين محتاجاً الى الآخر سواء قدر انه فاعل له أو تمام الفاعل له أو كان مفتقراً اليه بوجه من الوجوه لانه اذا كان مفتقراً اليه بوجه من الوجوه لم يكن موجوداً الا به فان الموجود لا يكون موجوداً الا بوجود لوازمه وما لا يتم وجوده الا به فكل ما قدر انه محتاج اليه لم يكن موجوداً الا به فاذا كان كل من القديمين محتاجاً الى الآخر لزم ان لا يكون هذا موجوداً الا بخلق ذلك ما به تتم حاجة الآخر وان لا يكون هذا موجوداً الا بخلق ذلك ما به تتم حاجة الآخر والخالق لا يكون خالقاً حتى يكون موجوداً ولا يكون موجوداً الا بلوازم وجوده فيلزم ان لا يكون هذا موجودا حتى يجعله الآخر موجوداً ولا يكون ذاك موجودا حتى يجعله الآخر موجوداً اذ كان جعله لما لم يتم به وجوده يتوقف وجوده عليه فلا يكون موجودا الا به فلا فرق بين ان يحتاج أحدهما الى الآخر في وجوده أو فيما لا يتم وجوده الا به وهذا هو الدور القبلي الممتنع باتفاق

لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا) وقد اتفق أهل الملل على ان القول على الله بغير علم حرام والله سبحانه نهاهم ان يقولوا على الله الا الحق فكان هــذا نهياً ان يقولوا الباطل سواء علموا انه باطل أولم يعلموا فانهم ان لم يعلموا انه باطل فلم يعلموا انه حق أيضاً اذ الباطل يمتنع ان يعلم انه حق وان اعتقد معتقد اعتقاداً فاسداً انه حق فذلك ليس بعلم فلا تقولوا على الله مالا تعلمون وان علموا انه باطل فهو أجــدر ان لا يقولوه • وعامة النصارى ضــلال لا يعلمون ان مايقولونه حق بل يقولون على الله مالا يعلمون • والمقصود ان الباطل في كلامهم كثير كقولهم فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد قوام لكلمة الله الخالقة والمسيح عندهم اسم اللاهوت والناسوت جميعاً اسم للخالق والمخلوق وأحدهما متحد بالآخر فهو بتوحيد ذلك القوام قوام لكلمة الله الخالقة وسواء أريد بذلك ان الناسوت واللاهوت قوام للاهوت أو أن الناسوت قوام للاهوت وهم يمثلون ذلك بالروح والجسد والنار والحديد فيكون كما لو قيل ان الجسد والروح أوالجسد قوام للروح أو النار والحديد أو الحديد قوام للنار * فيقال الخالق الازلى الذي لم يزل ولا يزال هل يكون المحدث المخلوق قواماً له فيكون المخلوق المصنوع المحدث المفتقر الى الله من كل وجه قواماً للخالق الغنى عنه من كل وجه وهل هــذا الا من اظهر الدور الممتنع فانه من المعلوم بصريح العقل واتفاق العقلاء ان المخلوق لا قوام له الا بالخالق فان كان الخالق قوامه بالمخلوق لزم ان يكون كل من الخالق والمخلوق قوامه بالآخر فيكون كل منهما محتاجاً الى الآخر اذ ما كان قوام الشيء به فانه محتاج اليه وهذا مع كونه يقتضى ان الخالق

كان الخالق لهما جميعاً هو الله. واما مع كون كل منهما هو الخالق فهو ممتنع ومع كون أحدهما خالقاً والآخر مخلوقا فهو أشد امتناعاً والرب تعالى غني عن كل ما سواه من كل وجه وكل ماسواه فقير اليه من كل وجه وهذا من معنى اسمه الصمد فان الصمد الذي يصمد اليه كل شيء لافتقاره اليه وهو غني عن كل شيء لا يصمد الى شيء ولا يسأله شيئا سبحانه وتعالى فكيف يكون قوامه بشيء من المخلوقات وهذا الاتحاد الخاص من النصارى يشبه من بعض الوجوه قول أهل الوحدة والاتحاد العام الذين يقولون كما يقوله ابن العربي صاحب الفصوص والفتوحات المكية ان أعيان المخلوقات ثابتة في العدم ووجود الحق فاض عليها فهي مفتقرة اليه من حيث الوجود المشترك العام وهو وجوده وهو مفتقر اليها من حيث الاعيان الثابتة في العدم وهو مايختص به كل عين عين فيجعل كل واحد من الخالق والمخلوق مفتقرا الى الآخر ويقولون الوجود واحد ثم يثبتون تعدد الاعيان ويقولون هي مظاهر ومجالي فان كان المظهر والمجلي غير الظاهر فقد ثبت التعدد وان كان هو اياه فلا تعدد فلهذا يضطرون الى التناقض كما يضطر اليه النصارى حيث يثبتون الوحدة مع الكثرة وينشدون (فيعبدني واعبده ويحمدني واحمده وهؤلاء بنوا قولهم على أصلين فاسدين . أحدهما ان اعيان الممكنات ثابتة في العدم كقول من يقول من أهل الكلام ان المعدوم شيء ثابت في العدم وهذا القول فاسد عند جماهير العقلاء وانما حقيقة الامر ان المعدوم يراد ايجاده ويتصور ويخبر به ويكتب قبل وجوده فله وجود في العلم والقول والخط . واما في الخارج فلا وجود له

العقلاء . وأما الدور المعي وهو انه لا يوجد هذا الا مع هذا ولا هذا الا مع هذا كالابوة مع البنوة وكصفات الرب بعضها مع بعض وصفاته مع ذاته فانه لا يكون عالما الا مع كونه قادرا ولا يكون عالما قادرا الا مع كونه حيا ولا يكون حياً الا مع كونه عالما قادراً ولا تكون صفاته موجودة الا بذاته ولا ذاته موجودة الا بصفاته فهذا جائز في المخلوقين اللذين يفتقران الى الخالق الذى يحدثهما جميعاً كالابوة والبنوة وجائز في الرب الملازم لصفاته تعالى . وأما اذا قدر قديمان ازليان ربان فاعلان امتنع ان يكون أحدهما محتاجا الى الآخر اذ كان وجوده لا يتم الا بما يحتاج وجوده اليه ولا يكون فاعلا لشيء ان لم يتم وجوده فيمتنع مع نقص كل منهما عن تمام وجوده ان يكون فاعلا لغيره تمام وجود ذلك الغير ولهذا لم يقل بهذا أحد من الامم ولكن الذى قاله النصارى انهم جعلوا قوام الخالق تعالى بالمخلوق . فيقال لهم هذا أيضا ممتنع في صريح العقل أعظم من امتناع قيام كل من الخالقين بالآخر وان كان هذا ايضاً ممتنعا فان المخلوق مفتقر في جميع اموره الى الخالق فيمتنع مع فقره في وجوده وتمام وجوده الى الخالق ان يكون قوام الخالق به لان ذلك يقتضى ان يكون مقيما له وان يكون تمام وجوده به فيكون المخلوق لا وجود لشيء منه الا بالخالق فالقدر الذي يقال انه يقيم به الخالق هو من الخالق والخالق خالقه وخالق كل مخلوق فلا وجود له ولا قيام الا بالخالق فكيف يكون به قيام الخالق وليس هذا كالجوهر واعراضه اللازمة أو كالمادة والصورة عند من يزعم ان الصورة جوهر اذا كانا متلازمين فان هذا من باب الدور المعي كالبنوة مع الابوة وهذا جائز كما تقدم اذ

وهو عين مابطن في حال ظهوره ومائم من يراه غيره ومائم من بطن عنه سواه فهو ظاهر لنفسه باطن عن نفسه وهو المسمى أبو سعيد الخراز وغير ذلك من اسماء المحدثات ولهذا قال بعض النصارى لمن يقول مثل هذا ويحكيه عن شيوخه ويقول انه مسلم انتم كفرتمونا لاجل ان قلنا ان الله هو المسيح وشيوخكم يقولون ان الله هو ابو سعيد الخراز والمسيح خير من ابي سعيد. وهؤلاء يجيبون النصارى بجواب يتبين به انهم اعظم الحاداً من النصارى فيقولون للنصارى انتم خصصتموه بالمسيح ونحن نقول هو وجود كل شيء لانخص المسيح ولهذا قال بعضهم لاحذق هؤلاء التلمساني الملقب بالعفيف انت نصيري. فقال نصير جزء مني فان النصيرية اتباع ابي شعيب محمد بن نصير يقولون في علي بن ابي طالب نظير مايقوله النصارى في المسيح كذلك سائر الغلاة في علي او في احد من اهل بيته او في الاسماعيلية بني عبيد المنتسبين الى محمد بن اسماعيل بن جعفر كالحاكم وغيره او في الحلاج او في بعض من الشيوخ الذين يقولون في واحد من هؤلاء باتحاد اللاهوت به او حلوله فيه نظير ماتقوله النصارى في المسيح وهؤلاء يقولون بان الحلول او الاتحاد محدث وان القديم حل او اتحد بالمحدث بعد ان لم يكونا متحدين واما اولئك فيقولون بالوحدة المطلقة فمحققوهم يقولون انه وجود كل شيء لايقولون باتحاد وجودين ولا بحلول احدهما بالآخر بل قد يقولون ان الوجود هو ثبوت وجود الحق وثبوت الاشياء اتحدا وكل منهما مفتقر الى الآخر فالحق اذا ظهر كان عبداً والعبد اذا بطن كان رباً ويقولون اذا حصل لك التجلي الذاتي وهو هذا لم تضرك عبادة الاوثان ولا

والوجود هو الثبوت فلا ثبوت له في الوجود العيني الخارجي وانما ثبوته في العلم أي يعلمه العالم قبل وجوده .والاصل الثاني انهم جعلوا نفس وجود رب العالمين الخالق القديم الازلي الواجب بنفسه هو نفس وجود المربوب المصنوع الممكن كما قال ابن العربي.ومن عرف ماقررناه في الاعداد وان نفيها عين اثباتها. علم ان الحق المنزه هو الخالق المشبه فالامر الخالق هو المخلوق والامر المخلوق هو الخالق كل ذلك من عين واحدة لابل هو العين الواحدة وهو العيون الكثيرة وهو ياابتي افعل ما تأمر الى ان قال فما ذبح سوى نفسه وما نكح سوى نفسه وقال ومن اسمائه الحسنى العلي على من يكون علياً وما هو الا هو او عن ماذا يكون علياً وما ثم الا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست هو وقد نقل عن أبي سعيد الخراز انه قيل له بماذا عرفت ربك قال بجمعه بين الاضداد وقرأ قوله (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) أراد بذلك انه يجتمع في حقه سبحانه مايتضاد في حق غيره فان المخلوق لا يكون أولا آخراً باطنا ظاهراً وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء فجاء هذا الملحد وفسر قول أبي سعيد بان المخلوق هو الخالق • فقال قال ابو سعيد وهو وجه من وجوه الحق ولسان من السنته ينطق عن نفسه بان الله لا يعرف الا بجمعه بين الاضداد في الحكم عليه بها فهو الاول والآخر والظاهر والباطن فهو عين ماظهر

الحق فى كل شيئ بل يراه عين كل شيء ومن هؤلاء طائفة لايقولون بثبوت الاعيان في العدم بل يقولون ماثم وجود الا وجود الحق لكن يفرقون بين المطلق والمعين فيقولون هو الوجود المطلق السارى فى الموجودات المعينة كالحيوانية الثابتة في كل حيوان والانسانية الثابتة فى كل انسان وهذا الذى يسمى الكلي الطبيعي ويسمون هذا الوجود الاحاطة فيقولون الوجود المطلق اما بشرط الاطلاق عن كل قيد وهذا يسمى الكلي العقلي وهذا عند عامة العقلاء لايوجد الا في الذهن لافي الخارج ولكن يحكي عن شيعة افلاطن انهم أثبتوا هذه الكليات المجردة عن الاعيان في الخارج وقالوا انها قديمة أزلية انسانية مطلقة وحيوانية مطلقة ويسمونها المثل الافلاطونية والمثل المعلقة وقد رد ذلك عليهم اخوانهم ارسطو وشيعته وجماهير العقلاء وبينوا ان هذه انما هى متصورة في الاذهان لاموجودة في الاعيان كما يتصور الذهن عدداً مطلقاً ومقادير مطلقة كالنقطة والخط والسطح والجسم التعليمي ونحو ذلك ممايتصوره الذهن وليس في ذلك شيء من الموجودات الثابتة في الخارج وهذا المطلق بشرط الاطلاق يظن هؤلاء ثبوته وقد يسمونه الاحاطة وهو الوجود المجرد عن جميع القيود ثم بعده الوجود المطلق لابشرط وهو العام المنقسم الى واجب وممكن الى قديم وحادث ونحو ذلك كانقسام الحيوان الى ناطق وأعجم وهذا المطلق لابشرط يوجد في الخارج فان الاسم العام شامل لانواعه واشخاصه لكن لايوجد فى الخارج الا مقيداً معيناً ومن قال انه يوجد فى الخارج كلياً فقد غلط فان الكلي لا يكون كلياً قط الا فى الاذهان لافي الاعيان وليس فى

غيرها بل يصرحون بأنه عين الاوثان و لانداد وان أحدا لم يعبد غيره كما يقول ابن العربي مصوبا لقوم نوح الكفار ومكروا مكرا كبارا لان الدعوة الى الله مكر بالمدعو فانه ما عدم من البداية فيدعي الى الغاية أدعوا الى الله فهذا عين المكر فاجابوه مكرا كما دعاهم مكرا فقالوا في مكرهم لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا فانهم اذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء فان للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من عرفه ويجهله من جهله كما قال في المحمديين وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه فما حكم الله بشيء الا وقع فالعارف يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر حتى عبد وان التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة وكالقوى المعنوية في الصور الروحانية فما عبد غير الله في كل معبود وصوب هذا الملحد فرعون في قوله انا ربكم الاعلى قال ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت وانه الخليفة بالسيف وان جار في العرف الناموسي لذلك قال أنا ربكم الاعلى أي وان كان الكل أربابا بنسبة ما فانا الاعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم قال ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله لم ينكروه وأقروا له بذلك وقالوا له انما تقضي هذه الحياة الدنيا فاقض ما أنت قاض فالدولة لك قال فصح قول فرعون انا ربكم الاعلى وان كان فرعون عين الحق . وصوب أيضاً أهل العجل في عبادتهم العجل وزعم ان موسى رضي بذلك • فقال ولما كان موسى اعلم بالامر من هارون لعلمه بان الله قضى ان لا نعبد الا اياه وما حكم الله بشيء الا وقع كان عتبه على هارون لانكاره وعدم اتساعه فان العارف من يرى

يمكن خطاؤه اذ غير الانبياء ليس بمعصوم وهؤلاء سمعوا باسم الله وقصدوا عبادته ومعرفته فوقفوا على أثره في مصنوعاته فظنوا انه هو كمن سمع بالشمس فلما ان رأى الشعاع المنبسط في الهواء والارض ظن ان ذلك هو الشمس ولم يصعد ببصره وبصيرته الى الشمس التي في السماء وكذلك هؤلاء لم تصعد بصائر قلوبهم الى رب العالمين الذي فوق كل شيء المباين لمخلوقاته وسر ذلك انهم يشهدون بقلوبهم وجوداً مطلقاً بسيطاً ليس له اسم خاص كالحي والعليم والقدير ولا له صفة ولا يتميز فيه شيء عن شيء وهذا هو الوجود المشترك لكن هذا الشهود هو في نفوسهم لاحقيقة له في الخارج وكثير ممن يخاطبهم لايتصور ما يشهدونه فيظنون انه لم يفهم ماشهدوه وقد خاطبت غير واحد منهم وبينت له ان هذا الذي يشهدونه هو في الذهن وبتقدير ان يكون موجوداً في الخارج فهو صفة للموجودات أو جزء منها ويظنون مع ظنهم انه موجود في الخارج انه لم يبق في الخارج غير ماشهدوه فانهم يغيبون عن الحس الذي يدرك المعينات ويغيبون عقلهم عن تصورها حتى لايميزوا بين موجود وموجود ويقولون الحس فيه تفرقة ثم يشهدون هذا الوجود المطلق مع عزلهم الحس فيظنون ان هذا المطلق هو نفس المعينات وانه ما بقي موجود أصلاً فيقال لهم لو قدر ان الوجود الكلي ثابت في الخارج كلياً وانكم شهدتم ذلك، فمعلوم عند كل عاقل ان وجود الكلي المشترك لا يناقض وجود المعين المختص فالحيوانية والانسانية المشتركة المطلقة لا تناقض أعيان الحيوان، واعيان الانسان وحينئذ فثبوت اعيان الموجودات حاصل في الخارج

الخارج الا شيء معين اذا تصور منع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه ولكن العقل يأخذ القدر المشترك الكلي بين المعينات فيكون كلياً مشتركا في الاذهان وهؤلاء يجعلون الوجود الواجب هذا وقد يجعلونه بعد هذا فيقولون هذا فوق الواجب وهذا الوجود الكلي اذا قيل انه لايوجد في الخارج الا معيناً فلا موجود في الخارج سوى الموجودات المعينة المشخصة بما فيها من الصفات القائمة بها وان قدر وجوده في الخارج فهو اما جزء من المعينات واما صفة لها فعلى الاول لا يكون في الخارج موجود هو رب الموجودات المعينة وعلى الثاني يكون رب الموجودات جزأها أو صفة لها ومعلوم بصريح العقل ان صفة الشيء القائمة به لا تخلق الموصوف وان جزء الشيء لا يخلق الشيء بل جزء الشيء جزء من الشيء فاذا كان هو الخالق للجملة كان خالقاً لنفسه وكان بعض شيء خالقاً لكله ومن هؤلاء من يقول ان الرب في العالم كالزبد في اللبن والدهن في السمسم ونحو ذلك فيجعلونه جزءاً من العالم المخلوق ونفس تصور هذا يكفي في العلم بفساده لكن هؤلاء يقولون ان لم تترك العقل والنقل لم يحصل لك التحقيق الذي حصل لنا ويقولون ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل فقلت لبعضهم ان الانبياء صلوات الله عليهم اكمل الناس كشفاً وهم يخبرون بما يعجز عقول الناس عن معرفته لا بما تعرف عقولهم انه باطل فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول فمن دونهم اذا أخبر عن شهود وكشف يعلم بصريح العقل بطلانه علم ان كشفه باطل وأما ان كان لم يعلم بطلانه فهذا قد يمكن اصابته وقد

معه والبهائم قد تكون اهدى من هؤلاء كما قال تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون) وهؤلاء يصرحون برفض السمع والعقل فدخلوا في قوله أم تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ويلزمون انفسهم الغيبة عن العقل والحس الظاهر والشرع فلهذا يقول احذقهم التلمساني

فقل لحسك غب وجداً وذب طرباً ... فيها وقل لزوال العقل لاتزل
واصمت الى ان تراها فيك ناطقة ... فان وجدت لساناً قائلا فقل

وهؤلاء ابسط الكلام عليهم موضع آخر والمقصود هنا ان النصارى زعموا ان اللاهوت محتاج الى ما اتحد به من الناسوت وهؤلاء زعموا ان رب العالمين محتاج الى كل ماسواه من الاعيان الثابتة في العدم فان كل من قال ان رب العالمين اتحد بغيره فكل من المتحدين مفتقر عليه الآخر مع استحالة كل منهما وتغير حقيقته ولا كذلك الحلول المعقول فان الحلول لايعقل الا اذ كان الحال قائماً بالمحل محتاج اليه سواء أريد بذلك حلول الصفات والاعراض فى الموصوفات والجواهر أو أريد به حلول الاعيان فان كون أحد الجسمين محلا للآخر كحلول الماء في الظرف هو يوجب افتقاره اليه وما يحل فى قلوب المؤمنين من معرفة الرب والايمان به هو قائم بقلوبهم محتاج اليه وكذلك مايثبته الفلاسفة من الهيولى والصورة ويقولون ان الهيولى محل للصورة ويعترفون مع ذلك بأن الصورة محتاجة الى الهيولى والقائلون بوحدة الوجود فقد يجعلون الخالق مع

وهب انكم غبتم عن هــذا ولم تشهدوه فالغيبــة عن شهود الشيء لايوجب عــدمه في نفسه فاذا لم يشهد العبد الشيء أولم يره أولم يعلمه أولم يخطر بقلبه أوفني عن شهوده أو اصطلم أو غاب لم يلزم من ذلك ان يكون الشيء صار في نفسه معدوماً فانياً لاحقيقة له بل الفرق ثابت بين ان يعــدم الشيء في نفسه ويفني ويتــلاشى وبين ان يعدم شهود الانسان له وذكره ومعرفته وهؤلاء من ضلالهم يظنون انه اذا فنى شهودهم للموجودات كانت فانيــة فى أنفسها فلم يكن موجوداً الا مايخيلونه من الوجود المطلق ويقولون الكثرة والتفرقة فى الحس فاذا فني شهود القلب عن الحس لم يبق تفرقة ولا كثرة ويظنون ان شهود الحس حينئذ خطأ والعقل هو الذي يشهد الكليات والمطلقات دون الحس فاذا أبطلوا ماشهده الحس لم يبق معهم الا الوجود الكلي ثم يظنون مع ذلك انه هو الله فيبقى الرب عندهم وهماً وخيالا فى نفوسهم لاحقيقة له في الخارج كما قال بعض حذاقهــم وهو الششتري صاحب ابن السبعين وهمك هو يتشخص ماتحته شيء٠٠وقال

يرى الوجود واحد وأنت ذاك * وليس عليك زائد ماثم سواك

وقلت لبعض حذاقهم هب ان هــذا الوجود المطلق ثابت فى الخارج وانه عين الموجودات المشهودة فمن أين لك ان هذا هو رب العالمين الذى خلق السموات والارض وكل شيء فاعــترف بذلك وقال هذا ما فيــه حيلة والحس الباطن او الظاهر ان لم يقترن به العقل الذي يميز بين المحسوس وغيره والا دخل فيه من الغلط من جنس ما يدخل على النائم والممرور والمبرسم وغيرهم ممن يحكم بمجرد الحس الذي لاعقل

وليس هناك مخلوق حتى يكون الرب محصوراً في شيء من المخلوقات ولا هو في جهة موجودة بل ليس موجوداً الا الخالق والمخلوق والخالق بائن عن مخلوقاته عال عليها فليس هو فى مخلوق أصلاً سواء سمي ذلك المخلوق جهة أولم يسم جهة ومن قال انه فى جهة موجودة تعلو عليه أو تحيط به أو يحتاج اليها بوجه من الوجوه فهو مخطئ كما ان من قال ليس فوق السموات رب ولا على العرش اله ومحمد لم يعرج به الى ربه ولا تصعد الملائكة اليه ولا تنزل الكتب منه ولا يقرب منه شيء ولا يدنو الى شيء فهو ايضاً مخطيء ومن سمى مافوق العالم جهة وجعل العدم المحض جهة وقال هو في جهة بهذا المعني اى هو نفسه فوق كل شيء فهذا معنى صحيح ومن نفى هذا المعني بقوله ليس في جهة فقد أخطأ بل طريق الاعتصام ان ما اثبته الرسل لله أثبت له وما نفته الرسل عن الله نفى عنه والالفاظ التي لم تنطق الرسل فيهـا بنفى ولا اثبات كلفظ الجهة والحيز ونحو ذلك لا يطلق نفياً ولا اثباتاً الا بعد بيان المراد فمن أراد بهـا اثبت معنى صحيحاً فقد أصاب في المعنى وان كان فى اللفظ خطأً ومن أراد بهـا نفاه معنى صحيحاً فقد أصاب في المعنى وان كان في لفظه خطاء وأما من اثبت بلفظه حقا وباطلاً أو نفي بلفظه حقاً وباطلا فكلاهما مصيب فيما عناه من الحق مخطيء فيما عناه من الباطل قـد لبس الحق بالباطل وجمـع فى كلامه حقاً وباطلاً والانبياء كلهم متطابقون على انه فى العلو وفي القرآن والسنة مايقارب الف دليل على ذلك وفي كلام الانبياء المتقدمين مالايحصى

(فصل) قال سعيد بن البطريق وذلك مثل ما ان شعاع الشمس

المخلوقات كالصورة مع الهيولى كما يشير اليه ابن سبعين ويقول هو في الماء ماء وفي النار نار وفي كل شيء بصورة ذلك الشيء كما قد بسط الكلام على هؤلاء فى مواضع غير هذا الكتاب واذا قالوا ان الرب حل في المسيح كما حل في غيره وهو الحلول الموجود فى كلام داود عندهم حيث قالوا أنت تحل فى قلوب القديسين فقد عرف ان هذا حلول الايمان به ومعرفته وهداه ونوره والمثال العلمى كما قد بسط فى موضع آخر ولهذا يسمى ظهوراً والشعاع الحال على الارض والهواء عرض قائم بذلك وهو مفتقر الى الارض والهواء والرسل صلوات الله عليهم أخبروا بأن الله فوق العالم بعبارات متنوعة تارة يقولون هو العلي وهو الاعلى وتارة يقولون هو في السماء كقوله (أأمنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً) وليس مرادهم بذلك ان الله فى جوف السموات أو ان الله يحصره شيء من المخلوقات بل كلام الرسل كله يصدق بعضه بعضاً كما قال تعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) وقد قال تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء فاخبر انه لا يكون شيء فوقه ولهذا قال غير واحد من السلف انه ينزل الى سماء الدنيا ولا يخلو العرش منه فلا يصير تحت المخلوقات وفى جوفها قط بل العلو عليها صفة لازمة له حيث وجد مخلوق فلا يكون الرب الا عالياً عليه وقول الرسل في السماء أي فى العلو ليس مرادهم انه في جوف الافلاك بل السماء العلو وهو اذا كان فوق العرش فهو العلي الاعلى

هذا هو هذا فان قالوا نحن مقصودنا ان حكمة الله وعلمه ونوره أنزله الى المسيح وافاضه على المسيح كما يفيض الشعاع عن الشمس قيل لهم فهذا قدر مشترك بين المسيح وسائر الانبياء فلا اختصاص للمسيح بذلك * الوجه الثاني قولهم الذى يملأ ضوءه ما بين السماء والارض نوراً وفى بيت من البيوت يكون فيه حقاً من غير مفارقة لعين الشمس التي تولد منها حقاً * فيقال لهم الشعاع الذى بين السماء والارض هو الضوء وهو النور فقولكم ان الشعاع يملاء ضوءه ما بين السماء والارض نوراً يقتضي انه شعاع وضوء شعاع ونور حدث عن ذلك وهذا غلط بل ليس هنا الا جرم الشمس التي فى السماء وشعاعها وهو الضوء والنور الذى ما بين السماء والارض * الثالث قولكم من غير مفارقة عين الشمس يقتضى ان هذا الشعاع هو نفس ماقام بالشمس وهذا مكابرة للحس والعقل بل الشعاع الذي قام بالهواء والارض عرض لم يقم بالشمس قط وكل شعاع بقعة فليس هو عين الشعاع الذى في البقعة الاخرى وان كان هو نظيره ومثله وجنس الشعاع يجمعهما كما ان شعاع هذا السراج ليس هو شعاع هذا السراج وان قدر اختلاطهما حتى يقوى الضوء ولا حركة هذا الهواء هى حركة هذا الهواء ونظائر ذلك متعددة * الرابع قولكم كذلك الله سكن في الناسوت من غير ان يفارقه الاب تمثيل باطل فان الشمس نفسها لم تسكن فى الهواء والارض وانما سكن شعاعها فوزانه ان يقال فكذلك سكن نور الله وبرهانه وهداه وروحه وهذا اذا قلته فهو منقول عن الانبياء تنطق كتبهم بان نور الله وروحه وهداه فى قلوب المؤمنين لكن لا اختصاص للمسيح بذلك قال الله تعالى (الله

المولود من عين الشمس الذى يملأ ضوءه مابين السماء والارض نوراً وفي بيت من البيوت يكون فيه ضياء بنوره من غير مفارقة لعين الشمس التي تولد منها حقاً لانه لم ينقطع من العين ولا من الضوء فكذلك سكن الله في الناسوت من غير ان يفارقه الاب فهو مع الناسوت وهو مع الاب وروح القدس حقا * فيقال هــذا التمثيل لو قدر انه صحيح فانما يشبه من بعض الوجوه قول من يقول انه بذاته في كل مكان كشعاع الشمس الذى يظهر في الهواء والارض وأما النصارى فانهم يخصونه بناسوت المسيح دون سائر النواسيت ولو مثــل بهذا من يقول انه بذاته في كل مكان لكان باطلا فكيف النصارى فان الضوء انما يكون في الهواء وسطوح الارض لايكون تحت السقوف والغيران وباطن الارض ثم هذا التمثيل باطل من وجوه أحدها ان الشعاع ليس متولداً من جرم الشمس ولا شــعاع النار متولد من جرم النار بل هو حادث بائن عن جرم الشمس ولكنها سبب فى حصوله ولهذا يشبه به العلم الحاصل فى قلب المتعلم بسبب تعلم العلم من غير أن يكون من ذات علم العالم ولهــذا يشبه علم العالم بالسراج الذى يقتبس كل أحد من نوره وهو لم ينقص بخلاف تولد المولود عن والده فانه متولد من عينه والشعاع القــائم بالهواء والارض ليس هو قائماً بذات الشمس والنار بل هو عرض قائم بمحل آخر والعرض الواحد لايكون في محلين والنصارى يقولون ان الكلمة التي هى علم الله او حكمته متولدة منــه وهي قديمة أزليــة والصفة قائمة بالموصوف فالصفة مثل مايقوم بذات الشمس من استدارة وضوء فذاك صفة لها وهو غير الشعاع القائم بالهواء فان ذاك بائن عنها فكيف يجعل

(فصل) قال سعيد بن البطريق ومثلما ان كلمة الانسان المولودة من عقله تكتب في قرطاس فهى فى القرطاس كلها حقاً من غير ان تفارق العقل الذى منـــه ولدت ولا يفارقها العقل الذى ولدها لان العقل بالكلمة يعرف لانها فيـــه والكلمة كلها فى العقل الذى ولدها وكلها في نفسها وكلها في القرطاس الذى التحمت به فكذلك كلمة الله كلها في الاب الذى ولدت منه وكلها فى نفسها وفى الروح وكلها فى الناسوت التي حلت فيها والتحمت بها * فيقال هذا التمثيل حجة عليكم وعلى فساد قولكم لاحجة لكم وذلك يظهر بوجوه احدها ان يقال ان كان حاول كلمة الله التي هى المسيح في الناسوت مثـــل كتابة الكلام فى القرطاس فحينئذ يكون المسيح من جنس سائر كلام الله كالتوراة وزبور داود والانجيل والقرآن وغير ذلك فان هذا كله كلام الله وهو مكتوب في القراطيس باتفاق أهل الملل بل الخلق كلهـــم متفقون على ان كلام كل متكلم يكتب فى القراطيس وقد قال تعالى في القرآن (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) وقال تعالى (انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه الاالمطهرون) وقال يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة) وقال (انها تذكرة فمن شاء ذكره في صُحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة). وقال تعالى (والطور وكتاب مسطور في رق منشور) واذا كانت الكلمة التي هى المسيح عندكم هكذا فمعـــلوم ان كلام الله المكتوب فى القراطيس ليس هو الهاً خالقاً وهو كلام كثير لاينحصر في كلمة ولا كلمتين ولو قال قائل ياكلام الله اغفرلي وارحمني أو ياتوراة أو يا انجيل أو ياقرآن اغفرلي وارحمني كان قد تكلم بباطل عند جميع

نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى)قال أبي بن كعب مثل نوره فى قلب المؤمن وفى الترمذى عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله ان فى ذلك لآيات للمتوسمين • الخامس انكم اذا جعلتم الله نفسه ساكناً فى المسيح فوزانه ان تكون الشمس نفسها ساكنة في موضع صغير من الارض وهذا التمثيل يبطل قولكم ان الله أعلا وأعظم وأجل وأكبر والله اجل واكبر وأعظم من كل شيء والشمس آية من آياته ومخاوق من مخلوقاته ومع هذا فلو قال قائل ان الشمس سكنت فى جوف امرأة وخرجت من فرج تلك المراة لكان كل عاقل يعلم فساد قوله وينسبه الى الجهل العظيم او الجنون وسواء قال ان الشمس نفسها نزلت او لم تنزل وأنتم تقولون ان رب العالمين سكن في بطن مريم ويقول اكثركم كالملكية واليعقوبية انه خرج من فرج مريم ولو قال قائل عما هو من اصغر مخلوقات الله كوكب من الكواكب او جبل من الجبال او صخرة عظيمة ان ذلك كان فى بطن امرأة وخرج من فرجها لضحك الناس من قوله فكيف بمن يدعى مثل ذلك في رب العالمين واذا قالوا ان الله نزل الى السماء الدنيا او نزل الى الطور وكلم موسى من العليقة او في عمود الغمام ونحو ذلك فليس في شيء من ذلك انه اتحد بمخلوق لاسماء ولا طور ولا شجرة ولا كان كلامه قائماً بشيء مخاوق لاشجرة ولا غيرها وعندهم انه اتحد بالمسيح وكان صوت المسيح القائم به هو صوت رب العالمين بلا واسطة

الانبياء ولا أمة من الامم ولا فى لغـة من اللغات وانما ابتدعتم هذا لتقولوا اذا كان كلام الانسان متولداً منه فكلام الله متولد منـه ولم ينطق أحد من الانبياء بان كلام الله تولد منه ولا انه ابنه ولا ان علمه تولد منه ولا انه ابنه • السادس قولكم ان كلمة الانسان المولودة من عقله تكتب في القرطاس فهى في القرطاس كلها حقاً من غير ان تفارق العقل الذي منه ولدت الى قولكم الكلمة كلها في العقل الذى ولدها وكلها فى نفسها وكلها فى القرطاس الذى اتحدت به مكابرة ظاهرة معلومة الفساد بصريح العقل فان وجود الكلام في القلب واللسان ليس هو عين وجوده مكتوباً في القرطاس بل القائم بقلب المتكلم معان طلب وخبر وعلم وارادة والقائم بنفسه حروف مؤلفة هي أصوات مقطعة أوهى حدود أصوات مقطعة وليس فى قلب الانسان ولا فمه مداد كالمداد الذى في القرطاس والكلام مكتوب في القرطاس باتفاق العقلاء مع علمهم بأنه ليس فى القرطاس علم وطلب وخبر قائم به كما تقوم بقلب المتكلم ولا قام به أصوات مقطعة مؤلفة ولا حروفا كالاصوات القائمة بفم المتكلم بل لفظ الحرف يقال على الحرف المكتوب اما المداد المصور واما صورة المداد وشكله ويقال على الحرف المنطوق اما الصوت المقطع واما حد الصوت ومنقطعه وصورته وكل عاقل يميز بحسه وعقله بين الصوت المسموع من المتكلم وبين المداد المرىء بالبصر ولا يقول عاقل ان هذا هو هذا ولا يقال ان هذا وهذا هو نفس المعنى القائم بقلب المتكلم فكيف يقولون ان الكلمة فى القرطاس كلها وكلها فى العقل الذى ولدها وكلها فى نفسها • السابع ان حرف في التى يسميها النحاة ظرفا يستعمل فى كل موضع بالمعنى المناسب

أهل الملل والعقلاء وانتم تقولون المسيح اله خالق وهو يدعى ويعبد فكيف تشبهونه بكلام الله المكتوب في القراطيس • الثاني ان الكلام المكتوب صفة للمتكلم يقوم ويكتب في القراطيس عند سلف أهل الملل وجماهيرهم وعند بعضهم هو عرض مخلوق يخلقه في غيره فالجميع متفقون على ان الكلام صفة تقوم بغيرها ليس جوهراً قائماً بنفسه والمسيح عندكم لاهوته جوهر قائم بنفسه وهو اله حق من اله حق وهو عندكم اله تام وانسان تام فكيف تجعلون الاله الذي هو عين قائمة بنفسها كالصفة التي لاتقوم إلا بغيرها • الثالث قولكم ان كلمة الانسان مولودة من عقله • لو كان صحيحاً فالتولد لايكون الا حادثاً وانتم تقولون ان كلمة الله القديمة الازلية متولدة منه قبل الدهور وتقولون مع هذا هي اله وهذا كما ان بطلانه معلوم بصريح العقل فهي بدعة وضلالة في الشرع فانه لم يسم أحد من الانبياء شيئاً من صفات الله ابناً له ولا قال ان صفته متولدة منه ولفظ الابن لايوجد عندكم عن الانبياء الا اسما لناسوت مخلوق ولا لصفة الله القديمة فقد بدلتم كلام الانبياء بهذا الافتراء • الرابع قولكم مولودة من عقله ان أردتم بعقله العين القائمة بنفسها التي يسميها قلباً وروحاً ونفساً أو نفساً ناطقة فتلك انما تقوم بها المعاني وأما الالفاظ فانما تقوم بفمه ولسانه وان أردتم بعقله مصدر عقل يعقل عقلا فالمصدر عرض قائم بالعقل وهو عرض من جنس العلم والكلمة والعمل الصالح وان أردتم بالعقل الغريزة التي في الانسان فهو أيضاً عرض • الخامس ان تسميتكم تكلم الانسان بالمعنى أو اللفظ تولداً أمر اخترعتموه لايعرف عن نبي من

كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) ففرق سبحانه بين الكلمات وبين المداد الذي يكتب به الكلمات فكيف يقال ان هذا هو هذا وان الكلمة فى القرطاس كلها وهي في المتكلم كلها • الثامن ان الكلام له معنى في المتكلم يعبر عنه بلفظه واللفظ يكتب في القرطاس فالمكتوب فى القرطاس هو اللفظ المطابق للمعنى لا يكتب المعنى بدون كتابة اللفظ ولهذا من لم يعرف اللفظ الذى كتب بالخط لم يعرف ما كتب فدعوى هؤلاء ان نفس المعنى الذي فى القلب كله هوفي القرطاس كله جعل لنفس المعنى هو الخط وهـذا باطل • التاسع انه لاريب ان كلام المتكلم يقال انه قائم به ويقال مع ذلك انه مكتوب في القرطاس ويقال هـذا هو كلام فلان بعينه وهـذا هو ذاك ونحو ذلك من العبارات التي تتبين ان هـذا المكتوب فى القرطاس هو هذا الكلام الذي تكلم به المتكلم بعينه لم يزد فيه ولم ينقص لم يكتب كلام غيره ولا يريدون بذلك ان نفس الخط نفس الصوت أو نفس المعنى فان هذا لايقوله عاقل فان قيل ففي المسلمين من يقول ان كلام الله القديم الازلي أو كلام الله الذي ليس بمخلوق هو حال فى الصدور والمصاحف من غير مفارقة ومن هؤلاء من يقول انه يسمع من الانسان الصوت القـديم أو الصوت الذى ليس بمخلوق ومنهم من يقول ان الحرف القديم أو الذي ليس بمخلوق هو في القرطاس وحكي عن بعضهم انه يقول ذلك في المداد ومن هؤلاء من يقول ان القديم حل في المصحف ونحو ذلك. فتقول النصارى نحن هؤلاء * قيل الجواب من وجوه أحدها ان المقصود بيان الحق الذي

لذلك الموضع فاذا قيل ان الطعم واللون والريح حال فى الفاكهة أو العلم والقدرة والكلام حال في المتكلم فهذا معنى معقول واذا قيل ان هذا حال فى داره أو ان الماء حال فى الظرف فهذا معنى آخر فان ذاك حلول صفة في موصوفها وهذا حلول عين قائمة تسمى جسما وجوهراً في محلها ومنه يقال لمكان القوم المحلة ويقال فلان حل بالمكان الفلاني واذا قيل الشمس والقمر فى الماء أو في المرآة أو وجه فلان فى المرآة أو كلام فلان فى هذا القرطاس فهذا له معنى يفهمه الناس يعلمون انه قد ظهرت الشمس والقمر والوجه فى المرآة ورؤيت فيها وانه لم يحل بها ذات ذلك وانما حل فيها مثال شعاعى عند من يقول بذلك وكذلك الكلام اذا كتب فى القرطاس فالناس يعلمون انه مكتوب فيه ومقروء فيه ومنظور فيه ويقولون نظرت فى كلام فلان وقرأته وتدبرته وفهمته ورأيته ونحو ذلك كما يقولون رأيت وجهه فى المرآة وتأملته ونحو ذلك وهم في ذلك كله صادقون يعلمون مايقولون ويعلمون ان نفس جرم الشمس والقمر والوجه لم يحل فى المراة وان نفس ماقام به من المعاني والاصوات لم تقم بالقرطاس بل كانت المراة واسطة في رؤية الوجه فهو المقصود بالرؤية وكان القرطاس واسطة فى معرفة الكلام فهو المقصود بالرؤية وكانو يعلمون ان حاسة البصر باشرت ما في المرآة من الشعاع المنعكس ولكن المقصود بالرؤية هو الشمس وحاسة البصر باشرت مافى القرطاس من المداد المكتوب ولكن المقصود بالرؤية هو الكلام المكتوب ويعلمون ان نفس المثال الذى في المرآة ليس هو الوجه وان نفس المداد المكتوب به ليس هو الكلام المكتوب بل يفرقون بينهما كما قال تعالى (قل لو

تكليما ولم يتخذ ابراهيم خليلا فقتل المسلمون مقدمهم الجعد وصار لهم مقدم يقال له الجهم فنسبت اليه الجهمية نفاة الاسماء والصفات تارة يقولون ان الله لم يتكلم ولم يكلم موسى وانما أطلق ذلك مجازاً وتارة يقولون تكلم ويتكلم حقيقة ولكن معنى ذلك انه خلق كلاما في غيره سمعه موسى لانه نفسه قام به كلام وهذا قول من يقوله من المعتزلة ونحوهم وزين هذا القول لبعض ذوي الامارة فدعوا اليه مدة وأظهروه وعاقبوا من خالفهم ثم أطفأ الله ذلك وأظهر ما كان عليه سلف الامة ان القرآن والتوراة والانجيل كلام الله تكلم هو به ٠ منه بدا ليس ببائن منه وليس بمخلوق خلقه في غيره ولما أظهر الله هذا والناس يتلون قول الله تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله)صار بعض أهل الاهواء يقول انما يسمع صوت القاريء وصوته مخلوق وهو كلام الله فكلام الله مخلوق ولم يميز هذا بين ان يسمع الكلام من المتكلم به كما سمعه موسى من الله بلا واسطة وبين ان يسمع من المبلغ عنه ومعلوم انه لو سمع كلام الانبياء وغيرهم من المبلغين لم يكن صوت المبلغ هو صوت المبلغ عنه وان كان الكلام كلام المبلغ عنه لا كلام المبلغ فكلام الله اذا سمع من المبلغين عنه أولى ان يكون هو كلام الله لا كلام المبلغين وان بلغوه بأصواتهم فجاءت طائفة ثانية فقالوا : هذا المسموع الفاظنا وأصواتنا وكلامنا ليس هو كلام الله لان هذا مخلوق وكلام الله ليس بمخلوق وكان مقصود هؤلاء تحقيق ان كلام الله غير مخلوق فوقعوا فى انكار ان يكون هذا القرآن كلام الله ولم يهتدوا الى انه وان كان كلام الله فهو كلام الله مبلغاً عنه ليس

بعث الله به رسله وانزل به كتبه والرد على من خالف ذلك من النصارى وغيرهم ونحن لا ننكر ان في المنتسبين الى الاسلام طوائف منهم منافقون ملحدون زنادقة ، ومنهم جهال مبتدعة ، ومنهم من يقول مثل قول النصارى ، ومنهم من يقول شر منه فالرد على هؤلاء كلهم والعصمة ثابتة لكتاب الله وسنة رسوله ، وما اجتمع عليه عباده المؤمنون فهذا لا يكون الا حقا وما تنازع فيه المسلمون ففيه حق وباطل ، الوجه الثاني أن يقال هؤلاء الذين قالوا في القرآن ماقالوه ليس قولهم مثل قول النصارى فان النصارى جعلوا لله ولداً قديماً أزلياً سموه كلمة وقالوا انه اله يخلق ويرزق وانه اتحد بالمسيح فجعلوا المسيح الذي هو الكلمة عندهم الهاً يخلق ويرزق وليس في طوائف المسلمين المعروفة من يقول ان كلام الله اله يخلق ويرزق ولكن محمد وغيره من الرسل عليهم السلام بلغوا الى الخلق كلام الله الذى تكلم به وكان الصحابة والتابعون لهم باحسان على أن القرآن والتوراة والانجيل وغير ذلك من كلام الله هو كلام الله الذى تكلم به وان الله انزله وأرسل به ملائكته ليس هو مخلوقا بائنا عنه خلقه في غيره ويقولون ان هذا القرآن هو كلام الله الذى بلغه رسوله والمسلمون يقرءونه ويسمع من القارىء كلام الله لكن يقرءونه بأفعالهم وأصواتهم ويسمعونه من القارىء الذى يقرأه بصوت نفسه فالكلام كلام البارىء والصوت صوت القارىء ويقولون ان الله تكلم به وبما كلم به موسى وان موسى سمع نداء الله باذنه فكلمه الله بالصوت الذى سمعه موسى كما بين ذلك فى كتب الله القرآن والانجيل والتوراة وغير ذلك فحدث بعد الصحابة وأكابر التابعين طائفة معطلة يقولون ان الله لم يكلم موسى

نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه محمد الى الناس فقراه الناس بحركاتهم واصواتهم وليس شيء من افعال العباد واصواتهم قديماً ولا غير مخلوق ولكن كلام الله غير مخلوق ولم يكن السلف يقولون القرآن قديم ولما احدث الجهمية وموافقوهم من المعتزلة وغيرهم انه مخلوق بائن من الله قال السلف والأئمة انه كلام الله غير مخلوق ولم يقل احد من السلف ان الله تكلم بغير قدرته ومشيئته ولا انه معنى واحد قائم بالذات ولا انه تكلم به القرآن او التوراة او الانجيل في الازل بحرف وصوت قديم فحدث بعد ذلك طائفة فقالوا انه قديم ثم منهم من قال القديم هو معنى واحد قائم بالذات هو معنى جميع كلام الله وذلك المعنى ان عبر عنه بالعبرية كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا وان عبر عنه بالعربية كان قرآناً والامر والنهي والخبر صفات له لا انواع له ومن هؤلاء من قال بل هو قديم وهو حروف او حروف واصوات أزليـة قديمة وانها هى التوراة والانجيل والقرآن فقال الناس لهؤلاء خالفتم الشرع والعقل في قولكم انه قديم وابتدعتم بدعة لم يسبقكم اليها أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وفررتم من محذور الى محذور كالمستجير من الرمضاء بالنار ثم قولكم انه معنى واحـد هو مدلول لجميع العبارات مكابرة للعقل والشرع فانا نعلم بالاضطرار انه ليس معنى آية الكرسى هو معنى آية الدين ولا معنى تبت يدا أبي لهب هو سورة الاخـلاص والتوراة اذا عربناها لم تصر هي القرآن العربي الذي جاء به محمد وكذلك اذا ترجمنا القرآن بالعـبرية لم يكن هو توراة موسى وقول من قال منكم انه حروف او حروف واصوات أزلية ظاهر الفساد فان الحروف متعاقبة فيسبق بعضها بعضاً والمسبوق بغيره

هو كلامه مسموعاً منه ولا يلزم اذا كانت أفعال العباد وأصواتهم مخلوقة ليست هي كلام الله ان يكون الكلام الذى يقرءونه بأفعالهم واصواتهم كلامهم ويكون مخلوقا ليس هو كلام الله وثم هؤلاء الذين قالوا ليس هذا كلام الله منهم من قال هو حكاية لكلام الله وطردوا ذلك فى كل من بلغ كلام غيره ان يكون مابلغه حكاية لكلام المبلغ عنه لا كلامه وأهل الحكاية منهم من يقول ان كلام الرب يتضمن حروفا مؤلفة اما قائماً بذاته على قول بعضهم أو مخلوقة في غيره على قول بعضهم والقائم بذاته معني واحد ومن هؤلاء من قال الحكاية تماثل المحكي عنه فلا نقول هو حكاية بل هو عبارة عنه والتقدير عندهم فاجره حتى يسمع كلام عبارته أو حكايته فجاءت طائفة ثالثة فقالت بل قد ثبت ان هذا كلام الله وكلام الله ليس بمخلوق وهذا المسموع هو الصوت فالصوت غير مخلوق ثم من هؤلاء من قال انه قديم ومنهم من قال ليس بقديم ومنهم من قال يسمع صوت الرب والعبد ومنهم من قال انما يسمع صوت الرب ثم منهم من قال انه قديم ومنهم من قال انما يسمعه من العبد وهؤلاء منهم من قال ان صوت الرب حل في العبد فضاهوا النصارى ومنهم من قال بل نقول ظهر فيه من غير حلول • ومنهم من يقول لا يطلق هذا ولا هذا وكل هذه الاقوال محدثة مبتدعة لم يقل منها شيئاً احد من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا امام من ائمة المسلمين كمالك والثوري والاوزاعي والليث بن سعد وابي حنيفة وابي يوسف ومحمد والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وابن عيينة وغيرهم بل هؤلاء كلهم متفقون على ان القرآن منزل غير مخلوق وان الله ارسل به جبريل فنزل به جبريل علي

أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب فلما أظهر قوم من الولاة ان القرآن مخلوق ودعوا الناس الى ذلك ثبت الله أئمة السنة وجمهور الامة لم يوافقوهم وكان المشار اليه من الأئمة اذ ذاك احمد بن حنبل ثم بقي ذلك القول المحدث ظاهراً نحو أربعة عشر سنة وأئمة الامة وجمهورها ينكرونه حتى جاء من الولاة من منع من اظهاره والقول به فصار مخفياً كغيره من البدع وشاع عند العامة والخاصة ان القرآن كلام الله غير مخلوق فاراد بعض الناس ان يجيب عن شبهة من قال ان هذا الذي يقوم بنا مخلوق • فقال القرآن كلام الله غير مخلوق ولكن الفاظنا به مخلوقة وتلاوتنا له مخلوقة وربما قالوا هذا الذى نقرأه مخلوق او هذا ليس هو كلام الله فقصدوا معنى صحيحاً وهو كون صفات العباد واصواتهم وافعالهم مخلوقة لكن غلطوا حيث أطلقوا القول أو أفهموا الناس بان هذا القرآن الذى يقرأه المسلمون مخلوق ولم يهتدوا الى أنا اذا أشرنا الى كلام متكلم قد بلغ عنه فقلنا مثلا لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى هذا كلام رسول الله او لقول الشاعر الا كل شيء ماخلا الله باطل • هذا كلام لبيد بن ربيعة ونحو ذلك فانا نشير الى نفس الكلام معانيه ونظمه وحروفه لا الى مايختص بالمبلغ من حركته وصوته بل ولا صوت المبلغ عنه وفعله فان كون الحي متحركا او مصوتا قدر مشترك بين الناطق والاعجم وليس هذا صفة له والكلام التي يتميز بها الناطق عن الاعجم وانما يتميز بالمعاني القائمة به وباللفظ المطابق لها من الحروف المنظومة بالأصوات المقطعة وهذا أمر يختص به المتكلم

لايكون قديماً لم يزل والصوت المعين لايبقى زمانين فكيف يكون قديماً أزلياً والسلف والائمة لم يقل أحد منهم بقولكم لكن قالوا ان الله تكلم بالقرآن وغيره من الكتب المنزلة وان الله نادى موسى بصوت سمعه موسى باذنه كما دلت على ذلك النصوص ولم يقل أحد منهم ان ذلك النداء الذي سمعه موسى قديم أزلي ولكن قالوا ان الله لم يزل متكلماً اذا شاء وكيف شاء لان الكلام صفة كمال لاصفة نقص وانما تكون صفة كمال اذا قام به لا اذا كان مخلوقاً بائناً عنه فان الموصوف لايتصف الا بما قام به لايتصف بما هو بائن عنه فلا يكون الموصوف حياً عالماً قادراً متكلماً رحيماً مريداً بحياة قامت بغيره ولا بعلم وقدرة قامت بغيره ولا بكلام ورحمة وارادة قامت بغيره والكلام بمشيئة المتكلم وقدرته اكمل ممن لايكون بمشيئته وقدرته واما كلام قائم يقوم بذات المتكلم بلا مشيئته وقدرته فاما انه ممتنع او هو صفة نقص كما يدعي مثل ذلك في المصروع واذا كان كمالا فدوام الكمال له وانه لم يزل موصوفاً بصفات الكمال اكمل من كونه صار متكلماً بعد ان لم يكن لوقدر ان هذا ممكن فكيف اذا كان ممتنعاً وكان أئمة السنة والجماعة كلما ابتدع في الدين بدعة أنكروها ولم يقروها ولهذا حفظ الله دين الاسلام فلا يزال في أمة محمد طائفة هادية مهدية ظاهرة منصورة بخلاف أهل الكتاب فان النصارى ابتدعوا بدعا خالفوا بها المسيح وقهروا من خالفهم ممن كان متمسكا بشرع المسيح حتى لم يبق حين بعث الله محمداً من هو متمسك بدين المسيح الا بقايا من أهل الكتاب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ان الله نظر الى

اللفظ بل المعبود المدعو هو المسمى باللفظ فصار بعضهم يقول الاسم هو غير المسمى حتى قيل لبعضهم أقول دعوت الله فقال لا تقل هكذا، ولكن قل دعوت المسمى بالله وظن هذا الغالط انك اذا قلت ذلك فالمراد دعوت هذا اللفظ ومثل هذا يرد عليه في اللفظ الثاني فما من شيء عبر عنه باسم الا والمراد بالاسم هو المسمى فان الاسماء لم تذكر الا لبيان المسميات لا ان الاسم نفسه هو ذات المسمى • فمن قال ان اللفظ والمعنى القائم بالقلب هو عين المسمى فغلطه واضح • ومن قال ان المراد بالاسم في مثل قولك دعوت الله وعبدته هو نفس اللفظ فغلطه واضح ولكن اشتبه على الطائفتين مايراد بالاسم ونفس اللفظ • كذلك اولئك اشتبه عليهم نفس كلام المتكلم المبلغ عنه الذى هو المقصود بلفظ المبلغ وكتابته بنفس صوت المبلغ ومداده • والفرق بين هذا وهذا واضح عند عامة العقلاء واذا كتب كاتب اسم الله في ورقة ونطق باسم الله في خطابه وقال قائل انا كافر بهذا ومؤمن بهذا كان مفهوم كلامه انه مؤمن أو كافر بالمسمى المراد باللفظ والخط لا انه يؤمن ويكفر بصوت أو مداد فكذلك من قال لما يسمعه من القراء ولما يكتب في المصاحف ان هذا كلام الله أو قال لما يسمع من جميع المبلغين لكلام غيرهم ولما يوجد في الكتب هذا كلام الله فليس مرادهم ذلك الصوت والمداد وانما هو المعنى واللفظ الذي بلغه زيد بصوته وكتب فى القرطاس بالمداد • فاذا قيل عن ذلك انه مخلوق فقد قيل انه ليس كلام الله ولم يتكلم به ومن قصد نفس الصوت أو المداد وقال انه مخلوق فقد اصاب كما ان من قصد نفس الصوت أو الخط وقال ليس هذا هو كلام الله

، لكلام لا المبلغ عنه فليس الجميع الا تأدية ذلك ولهذا لو قال قائل الشعر لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل. فقال هذا شعري أو كلامي لكونه أنشده بصوته لكذبه الناس ولو قال هذا الذى أقوله مثل شعر لبيد لكذبه الناس وقالوا بل هو شعره نفسه ولكن أديته بصوتك بخلاف ما اذا قال قائل قولا نظماً او نثراً وقال آخر مثله فان الناس يقولون هـذا مثل قول فلان كما قال تعالى (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم) وقال عن القرآن (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هـذا القرآن لايأتون بمثله) ولهـذا لو قال قارئ انا اتى بقرآن مثل قرآن محمد وتلاه نفسه وقال هذا مثله لانكر الناس ذلك وضحكوا منه وقالوا هذا القرآن الذى جاء به هو ليس هو كلام آخر مماثل له فاذا كان القرآن الذي يقرأه المسلمون هو كلام الله الذي بلغه الرسول لم يجز ان يقال ليس هو بكلام الله بل هو مثله له أو حكاية عنه أو عبارة واذا كان معلوماً انما هو كلام الله فقد تكلم به سبحانه لم يخلقه بائناً عنه ولم يجز ان يقال ما هو كلامه انه مخلوق فاذا قيل عن مايقرأه المسلمون انه مخلوق والمخلوق بائن عن الله ليس هو كلامه فقد جعل مخلوقاً ليس هو بكلام الله فصار الامة يقولون هذا كلام الله وهذا غير مخلوق لايشيرون بذلك الى شيء من صفات المخلوق بل الى كلام الله الذي تكلم به وبلغه عنه رسوله والمبلغ انما بلغه صفات نفسه والاشارة في مثل هذا يراد بها الكلام المبلغ لايراد بها مابه وقع التبليغ وقد يراد بهذا الثاني مع التقييد كما في مثل الاسم اذا قيل عبدت الله ودعوت الله فليس المراد ان المعبود المدعو هو الاسم الذى هو

فى بعض الاوقات مالا يبينه غـيره لحاجته في ذلك فمن ابتلى بمن يقول ليس هذا كلام الله كالامام احمد ٠ كان كلامه في ذم من يقول هذا مخلوق أكثر من ذمه لمن يقول لفظى مخلوق ومن ابتلى بمن يجعل بعض صفات العباد غـير مخلوق كالبخارى صاحب الصحيح كان كلامه في ذم من يجعل ذلك غـير مخلوق أكثر مع نص احمد والبخارى وغيرهما على خطأ الطائفتين

(فصل)قال سعيد بن البطريق وليس حلول كلمة الله الخالقة والتحامها بجوهر الناسوت عن انتقال ولا تغير ولا احتيال من واحد من الجوهرين عن كثافة فلا الالهي احتال عن ان يكون الهاً خالقاً ولا الناسى احتال عن ان يكون ناسياً مخلوقاً ٠ والاحتيال والتغير انما يلزم الخلطة اذا كانت من خلقين ثقيلين غليظين مثل الماء والخمر او المـاء والعسل او السمن والعسل والذهب والورق والنحاس والرصاص وما أشـبه ذلك لان كله ثقيل غليظ وكل ثقل تخالطه ثقلة لامحالة يلزمه التغير حتى يصير الى ما كانت عليـه الاثقال فلا الخمر خمراً ولا الماء ماء بعد اختلاطهما ولكنهما احتالا جميعاً عن جوهرهما فصارا الى أمر متغـير ليس هو أحدهما بعينه ولا احدهما خالص من الفساد والاحتيال عن حاله فاما أذا كانت الخلطة من خلق لطيف وخلق غليظ لم يخالط تلك الخلطة تغير ولا احتيال مثـل خلطة النفس والجسد انساناً واحداً أحدهما ملتحماً بالآخر من غير أن تكون النفس تغـيرت واحتالت أي استحالت عن جوهرها ان تكون نفساً تعرفها بفعالها ولا الجسد تغير ولا احتال عن حاله وافعاله ومثل ما كان تخالط النار والحديد فيلتحمان

بل هو مخلوق فقـد أصاب لكن ينبغي ان يبين مراده بلفظ لا لبس فيه فلهذا كان الأئمة كاحمد بن حنبل وغيره ينكرون على من أطلق القول بأن اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق ويقولون من قال انه مخلوق فهو جهمى ومن قال انه غـير مخلوق فهو مبتدع ومن قال انه مخلوق هنا فقد يقولون ليس هو كلام الله وهـذا خلاف المتواتر عن الرسول وخلاف ما يعـلم بمثل ذلك بصريح المعقول فان الناس يعلمون بعقولهـم ان من بلغ كلام غـيره فالكلام كلام المبلغ عنـه الذى قاله مبتدياً امراً بامره مخبراً بخبره لا كلام من قاله مبلغاً عنـه مؤدياً ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسـلم يقول فى المواسم الا رجل يحملني الى قومه لابلغ كلام ربى فان قريشاً قـد منعوني ان ابلغ كلام ربى رواه أبو داود وغيره عن جابر ولمـا أنزل الله تعالى (الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون)قال بعض الكفار لابى بكر الصديق هـذا كلامك أم كلام صاحبك ؛قال ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله فلهذا اشتد به انكار احمد بن حنبل وغيره من ائمة الاسلام وبالغ قوم فى الا نكار عليهم وقالوا لفظنا بالقرآن غير مخلوق واطلقوا عبارات تشعر ان يكون شيء من صفات العباد غير مخلوقة فانكر ذلك احمد وغيره كما انكر ذلك ابن المبارك واسحاق ابن راهويه والبخارى وغير هؤلاء من ائمة السـنة وبينوا ان الورق والمداد واصوات العباد وافعالهم مخلوقة وان كان كلام الله الذى يحفظه العباد ويقرأونه ويكتبونه غير مخلوق فكلام ائمة السنة والجماعة كثير فى هذا الباب متفق غير مختلف وكله صواب ولكن قد يبين بعضهم

نخار قوامها قلة وليس بينها وبين المـاء خلطة بل أشد الفرقة وكذلك الماء والزيت لولا ان وعاء القنديل الذى هما فيه ضمهما ما اجتمعا وكذلك الكتان والقز ليس بينهما خلطة وان كانا فى ثوب واحد ولا بين الذهب والنحاس ولم يسبكا خلطة وان جمعهما صـنم واحد فهاتان الخلطتان لا تكونان أبداً الا في أثقال جسمانيات غليظة فان التحم بعضها ببعض مثلما يذاب الذهب والنحاس ويفرغان جميعاً وقعت فى وجـه خلطة الاحتيال والفساد لان تلك النقرة ليست بذهب صحيح ولا نحاس صحيح فان لم تلتحم والزم بعضها بعضاً مثل طوق يكـون من نحاس وذهب وقعت من وجه خلطة الافتراق التي لا يحق لهـا ان تسمى خلطة وفى هذين الوجهين وقع نسطورس واشياعه فلزموا خلطة الاحتيال والفساد فزعموا ان الطبيعة الالهيـة والطبيعة الناسية اختلطا في المسيح الواحد فهو ذو قوام واحد بطبيعة واحدة مختلطة من طبيعتين مختلفتين الهية وناسية فاقروا انهما قد احتالا والاحتيال فساد والزموا على هذا القول الكافر طبيعة الله المصائب والموت وصـيروا المسيح لا الهاً صحيحاً ولا انساناً مثل نقرة الذهب والنحاس فنسطورس واشـياعه لزموا خلطة الفرقة والانقطاع فزعموا ان المسيح الواحد ذو طبيعتـين مختلفتين الاهية وناسية وذو قوامين معروفين الهي وناسى فصيروا الفرقة خلطة كالطوق الملون نصـفين أحدهما ذهب والآخر نحاس والثوب المبطن ظاهره خز وباطنه قطن ليس بينهـما خلطة في طبيعة ولا قوام وليس لهم على هذا ان يؤمنوا بمسيح واحد لان الطوق الملون طوقان والثوب المبطن ثوبان فالمسيح مثل ذلك مسيحان واحد الهي بطبيعته وقوامه

جميعاً فيكونان جمرة واحدة من غير أن تكون النار قد تغيرت الى أن تكون حديدة ثقيلة وتشج وتقطع ولا الحديدة تغيرت واحتالت الى أن تكون ناراً تحرق فكذلك تفعل كل خالطة مؤلفة من شيئين مختلفين أحدهما روحاني لطيف والآخر ثقيل غليظ مثل النفس والجسد والنار والحديد ومثل الشمس المخالطة للماء والطين وكل رطوبة وحمأة فهي لاتتغير ولا تحتال عن نورها ونقائها وضوئها مع مخالطتها كل سواد وسخ ونتن ونجس قال والخالطة تكون على ثلاثة أوجه. أحدها خالطة باختلاط من الطبيعتين الثقيلتين واحتيالهما وفسادهما مثل خالطة الخمر والماء والخل والعسل والذهب والورق والرصاص والنحاس فان في ذلك كله وما أشبهه احتيالا وفساداً لان مزاج الخمر والماء ليس بخمر ولا ماء لاحتيال كل واحد منهما عن طبعه واختلاطهما بفسادهما وتغيرهما عن حالهما وكذلك خلطة الخل والعسل قد صارت لاخلا ولا عسلا لاحتيال كل واحد منهما وخلطة الذهب والورق على مثل ذلك صارت على غير صحة لامن الذهب ولا من الورق وخلطة الورق والنحاس على غير صحة لامن الورق ولا من النحاس فهذا وجه من الوجوه الثلاثة والوجه الثاني خلطة افتراق من الطبيعتين الثقليتين وقد تعرف من تلك الخلطة كل واحدة من الطبيعتين ثابتة في الاخرى بقوامها ووجهها مثل الزيت والماء في قنديل واحد ومثل الكتان والقز في ثوب واحد منسوج بكتان مضلع بقز ومثل صنم نحاس رأسه من ذهب وما أشبه ذلك مما لاينبغي ان يسمى خالطة مع افتراق الطبيعتين والقوامين مثل مالاينبغي ان يكون بين الماء والقلة التي هو فيها خلطة لان طبيعة القلة

انارت الحديدة وأحرقت ولم تنل النار من ضعف الحديدة شيئاً من السواد ولا البرودة فعلى هذا الوجه من الخلطة دبرت كلمة الله الخالقة خلطتها للطبيعة البشرية فهو مسيح واحد ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل الادهار كلها نور من نور اله حق من اله حق مولود ليس بمخلوق من سوس أبيه وجوهره وطبيعته وهو اياه من مريم العذراء المولود منها في آخر الزمان بقوام واحد قوام ابن الله الوحيد الجامع للطبيعتين كلتيهما الالهية التي لم تزل في البدء قبل كل بدء والناسية التي كونت في آخر الزمان المقوم بالقوام الازلي فهو مسيح واحد بقوام واحد أزلي ذو طبيعتين الاهية لم تزل وناسية خلقها له والتحم بها من مريم العذراء فقوامه ذلك قوام الطبيعة الالهية والطبيعة الناسية جامعاً لهما بلا اختلاط ولا فساد ولا فرقة انقطاع لم يزل قوام الطبيعة الالهية ثم هو قوام الطبيعة الناسية قد خلقها وكونها وقومها بقوامه الذى لم يزل يقيم الابه ولم يعرف الاله*والجواب عن هذا الكلام بعد ان يقال انه تناقض فجعل هذا تارة اختلاطاً وتارة يقول ليس هو اختلاطاً ان يقال انه اولا قد يجعل هذا الحلول والالتحام اختلاطاً ويقول انه لا يكون فيه استحالة ولا تغير ويقول الاستحالة والتغيير انما يلزم الخلطة اذا كانت من خلقين غليظين كالماء والخمر فاما اذا كانت من لطيف وكثيف لم يخالط تلك الخلطة تغير ولا احتيال اي استحالة ويقول والخلطة تكون على ثلاثة أوجه ثم يقول أحدها كالخمر والماء والثاني كالزيت والماء والكتان والقز ثم يقول وما أشبه ذلك مما لا ينبغي ان يسمى خلطة مع افتراق الطبيعتين فيجعله من أقسام الخلطة ثم يقول ولا ينبغي ان يسمى خلطة وليس

مثل قضيب الذهب في الطوق الملون ومثل طهارة الخز في الثوب المبطن والآخر ناسي مثل قضيب النحاس في الطوق وبطانة القطن فى الثوب والعجب كل العجب كيف لم يفصل اهل الخلاف والشقاق بين الصنفين كليهما ولم يفهموا ان هاتين الخلقتين انهما خلقتان ذواتا أثقال جسمانية غليظة ليس فيهما شيء من الخلق الروحانى اللطيف الخفيف ولذلك لاتقدر الاثقال الغليظة على الخروج من هذين الوجهين من وجوه الخلطة لانهما ان اختلطا خلطة ملتحمة ممتزجة صارت الى احتيال وفساد وان اقامت على حالها لاتلتحم ولا يمتزج بعضها ببعض فهى على وجه خلطة الأفتراق ومنقطعة بعضها من بعض وان جمعها صنم واحد او ثوب واحد فليس يوجد لشيء من الأثقال الجسمانية وجه خلطة سوى هذين الوجهين ابدا اما فساد واما انقطاع الا ان تكون الخلطة في اثنين أحدهما ثقيل جسمانى والآخر لطيف روحانى فان ذلك هو الوجه الثالث من الخلطة وهى خلطة الحلول بلا اختلاط ولا احتيال ولا فساد ولا فرقة ولا انقطاع لكنها نفاذ الطبيعة الروحانية في الطبيعة الثقيلة السفلية حتى تنتشر فى جميعها وتحل بكلها فلا يبقى موضع من الطبيعة الثقيلة السفلية خلوا من الطبيعة الروحانية ولا احتيال من الثقيلة الجسمانية عن طبيعتها الغليظة الثقيلة ولا تغيير ولا فساد لاحداها مثل خلطة النفس والجسد ومثل خلطة النار والحديد فى قوام جمرة واحدة فهى جمرة واحدة بالقوام من طبيعة نار ملتحمة مخالطة لطبيعة الحديدة بلا فرقة من انقطاع ولا تخليط احتيال وفساد وقد انتشرت النار في جميع الحديدة ولبستها وانالت النار الحديدة من قوامها وقوتها حتى

ولا يشتهي ولا يغضب فاذا اتصلت به النفس وتغيرت أحواله واستحالت صفاته وصار حساساً متحركاً بالارادة فكيف يقال مثل خلطة النفس والجسد انساناً واحداً أحدهما يلتحم بالآخر من غير ان تكون النفس تغيرت واستحالت عن جوهرها ان تكون نفساً يعرفها بفعالها ولا الجسد تغير ولا استحال عن حاله وافعاله فهل يقول عاقل يتصور مايقول ان الجسد كان حاله وفعاله مع مفارقة النفس له كحاله وفعاله مع مخالطتها له وهل يقول عاقل ان الجسد بعد موته ومفارقة النفس له حاله وفعاله كحاله وفعاله اذا كانت النفس مختلطة به وهو اذا مات كالجماد لايسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يبطش ولا يمشي قد جمد دمه واسود ولم يبق سائلاً وتغيرت صحته ولونه • وتغير الجسد بالحيوة بعد الموت وبالموت بعد الحيوة من أعظم التغيرات والاستحالات وكذلك النفس فان النفس عند اتصالها بالبدن تلتذ بلذته وتتألم بالمه فاذا اكل البدن وشرب ونكح واشتم التذت النفس واذا ضرب البدن وصفع وأهين وحط الشوك على رأسه وبصق في وجهه تألمت النفس بذلك فاذا شبهوا اتحاد الرب بالمسيح باتحاد النفس بالبدن وهم يقولون ان المسيح وكل أحد اذا ضرب وصفع وصلب وتألم بدنه تألمت نفسه ايضاً فان كان الالم مع نفس المسيح وجسده كالنفس مع الجسد وجب ان يكون الرب يتألم بتألم الناسوت ويجوع بجوعه ويشبع بشبعه فان ألم الجوع ولذة الشبع يحصل للنفس اذا جاع البدن وشبع • وايضاً فالمسيح عندهم اله تام وانسان تام والاله اله قبل الاتحاد والانسان انسان قبل الاتحاد فهم يقولون انهما بعد الاتحاد اله تام كما كان وانسان

المقصود المنازعات اللفظية بل يقول: دعواه ان أحد نوعيْ الاختلاط يكون عن تغير واستحالة بخلاف النوع الآخر الذي هو اختلاط لطيف وغليظ دعوى ممنوعة ولم يقم عليها دليلا بل يقول هي باطلة بل لايكون الاختلاط بين شيئين الا مع تغير واستحالة وما ذكره من الامثال والشواهد فهي حجة عليه لقوله فاما اذا كانت الخلطة من خلق لطيف وخلق غليظ لم يخالط تلك الخلطة تغير ولا احتيال مثل خلطة النفس والجسد انساناً واحداً أحدهما ملتحم بالآخر من غير ان تكون النفس تغيرت واحتالت عن جوهرها ان تكون نفساً تعرفها بفعالها ولا الجسد تغير واستحال عن حاله وفعاله. فيقال هذا قول باطل ظاهر البطلان لكل من تصوره فان الجسد اذا خلا عن النفس مثل ما يكون قبل نفخ الروح فيه وما يكون بعد مفارقة الروح له بالموت بل آدم عليه السلام أبو البشر خلق من تراب وماء وصار صلصالا كالفخار ثم نفخت فيه الروح فصار جسداً هو لحم وعظم وعصب ودم فهل يقول عاقل ان جسد آدم قبل النفس وبعدها على صفة واحدة لم يتغير ولم تستحل وذريته من بعده يخلق أحدهم من نطفة ثم علقة ثم مضغة فيكون جسداً ميتاً ثم ينفخ فيه الروح فيصير الجسد حياً بعد ان كان ميتاً وأي تغيير أعظم من انتقال الجسد من الموت الى الحياة ومعلوم بالحس والعقل الفرق بين الحي والميت كما قال تعالى (وما يستوي الاحياء ولا الاموات) والجسد اذا لم ينفخ فيه الروح فهو موات ليس له حس ولا حركة ارادية ولا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يعقل ولا يبطش ولا يأكل ولا يشرب ولا يمنى ولا ينكح ولا يتفكر ولايحب ولا يبغض

ففارقته النفس الناطقة وصار الجسد لا روح فيه واللاهوت مع هذا متحد لم يفارقه وهو في القبر واللاهوت متحد به فيجعلون اتحاده به ابلغ من اتحاد النفس بالبدن والنفس عند اتصالها بالبدن تتغير وتتبدل صفاتها وأحوالها ويصير لها من الصفات والافعال مالم يكن بدون البدن وعند مفارقة البدن تتغير صفاتها وأفعالها فان كان تمثيلهم مطابقاً لزم ان يكون الرب قد تغيرت أوصافه وأفعاله لما اختلط بالمسيح كما تتغير صفات النفس وأفعالها ويكون الرب قبل هذا الاختلاط كالنفس المجردة التي لم تقترن ببدن وايضاً فالنفس والبدن شريكان في الاعمال الصالحة والفاسدة لهما الثواب وعليهما العقاب والثواب والعقاب على النفس اكمل منه على البدن فان كان الرب كذلك كان جميع مايفعله المسيح باختياره فعل الرب كما ان جميع ما يفعله البدن باختياره فعل النفس فالنفس هى التي تخاطب بالامر والنهى فيقال لها كلي واشربي وانكحي ولا تأكلى ولا تشربي ولا تنكحى فان كان الرب مع الناسوت كذلك كان الرب هو المأمور والمنهي بما يؤمر به المسيح وكان الرب هو المصلي الصائم العابد الداعي وبطل قولهم يخلق ويرزق بلاهوته ويأكل ويعبد بناسوته فان النفس والبدن لما اتحدا كانت جميع الافعال الاختيارية للنفس والبدن فاذا صلي الانسان وصام ودعى فالنفس والبدن يوصفان بذلك جميعاً بل النفس أخص بذلك وكذلك اذا أمر أو نهى فكلاهما موصوف بذلك وكذلك اذا ضرب فالم الضرب يصل اليهما كما تصل اليهما لذة الاكل والجماع بل أبلغ من ذلك ان الجني اذا دخل في الأنسى وصرعه وتكلم على لسانه فان الانسى يتغير حتى يبقى الصوت

تام كما كان فنظير هذا ان يكون الانسان المركب من بدن ونفس نفساً تامة وبدنا تاماً وان تكون الحديدة المحماة حديداً تاماً وناراً تامة وهو باطل بل الانسان مركب من نفس وبدن والانسان اسم للمجموع ليس الانسان روحاً والانسان بدناً فلو كان الاتحاد حقاً لوجب ان يقال ان المسيح نصفه لاهوت ونصفه ناسوت وهو مركب من هذا وهذا لا يقال ان المسيح نفسه انسان تام والمسيح نفسه اله تام فان تصور هذا القول على الوجه التام يوجب العلم الضروري حيث جعلوا المسيح الذى هو المبتدأ الموضوع المخبر عنه المحكوم عليه هو انسان تام وهو اله تام يوجب ان يكون نفس الانسان هو نفس الاله ولو قيل هذا في مخلوقين فقيل نفس الملك نفس البشر لكان ظاهر البطلان فكيف اذا قيل فى رب العالمين لاسيما وكثير من النصارى لا يقولون ان جسد المسيح مخلوق بل يصفون الجميع بالالهية وهذا مقتضى قول ائمتهم القائلين ان المسيح اله تام لكنهم تناقضوا فقالوا مع ذلك وهو انسان تام فكأنهم قالوا هو الخالق ليس هو الخالق هو مخلوق ليس هو مخلوقا فجمعوا بين النقيضين وهذا حقيقة قول النصارى لاسيما واتحاد اللاهوت بناسوت المسيح عندهم اتحاد لازم لم يفارقه البتة فيكون ذلك ابلغ من الاتحاد العارض ومن ان الرب كان متحداً بجسد لا روح فيه وثم بالجسد مع نفخ الروح فيه ثم بالجسد بعد مفارقة الروح له وحيث دفن في القبر ووضع التراب عليه ومعلوم ان الانسان اذا كانت فيه النفس وجعل فى التراب تألمت النفس ألماً شديداً ثم تفارق البدن ومن العجائب انهم يقولون ان المسيح صلب ومات

تشج وتقطع ولا الحديدة تغيرت واستحالت الى ان تكون ناراً تحرق كلام باطل ملبس فان الجمرة ليست حديدة محضة ولا ناراً محضة بل نوع ثالث وقوله لم تتغير النار الى ان تصير حديدة ولا الحديدة الى ان تصير ناراً تلبيس • فان الاختلاط لا يتضمن الاستحالة والتغير كاختلاط الكثيفين الذي سامه مثل الماء والخمر والماء والعسل والسمن والعسل والذهب والورق والنحاس والرصاص. قد قال فيه انه لا الخمر خمر ولا الماء ماء بعد اختلاطهما ولكنهما استحالا جميعاً عن جوهرهما فصارا الى أمر متغير ليس هو أحدهما بعينه ولا احدهما خالص من الفساد والاستحالة عن حاله • فيقال له فهذا الذى سلمت فيه الفساد والاستحالة لم يصر الخمر فيه ماء ولا الماء له خمراً فكذلك مورد النزاع اذا لم تصر النار حديدة ولا الحديدة ناراً لم ينفعك هذا النفي ولم يكن هذا مانعاً من الاستحالة الى نوع ثالث ومن الاستحالة والفساد كما ذكرته في اختلاط الكثيفين فانه معلوم ان ما خالطته النار واتحدت به غيرته واحالته وافسدت صورته الاولى • والنار المتحدة به ليست ناراً محضة ومعلوم ايضاً ان الجمرة التي ضربتها مثلا للمسيح فقلت ان الله وعيسى اتحدا كاتحاد النار والحديد حتي صارا جمرة فمعلوم ان الجمرة اذا ضربت بالمطرقة او وضعت في الماء او مدت فان هذه الافعال تقع بالمجموع لا تقع على حديدة بلا نار ولا نار بلا حديدة فيلزم من ذلك ان يكون ما حل بالمسيح من ضرب وبصاق في الوجه ووضع الشوك على الرأس ومن أكل وشرب وعبادة ومن مشي وركوب ومن حمل وولادة وغير ذلك مما حل بالمسيح ومن موت اما متقدم واما متأخر اذا نزل الى الارض ومن صلب على قولهم ان

والكلام الذي يسمع منه ليس هو صوته وكلامه المعروف واذا ضرب بدن الانسى فان الجني يتألم بالضرب ويصيح ويصرخ ويخرج منه من ألم الضرب كما قد جرب الناس من ذلك مالا يحصى ونحن قد فعلنا من ذلك مايطول وصفه فاذا كان الجني تتغير صفاته وأحواله لحلوله في الانسى فكيف بنفس الانسان وعندهم اتحاد اللاهوت بالناسوت أتم وأكمل من اتحاد النفس بالجسد فهل يقول عاقل مع هذا الاتحاد انهما جوهران لكل منهما أفعال اختيارية لايشركه الآخر فيهاويقولون مع قولهم بالاتحاد ان الذي كان يصلي ويصوم ويدعو ويتضرع ويتألم ويتألم ويضرب ويصلب هو نظير البدن والذي كان يأمر وينهى ويخلق ويرزق هو نظير النفس هذا مع قولهم ان مريم ولدت اللاهوت مع الناسوت وانه اتحد به مع كونه حياً وقبل حياته وعند مماته والجسد في ذلك كله كسائر أجساد الآدميين لم يظهر فيه شيء من خصائص الرب أصلا بل ولا بعد اتيانه بالآيات فان تلك كان يجرى مثلها وأعظم منها على يد الانبياء فهذا أقرب أمثالهم وقد ظهر فساده وأبعد منه وأشد فسادا تمثيلهم ذلك بالنار والحديد ومعلوم عند كل من له خبرة ان النار اذا اتصلت بشيء من الاجسام الحيوانية والنباتية والجمادية مثل جسد الانسان وغيره ومثل الخشب والقصب والقطن وغيره ومثل الحديد والذهب والفضة فانها تغير ذلك الجسد وتبدل صفاته عما كانت فتحرقه أو تذيبه أوتلينه • والنار المختلطة به لاتبقى ناراً محضة بل تستحيل وتتغير أيضاً فقول هؤلاء ومثل ماتختلط النار والحديد فيلتحمان جميعاً فيكونان جمرة واحدة من غير ان تكون النار تغيرت الى ان تكون حديدة ثقيلة

بالشمس مع الماء والطين فهو أشد فسادا فانهم قالوا كما تقدم ومثل الشمس المخالطة للماء والطين وكل رطوبة وحمأة فهي لا تتغير ولا تستحيل عن نورها وبقائها وضوءها مع مخالطتها كل سواد ووسخ ونتن ونجس فيقال اما جرم الشمس الذى فى السماء فلم يخالط شيئا من الماء والطين ولا اتحد به ولا حل فيه بوجه من الوجوه بل بينهما من البعد ما لا يقدر قدره الا الله والله تعالى اجل واعظم وابعد من مخالطة الانسان من الشمس للماء والطين فاذا كانت الشمس نفسها لم تتحد ولم تختلط ولا حلت في الماء والطين بل ولا بغيرها من المخلوقات • فرب العالمين اولى ان ينزه عن الاتحاد والاختلاط والحلول بشيء من المخلوقات ولكن شعاع الشمس حل بالماء والطين والهواء وغير ذلك مما يقوم به الشعاع كما يحل شعاع النار فى الارض والحيطان وان كان نفس جرم النار القائم بنفسه الذى فى ذبالة المصباح هو جوهر قائم بنفسه لم تحل ذاته فى شيء من تلك المواضع ولفظ الضياء والنور ونحو ذلك يراد به الشيء القائم بنفسه المستنير كالشمس والقمر وكالنار قال تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقال (وجعلنا فيها سراجا وهاجا)وسمى سبحانه الشمس سراجا وضياء لان فيها مع الانارة والاشراق تسخينا واحراقا فهي بالنار أشبه بخلاف القمر فانه ليس فيه مع الانارة تسخينا فلهذا قال جعل الشمس ضياء والقمر نورا والمقصود هنا ان لفظ الضياء والنور ونحو ذلك يراد به الشيء المستنير المضيء القائم بنفسه كالشمس والقمر والنار ويراد به الشعاع الذى يحصل بسبب ذلك من الهواء والارض وهذا الثاني عرض قائم بغيره ليس هو الاول ولا صفة قائمة بالاول ولكنه

يكون جميع ذلك حل بالمسيح الذي هو عندهم اله تام وانسان تام من غير فرق بين لاهوته وناسوته كما يكون مايحل بجمرة النار من حمل ووضع وطرق بالمطرقة ومد وتصوير بشكل مخصوص والقاء في الماء وغير ذلك حال بمجموع الجمرة لايقول عاقل ان ذلك يحل بالحديد دون النار بل هو حال بالجمرة المستحيلة من حديدة ونار ومن خشبة ونار ليست حديدة محضة ولا نارا محضة ولا مجموع حديد محض ونار محض بل جوهر ثالث مستحيل من حديد ونار كسائر ما يستحيل بالاتحاد والاختلاط الى حقيقة ثالثة فلا فرق بين الشيئين اذا اتحدا واختلطا وصارا شيئاً واحداً من ان يكون كثيفين أو يكون أحدهما كثيفاً والآخر لطيفاً لابد في ذلك كله ان يحصل لكل منهما من التغير والاستحالة مايوجب الاتحاد وان يكون المتحد المختلط المركب منهما شيئاً ثالثا ليس هو أحدهما فقط ولا هو مجموع كل منهما على حاله فقولهم انه مع الاتحاد انسان تام واله تام كلام فاسد معلوم الفساد بصريح العقل وكلما ضربوا له مثلا كان المثل حجة علي فساد قولهم بل مع الاتحاد ليس بانسان تام ولا اله تام لكنه شيء ثالث مركب من انسان ثالث استحال وتغير واله استحال وتغير واذا كان كل من هذين باطلا بل انسانية المسيح باقية تامة كما كانت لم تستحل ولم تتغير ورب العالمين باق بصفات كماله لم يستحل ولم يتصف بشيء من خصائص المخلوقات ولا استحال عما كان عليه قبل ذلك كان قولهم ظاهر الفساد فهذا مثالهم الثاني ليس الذي ضربوه لله حيث شبهوا المسيح او الله مع الانسان بالنفس مع الجسد وشبهوه بالنار مع الحديد وهذا المثل أشد فسادا واظهر . واما المثل الثالث وهو تمثيل ذلك

حق بهذا الاعتبار . واما نفس مايقوم بالرب فلا يتصور ان يقوم هو نفسه بغير الرب بل مايقوم بالمخلوق من الصفات والاعراض يمتنع ان يقوم هو نفسه بغيره فيمتنع في صفات الشمس القائمة بها من شكلها واستدارتها وما قام بها من نور او غيره ان يقوم بغيرها وكذلك ماقام بجرم النار من حرارة وضوء فلا يقوم بغيرها بل اذا جاورت النار هواء او غير هواء حصل في ذلك المحل سخونة أخرى غير السخونة القائمة بنفس النار تسخن الهواء الذى يجاورها كما تسخن القدر الذى يوقد تحتها النار فيسخن ثم يسخن الماء الذي فيها مع ان سخونة النار باقية فيها وسخونة القدر باقية فيها وسخونة الماء به سخونة أخرى حصلت في الماء ليست واحدة من تينك وان كانت حادثة عنها وجنس السخونة يجمع ذلك كله ولهذا ذكر الامام أحمد عن السلف انهم كرهوا ان يتكلم فى حلول كلام الله فى العباد بنفي او اثبات فان لفظ الحلول لفظ مجمل يراد به معنى باطل ويراد به معنى حق وقد جاء في كلام الانبياء لفظ الحلول بالمعنى الصحيح فتأوله من في قلبه زيغ كالنصارى واشباههم عن المعنى الباطل وقابلهم آخرون انكروا هذا الاسم بجميع معانيه وكلا الامرين باطل وقد قدمنا ان الناس يقولون أنت في قلبي او ساكن في قلبي وانت حال في قلبي ونحو ذلك وهم لايريدون ان ذاته حلت فيه ولكن يريدون ان تصوره وتمثله وحبه وذكره حل فى قلبه كما تقدم نظائر ذلك . والمقصود هنا ان النسطورية لو شبهوا مايدعونه من اتحاد وحلول بالشعاع مع الطين كان تمثيلهم باطلا فكيف بالملكية الذين هم أعظم باطلا وضلالا بقولهم ومثله

حادث بسببه فالشعاع الذى هو الضوء والنور الحاصل على الماء والطين والهواء وغير ذلك هو عرض قائم بغيره وليس هو متحدا به البتة فهذا المثل لو ضربته النسطورية الذين يقولون ان الناسوت واللاهوت جوهران بطبيعتين حل أحدهما بالآخر لكان تمثيلا باطلا فان الشمس لم تحل بغيرها ولا صارت مشيئتها ومشيئة غيرها واحدة كما تقوله النسطورية بل شعاعها حل بغيره والشعاع حادث وكائن عنها فاذا قيل ان ما يكون عن الرب من نوره وروح قدسه وهداه وكلامه ومعرفته يحل بقلوب انبيائه والمؤمنين من عباده ومثل ذلك بحلول الشعاع بالارض كان أقرب الى العقول ولهذا قال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة) قال أبي بن كعب مثل نوره في قلوب المؤمنين بهذا وماجاء في بعض الكتب المتقدمة ان الله يحل في قلوب الصديقين فهذا معناه وهو حلول معرفته والايمان به ومثاله العلمي كما بسط فى غير هذا الموضع وكذلك اذا قيل نوره او هداه او كلامه وسمى ذلك روحا يحل في قلوب المؤمنين فهو بهذا الاعتبار والله قد سمى ذلك روحا فقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم) وقال تعالى (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) وقال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وما جاء فى الكتب المتقدمة من ان روح الله او روح القدس يحل فى الانبياء والمؤمنين فهو حق بهذا الاعتبار واذا قيل كلام الله يحل في قلوب القارئين فهو

مع الحديد ومن تمثيلهم بالنفس مع الجسد فان هناك اتصالاً بباطن الحديد والبدن وهنا لم يتصل الشعاع الا بظاهر الطين وغيره وأيضاً فالنفس جوهر قائم بنفسه والشعاع عرض وكذلك النار جوهر فالشمس هنا لم تتحد ولم تحل بالطين بل شعاعها ولا يوصف الطين باتحاده بالشعاع ولا باختلاط الشعاع بباطنه ولا بحلول الشمس نفسها فيه وحينئذ فقول القائل ان الشمس لم تتغير ولم تستحل عن نورها ونقائها وضوئها مع مخالطتها كل وسخ ونتن ونجس . إن اريد به نفس الشمس او صفاتها القائمة بها فتلك لم تتحد بغيرها ولا حلت فيه ولا قامت بغيرها فاذا كانت الشمس كذلك ولله المثل الاعلى فهو أولى ان لا يتحد بغيره ولا يحل فيه ولا يقوم به • وان أريد شعاعها فشعاعها ليس هو الشمس فلا ينفعهم التمثيل به فانهم يقولون ان الله نفسه اتحد بالمسيح والمسيح عندهم هو رب العالمين مع انه انسان تام فهو عندهم اله تام انسان تام والطين ليس بشعاع تام والشعاع نفسه لايخالط شيئاً ولكن يقوم به وقيام العرض بالمحل غير مخالطته له فان المخالطة تكون باختلاط كل من الامرين بالآخر كاختلاط الماء بالطين ونحو ذلك • وأما مايقوم بالسطح الظاهر فلا يقال انه مخالط بجميع الاجزاء فلا يقال للشعاع الذى على الجبال والبحر انه مخالط لجميع الجبال والبحر ولا لشعاع النار انه مخالط للحيطان وداخل الارض وقد تقدم انهم قسموا هذا الباب ثلاثة أقسام • أحدها اختلاط أحد الشيئين بالآخر كالماء والخمر • والثانى اتصال من غير اختلاط كالماء والزيت وكالاناء الذي بعضه فضة وبعضه ذهب وقالوا ان هذا لاينبغي ان يسمي

الشمس المخالطة للطين والماء وكل رطوبة وحمأة تمثيل باطل من وجوه منها ان الشمس نفسها لم تتحد ولم تحل بغيرها بل ذلك شعاعها • ومنها ان الشعاع نفسه لم يتحد بالماء والطين ولكن حل به وقام به • ومنها ان ذلك عام في المخلوقات من وجه وبعباده المؤمنين من وجه لا يختص المسيح به فالمخلوقات كلها مشتركة فى ان الله خلقها بمشيئته وقدرته وانه لا قوام لها الا به فلا حول ولا قوة الا به وهى كلها مفتقرة اليه محتاجة اليه مع غناه عنها ولهـذا كانت من آيات ربوبيته وشواهد إلهيته • ومن سماها مظاهر ومجالي بمعنى ان ذاته نفسها يظهر فيها فهو مفتر على الله ومن أراد بذلك انه اظهر بها مشيئته وقدرته وعلمه وحكمته فاراد بالمظاهر والمجالى مايراد بالدلائل والشواهد فقد أصاب • وكذلك اذا قال هي آثاره ومقتضى أسمائه وصفاته واما المؤمنون فان الايمان بالله ومعرفته ومحبته ونوره وهداه يحل فى قلوبهـم وهو المثل الاعلى والمثال العلمي فلا اختصاص للمسيح بهذه • وكذلك كلامه في قلوب عباده المؤمنين لا اختصاص للمسيح بذلك • ومنها ان الشعاع لم يخالط الماء والطين ولا يخالط شيئاً من الاعيان ولا ينفذ فيـه ولا يتحد به بل يكون على سطحه الظاهر فقط لكن الشعاع يسخن مايحل فيه فاذا سخن ذلك سخن جوفه بالمجاورة كما يسخن الماء بسخونة القدر من غير ان تكون النار خالطت القدر ولا الماء فاين هذا من قولهم ان رب العالمين اتحد بابن امرأة فصار الهاً تاماً وانساناً تاماً وهـل يقول عاقل ان الماء والطين صار شعاعاً تاماً وطيناً تاماً بل الطين طين لكن اثر الشعاع فيه بتجفيفه لم يتحد به الشعاع ولا نفذ فيه ولا حل فى باطنه فهذا المثل ابعد عن مذهبهم من تمثيلهم بالنار

واحد . ومنها ان الشعاع الذى على نفس الزجاج ليس وجوده وجود الزجاج وعندهم وجود الرب وجود الممكنات.ومنها ان الشعاع الحال بهذا الزجاج ليس هو بعينه ذلك الشعاع الحال بالزجاج الآخر وان كان نظيره وهؤلاء عندهم ان الوجود واحد بالعين لا يتعدد . ومنها ان الشعاع عرض مفتقر الى الزجاج فهو مفتقر اليه افتقار العرض إلى محله فيلزم اذا مثلوا به الرب ان يكون الرب مفتقراً الى كل ماسواه مع غنى كل ماسواه عنه وهذا قلب كل حقيقة وأعظم كفراً بالخالق تعالى فانه سبحانه الغني عن كل ماسواه وكل ماسواه مفتقر اليه وكل من قال بحلول الله في شيء من المخلوقات من النصارى وغيرهم يلزمهم ان يكون مفتقراً الى ماحل فيه فانه لاحقيقة للحلول إلا هذا ولهذا كان ماحل بقلوب المؤمنين من الايمان والهدى والنور والمعرفة مفتقراً الى قلوب المؤمنين لايقوم إلا بها وجميع الصور الذهنية القائمة بالاذهان مفتقرة الى الاذهان لا تقوم إلا بها والشعاع مفتقر الى محله لا يقوم إلا به وهكذا سائر النظائر وهؤلاء الذين شابهوا النصاري وزادوا عليهم من الكفر بقولهم ان وجود الخالق وجود كل مخلوق وانه قائم بأعيان الممكنات يقولون انه مفتقر الى الاعيان فى وجوده وهي مفتقرة اليه في ثباتها فيجعلون الخالق محتاجاً الى كل مخلوق والمخلوق محتاجاً الى الخالق ويصرحون بذلك كما يصرح بعض النصارى بان اللاهوت محتاج الى الناسوت والناسوت محتاج الى اللاهوت ومعلوم ان الله غني عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير اليه من كل وجه فهو الصمد المستغني عن كل شيء وكل شيء مفتقر اليه فمن قال انه مفتقر الى مخلوق

اختلاطاً مع افتراق الطبيعتين والقوامين مثل مالا ينبغي ان يكون بين الماء والقلة التي هو فيها خلطة لان طبيعة الفخار ليس بينها وبين الماء خلطة وهذا الفرق موجود في الشعاع والطين بل بينهما من الفرق أشد مما بين الماء والقلة فان الماء جرم قائم بنفسه وهذا عرض قائم بغيره والجسم بالجسم أشبه من الجسم بالعرض والاله عندهم مخالط لجميع ناسوت المسيح لم يخل جزء منه من اتحاد الاله به فاين هذا من هذا ؟ واذا قيل ان الشعاع لم يستحل عن نوره ونقائه وضوئه مع مخالطته كل سواد ووسخ ونتن ونجس لم يكن مثلا يطابقه مع انه لم يخالط الشعاع غيره ثم يقال ان أراد بما لم يتغير نفس الشعاع القائم بالمحل فهذا ممنوع فان الشعاع يتغير بتغير محله فيرى في الاحمر أحمر وفي الاسود اسود وفي الازرق ازرق حتى ان الزجاج المختلف الالوان اذا صار مطرحاً للشعاع ظهر الشعاع متلونا بتلون الزجاج فيرى أحمر وأزرق وأصفر وقد ضرب أهل الاتحاد القائلون بوحدة الوجود وان وجود الخالق هو وجود المخلوق لله امثالاً باطلة شر من أمثال النصارى ولهم مثل السوء ولله المثل الاعلى وكان مما ضربوه لله من الامثال ان شبهوه بالشعاع في الزجاج فالاعيان الثابتة في العدم عندهم هي الممكنات ووجود الحق فاض عليها فشبهوا وجوده بالشعاع وأعيانها بالزجاج وهذا باطل من وجوه منها ان القول بان اعيان الممكنات ثابتة في العدم قول باطل . ومنها ان قولهم ان وجود الخالق هو عين وجود المخلوق هو أيضاً باطل . ومنها ان حلول الشعاع بالزجاج يقتضي حلول أحدهما بالآخر وهم ينكرون الحلول ويقولون الوجود

أول ملك أظهر دين النصارى هو قسطنطين وذلك بعد المسيح باكثر من ثلاثمائة سنةوهو نصف الفترة التى بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم فانها كانت ستمائة سنة أو ستمائةوعشرين واذا كان النصارى مقرين بان ماهم عليه من الايمان صنعه طائفة منهم مع مخالفة آخرين لهم فيه ليس منقولا عن المسيح وكذلك ماهم عليه من تحليل ماحرمه الله ورسوله وكذلك قتال من خالف دينه وقتل من حرم الخنزير مع ان شريعة الانجيل تخالف هذا وكذلك الختان وكذلك تعظيم الصليب وقد ذكروا مستندهم في ذلك ان قسطنطين رأى صورة صليب كواكب ومعلوم ان هذا لا يصلح ان ينبني عليه شريعة فان مثل هذا يحصل للمشركين عباد الاصنام والكواكب ماهو أعظم منه وبمثل هذا بدل دين الرسل واشرك الناس بربهم وعبدوا الاوثان فان الشيطان يخيل هذا وأعظم منه وكذلك الازار الذي رآه من رآه والصوت الذي سمعه هل يجوز لعاقل ان يغير شرع الله الذي بعثت به رسله بمثل هذا الصوت والخيال الذي يحصل للمشركين عباد الكواكب والاصنام ماهو أعظم منه مع ان هذا الذي ذكروه عن بطرس رئيس الحواريين ليس فيه تحليل كل ما حرمه بل قال ماطهره الله فلا تنجسه وما نجسه الله في التوراة فقد نجسه ولم يطهره الا ان ينسخه المسيح والحوارى لم يبح لهم الخنزير وسائر المحرمات ان كان قوله معصوماً كما يظنون والمسيح صلى الله عليه وسلم لم يحل كل ما حرمه الله في التوراة وانما احل بعض ماحرم عليهم ولهذا كان هذا من الاوصاف المؤثرة في قتال النصارى كما قال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله

بوجه ما فهو كاذب مفتر كافر فكيف بمن قال انه مفتقر الى كل شيء والمثل الذي ضربوه له يقتضي ان يكون مفتقراً الى غيره وغيره مستغن عنه كالمثل الذي ضربه النصارى له لما مثلوه بشعاع الشمس مع محله فان محل الشعاع مستغن عن الشعاع والشعاع مفتقر الى محله فمقتضى هذا التمثيل ان الاله محتاجُ الى الانسان والانسان مستغن عن الله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليماً غفورا

(فصل) وهذا الذي قد ذكره هذا البترك سعيد بن البطريق المعظم عند النصاري المحب لهم المتعصب لهم فى أخبارهم التي بين بها أحوالهم فى دينهم معظما لدينهم مع مافى بعض الاخبار من زيادة فيها تحسين لما فعلوه وكثير من الناس ينكر ذلك ويكذبه مثل ماذكره من ظهور الصليب ومن مناظرة أريوس وغير ذلك فان كثيراً من الناس يخالفه فيما ذكر ويذكر ان أمر ظهور الصليب كان بتدليس وتلبيس وحيلة ومكر ويذكر ان اريوس لم يقل قط ان المسيح خالق . ولكن المقصود انه اذا صدق هذا فيما ذكره فانه بين ان عامة الدين الذي عليه النصارى ليس مأخوذاً عن المسيح بل هو مما ابتدعه طائفة منهم وخالفهم في ذلك آخرون وانه كان بينهم من العداوة والاختلاف في ايمانهم وشرائعهم مايصدق قوله تعالى (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) والنصاري يقرون بما ذكره هذا البترك ان

للناس كونوا عبادًا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا

(فصل) وقد حصل بما ذكرناه الجواب عن قولهم وعلى هذا المثال نقول فى السيد المسيح طبيعتان طبيعة لاهوتية التى هى طبيعة كلمة الله وروحه وطبيعة ناسوتية التي أخذت من مريم العذراء واتحدت به وعرف ان هذا قول من أقوال النصارى وان لهم أقوالا اخر تناقض هذا وكل فريق منهم يكفر الآخر اذ كانوا ليسوا على مقالة تلقوها عن المسيح والحواريين بل هى مقالات ابتدعها من ابتدعها منهم فضلوا بها واضلوا كما قال تعالى (ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) فذكر سبحانه انهم ضلوا من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وأيضاً فانه يلزمهم الضلال الذي أصله الجهل ولا يوجد قط من هو نصرانى باطناً وظاهراً الا وهو ضال جاهل بمعبوده وباصل دينه لا يعرف من يعبد ولا بماذا يعبد مع اجتهاد من يجتهد منهم فى العبادة والزهد ومكارم الاخلاق ثم يقال على هؤلاء قولهم طبيعتان ويقولون أيضاً له مشيئتان ويقولون أيضاً انه شخص واحد لم يزد عدده فانهم يقولون انهما اتحدا كما ذكروه فى كتابهم هذا لا يقولون بشخصين

ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون)وقد ذكر من لعنه بعض طوائف النصارى لبعض في مجامعهم السبعة وغير مجامعهم مايطول وصفه ويصدق قوله تعالى (فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة)وحينئذ فقول هؤلآء من خالفنا لعناه كلام لافائدة فيه فان كل طائفة منهم لاعنة ملعونة فليس في لعنتهم لمن خالفهم احقاق حق ولا ابطال باطل وانما يحق الحق بالبراهين والآيات التي جاءت بها الرسل كما قال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)وقد تقدم ماذكره سعيد بن البطريق من أخبارهم انه كان يأتي البترك العظيم منهم الى كنيسة مبنية لصنم من الاصنام يعبده المشركون فيحتال حتى يجعلهم يعبدون مكان الصنم مخلوقاً أعظم منه كملك من الملائكة او نبي من الانبياء كما كان بالاسكندرية للمشركين كنيسة فيها صنم اسمه ميكائيل فجعلها النصارى كنيسة باسم ميكائيل الملك وصاروا يعبدون الملك بعد ان كانوا يعبدون الصنم ويذبحون له وهذا نقل لهم من الشرك بمخلوق الى الشرك بمخلوق اعلامنه اوائك كانوا يبنون الهياكل ويجعلون فيها الاصنام باسماء الكواكب كالشمس والزهرة وغير ذلك فنقلهم المبتدعون من النصارى الى عبادة بعض الملائكة او بعض الانبياء ولهذا قال تعالى (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول

واذا قيل فيه طبيعة الاثنين ومشيئة الاثنين كما في الماء واللبن قوة الماء وقوة اللبن . قيل لابد مع ذلك ان تتغير كل قوة عما كانت عليه فتنكسر الاخرى كما يعرف في سائر صور الاتحاد اذا اتحد هذا مع هذا كسر كل منهما قوة الآخر عما كانت عليه كما اذا اتحد الماء البارد بالماء الحار انكسرت قوة الحر وقوة البرد عما كانت فيبقى المتحد مرتبة متوسطة بين البرد المحض والحر المحض وكذلك الماء واللبن وسائر صور الاتحاد وعلى هذا فيجب اذا اتحد ان تتغير قوة اللاهوت وطبيعته ومشيئته عما كانت وتنكسر قوة الناسوت وطبيعته ومشيئته عما كانت عليه ويبقى هذا المتحد ممتزجا من لاهوت وناسوت وذلك يستلزم نقص اللاهوت عما كان وبطلان كماله كما انه يوجب من كمال الناسوت مالم يكن فكل ما يصفون به الناسوت من اتحاد اللاهوت به فهو مستلزم من نقص اللاهوت وسلب كماله الذى يختص به وبطلان صفاته التامة بحسب ماحصل له من ذلك الناسوت بحكم الاتحاد والا فان كان اللاهوت كما كان فلا اتحاد بوجه من الوجوه بل الناسوت كما كان ثم هما اثنان لم يتحد أحدهما بصاحبه ولا صارا شيئاً واحداً وأيضاً فمع كون الجوهر واحداً يجب ان تكون مشيئته واحدة وطبيعته واحدة فانه لو كان مشيئتان لكان محل احدى المشيئتين ان كان هو محل الاخرى مع تضاد موجب المشيئتين لزم اجتماع الضدين فى محل واحد فان الارادة الناسوتية تطلب الأكل والشرب وان تعبد وتصوم وتصلي واللاهوتية توجب امتناعه من ارادة هذه الاشياء وارادته ان يخلق ويرزق ويدبر العالم والناسوتية تمتنع من هذه الارادة فاذا قامت الارادتان والكراهتان

لئلا يلزمهم القول بأربعة اقانيم، ومنهم من يقول هما جوهران ومنهم من يقول هو جوهر واحد فان قالوا هو جوهر واحد صار قولهم من جنس قول اليعقوبية لاسيما وهم يقولون ان مريم ولدت اللاهوت والناسوت وان المسيح اسم يجمع اللاهوت والناسوت وهو اله تام وانسان تام فاذا كان جوهراً واحداً لزم ذلك ان يكون اللاهوت قد استحال وتغير وكذلك الناسوت فان الاثنين اذا صارا شيئاً واحداً فذلك الشيء الثالث ليس هو انساناً محضاً ولا الهاً محضاً بل اجتمعت فيه الانسانية والالهية ومع انه قد كان الانسان والاله اثنين متباينين وهما فى اصطلاحهم جوهران فاذا صار الجوهران جوهراً واحداً لاجوهرين فقد لزم ضرورة ان يكون هذا الثالث ليس هو الهاً محضاً ولا انساناً محضاً ولا هو جوهران انساناً والهاً فان هذين جوهران لاجوهر واحد بل هو شيء ثالث اختلط وامتزج واستحال من هذا وهذا فتبدلت حقيقة اللاهوت وحقيقة الناسوت حتى صار هذا الجوهر الثالث الذى ليس لاهوتاً محضاً ولا ناسوتاً محضاً كسائر مايعرف من الاتحاد فان كل اثنين اتحدا فصارا جوهراً واحداً فلا بد في ذلك من الاستحالة في اتحاد الماء واللبن والخمر وسائر مايختلط بالماء بخلاف الماء والزيت فانهما جوهران كما كانا لكن الزيت لاصق الماء وطفا عليه لم يتحد به ومثل اختلاط النار والحديد فان الحديد استحال عما كان ولهذا اذا برد عاد الى ما كان وهكذا اتحاد الهوآء مع الماء والتراب حتى يصير بخاراً او غباراً وامثال ذلك وفي الجملة فجميع مايعرفه الناس من الاتحاد اذا صار الاثنان واحداً وارتفعت التثنية فلا بد من استحالة الاثنين

بهذا لزمهم ان يكونا جوهراً واحداً ومشيئة واحدة وهذا قول اليعقوبية ولهذا تتألم النفس بما يحدث في الجسد من الآلام ويتألم الجسم الذى هو القلب الصنوبرى بما يحدث في النفس من الآلام فاذا تألمت النفس تألم قلب الجسد وغير قلب الجسد وكذلك اذا تألم الجسد واذا صفع الجسد وصلب وصفع و بصق فى وجهه ووضع الشوك عليه وتألم ومات كان ذلك كله حالا بالنفس ونالها من اهانة الصفع وألم النزع ماينالها كما يسلمون لله انه حل بنفس المسيح وبدنه . نهم لايتنازعون ان الاله حل ببدن المسيح ونفسه وانما يتنازعون فى اللاهوت مع ان النفس مفارقة للبدن بالموت. واللاهوت عندهم لم يفارق الناسوت بالموت بل صعد الى السماء والمسيح الذى هو اله تام وانسان تام يقعد عن يمين أبيه وكذلك يجيء يوم القيامة وأيضاً فالبدن اذا كانت فيه النفس تتغير صفاته وأحكامه وتختلف أحواله باجتماعها وافتراقها والنفس اذا كانت في البدن تختلف صفاتها وأحكامها فيلزم ان يكون ناسوت المسيح مخالفاً فى الصفات والاحكام لسائر النواسيت وان يكون اللاهوت لما اتحد به تغيرت صفاته وأحكامه وهذا هو الاستحالة والتغير والتبدل للصفات مع ان ناسوت المسيح كان من جنس نواسيت البشر لم يظهر عليه الا ماظهر مثله على غيره بل ظهر على غيره من خوارق العادات أكثر مما ظهر عليه وبالجملة فاي مثل ضربوه للاتحاد كان حجة عليهم وظهر به فساد قولهم. وان قالوا هذا أمر لايعقل بل هو فوق العقول كان الجواب من وجهين أحدهما انه يجب الفرق بين مايعلم العقل بطلانه وامتناعه وبين مايعجز العقل عن تصوره ومعرفته فالاول من محالات العقول والثاني من مجازات العقول والرسل يخبرون

بمحل واحد لزم ان يكون ذلك الجوهر الموصوف بهذا وهذا مريد لاشئ ممتنعاً من ارادته غير مريد له كارهاً لاشيء غير كاره له وذلك جمع بين النقيضين من وجوه متعددة ويمتنع ان يقوم بالموصوف الواحد ارادتان جازمتان بالشيء ونقيضه او كراهيتان جازمتان للشيء او نقيضه والفعل لايقع الا بارادة جازمة مع القدرة فاللاهوت ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ومتى شاء شيئاً مشيئة جازمة فانه على ماشاء قادر والناسوت لايفعل شيئاً من خصائص البشرية حتى يريد ذلك ارادة جازمة والناسوت يمتنع ان يريد ارادة اللاهوت ويكره ذلك فيصير الشيء الواحد مريداً للشيء ارادة جازمة قادراً عليه ليس مريداً له ارادة جازمة بل هو عاجز عنه ويلزم أيضاً اذا كانا جوهراً واحداً وقد ولد وصفع وضرب وصلب ومات وتألم ان تكون نفس اللاهوت ضرب وصلب ومات وتألم كما تقوله اليعقوبية وهذا لازم لجميع النصارى وهو موجب عقيدة ايمانهم. فان قالوا بل هما جوهران مع كونهما عندهم شخصاً واحداً لاتعدد فيه كما يقوله من يقوله من الملكية كان هذا كلاما متناقضاً فان الشخص الواحد الذي لا تعدد فيه جوهر واحد ولهذا حد بانه جسم. وان شبهوا ذلك بالنفس مع الجسد لزمهم المحذور فان الانسان كما يقال فيه انه شخص واحد يقال انه جوهر واحد بما بينهما من الاتحاد ولهذا يحد بانه جسم حساس نام متحرك بالارادة ناطق هذا يتناول جسده وروحه وللنفس والبدن مشيئة واحدة ومتى شاء الانسان الفعل مشيئة جازمة مع قدرته عليه فعله ولم يكن معه جوهر آخر له مشيئة غير مشيئته فاذا شبهوا اتحاد اللاهوت بالناسوت

ومن أعظم القبائح المحرمة في جميع الشرائع ان يقول الانسان برايه على الله قولا لايتصوره ولا يفهمه وجميع العقلاء يعلمون ان من قال قولا وهو لايتصوره ولا يفقهه فان قوله مردود عليه غير مقبول منه وان قوله من الباطل المذموم وان قال قائلهم اني أفقه ماأقول واتصوره وأعقله قيل له بينه لغيرك حتى يفقهه ويعقله ويتصوره ولا تقل هو فوق العقل بل هو قول قد عقلته وفهمته وهذا تقسيم لامحيد لهم عنه فانهم ان كانوا يفقهون مايقولون ويعقلونه لزم ان يكون معقولا وان كانوا لايفقهونه ولا يعقلونه لزم انهم قالوا على الله مالا يفقهونه ولا يعقلونه قولا برأيهم وعقلهم لا نقلا لالفاظ الانبياء.فان من نقل الفاظ الانبياء الثابتة عنهم لم يكن عليه ان يفقه ويعقل مايقول ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه الى من لم يسمعه فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه فقد يحفظ الرجل كلاما فيبلغه غيره وهو لايفقه معناه ولا يعقله فمن نقل لفظ التوراة أو الانجيل او القرآن او الفاظ سائر الانبياء لم نطالبه ببيان معناه بخلاف من ادعى انه فهم ماقاله الانبياء وعبر عن ذلك بعبارة أخرى فانه يقال له ان كنت فهمت ماقالوه فهو معنى واحد عبروا عنه بعبارة وعبرت عنه بعبارة اخرى كالترجمان فهذا يعقل مايقول ويفقهه وان قال اني لم افهم كلامهم او لم افهم ماقلته فقد اعترف بجهله وضلاله وانه من الذين لم يفهموا كلام الانبياء عليهم السلام ولم يفقهوا ماقالوه هم فلو قالوا لم نفهم كلام الانبياء وسكتوا لكانوا اسوة امثالهم من الجهال بمعاني كلام الانبياء واما اذا وضعوا عبارة وكلاماً ابتدعوه وامروا الناس باعتقاده

بالثاني وأما الاول فلا يقوله الأكاذب ولو جاز ان يقول هذا لجاز ان يقال ان الجسم الواحد يكون أبيض اسود في حال واحدة وانه بعينه يكون في مكانين وان الشيء الواحد يكون موجوداً معدوما في حال واحدة وأمثال ذلك مما يعلم العقل امتناعه وقول النصارى مما يعلم بصريح العقل انه باطل ليس هو مما يعجز عن تصوره يوضح هذا انه لو قال قائل في مريم أم المسيح امرأة الله وزوجته فانه نكحها نكاحاً عقلياً كما يقولون ان المسيح ولده ولادة عقلية لم يكن هذا القول أفسد في العقل من قولهم في المسيح كما قد بسطناه في موضعه وهم يكفرون من يقول ذلك ويحتجون بالعقل على فساده واذا قال هذا فوق العقل لم يقبلوه وكذلك كل طائفة من طوائفهم احتجت على الاخرى بالعقل واذا قالوا قولنا فوق العقل لم يقبلوا هذا الجواب فان كان هذا جواباً صحيحاً فيجب ان لا يبحث في شيء من الالهيات بالعقل بل يقول كل مبطل ماشاء من الباطل ويقول كلامي فوق العقل كما يقوله أصحاب الحلول والاتحاد والوحدة الذين يقولون ان وجود الخالق وجود المخلوق ويقولون ان هذا فوق العقل وانما نعلم بالذوق لا بالسمع ولا بالعقل. الوجه الثاني ان يقال مايعجز العقل عن تصوره اذا اخبرت به الانبياء عليهم السلام قبل منهم لانهم يعلمون ما يعجز غيرهم من معرفته وهذه الاقوال لم يقل الانبياء شيئاً منها بل نفس فرق النصارى قالوها بآرائهم وزعموا أنهم استنبطوها من بعض ألفاظ الكتب. فيقال لمن قالها منهم أنت تتصور ماتقول أم لا تتصوره وتفهمه وتعقله؟ فان قال لا اتصور ماأقول ولا أفقهه ولا أعقله قيل له فقد قلت على الله مالا تعلم وقفوت ما ليس لك به علم

يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ونحو ذلك وأما مايسميه بعض الناس معقولات ويخالفه فيه كثير من العقلاء مثل القول بتماثل الاجسام وبقاء الاعراض فان الاجسام مركبة من الجواهر المنفردة التي لا تقبل القسمة أو من المادة والصورة وان مالا يتناهى من الامور المتعاقبة شيئاً بعد شيء يمتنع وجوده أما في الماضي والمستقبل أو في الماضي فقط أو ان الكليات موجودة في الخارج جواهر قائمة بانفسها أوان لنا دهراً أو مادة هي جوهر عقلي قائم بنفسه او انه يمكن وجود جوهر قائم بنفسه لايشار اليه ونحو ذلك مما يعده من يعده من النظار انه عقليات وينازعهم فيه آخرون فليس هذا هو العقليات التي لايجب لاجلها رد الحس والسمع وينبني عليها علوم بني آدم بل المعقولات الصحيحة الدقيقة الخفية تردالى معقولات بديهية اولية بخلاف العقليات الصريحة مثل كون الجسم الواحد لايكون في مكانين فى وقت واحد فان هذا معلوم بفطرة الله التى فطر الناس عليها فاذا جاء في الحس او الخبر الصحيح مايظن انه يخالف ذلك مثل ان يرى الشخص الواحد فى عرفات وهو فى بلده لم يبرح اويرى قاعداً في مكانه وهو في مكان آخر اوترى انه اغاث من استغاث به او جاء طائراً في الهواء مع العلم بانه فى مكانه لم يتغير منه فهذا انما هو جني تصور بصورة ذلك الشخص ليس هو نفسه فهذا يشبهه ليس هو اياه والحسيات ان لم يميز بينها بالعقل والا فالحس يغلط كثيراً فكذلك من ادعى فيما حصل له من المكاشفة والمخاطبة أمراً يخالف صريح العقل يعلم انه غالط فيه كمن قال من القائلين بوحدة الوجود انى أشهد بباطني وجوداً مطلقاً مجرداً عن الاسماء والصفات لا اختصاص فيه ولا قيد البتة

وقالوا هذا هو الايمان والتوحيد وقالوا انا مع هذا لانتصور ماقلناه ولا نفقهه ولا نعقله فهؤلاء من الذين يقولون على الله الا يعلمون ويفترون على الله وعلى كتب الله وانبياء الله بغير علم بل يقولون الكذب المفترى والكفر الواضح ويقولون مع ذلك انا لا نعقله وهذا حال النصارى بلا ريب وهذا الموضع غلط فيه طائفتان من الناس غالية غلت في المعقولات حتى جعلت ماليس معقولا من المعقول وقدمتـه على الحس ونصوص الرسول وطائفة جفت عنه فردت المعقولات الصريحة وقدمت عليها ماظنته من السمعيات والحسيات وهكذا الناس في السمعيات نوعان وكذلك هم في الحسيات الباطنة والظاهرة نوعان فيجب ان يعلم ان الحق لا ينقض بعضه بعضاً بل يصدق بعضه بعضاً بخلاف الباطل فانه مختلف متناقض كما قال تعالى في المخالفين للرسل (والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك) وان ماعلم بمعقول صريح لايخالفه قط لا خبر صحيح ولا حس صحيح وكذلك ماعلم بالسمع الصحيح لايعارضه عقل ولا حس وكذلك ماعلم بالحس الصحيح لايناقضه خبر ولا معقول والمقصود هنا الكلام مع من يعارض المعقولات بسمع أو حس * فنقول لفظ المعقول يراد به المعقول الصريح الذي يعرفه الناس بفطرهم التي فطروا عليها من غير ان يتلقاه بعضهم عن بعض كما يعلمون تماثل المتماثلين واختلاف المختلفين اعني اختلاف التنوع لا اختلاف التضادد والتباين فان لفظ الاختلاف يراد بهذا وهذا وهذه المعقولات في العلميات والعمليات هي التي ذم الله من خالفها بقوله (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وقوله (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب

الا رؤيته واما كونه زيداً او عمرا فهذا لابد فيه من عقل يميز بين هذا وهذا ولهذا كان الصغير والمجنون والبهيم والسكران والنائم ونحوهم لهم حس ولكن لعدم العقل لايميزون ان هـذا المشهود هو كذا أم كذا بل قد يظنون ظنوناً غير مطابقة قال تعالى (والذين كفروا أعمـالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله سريع الحساب) فالظمآن يرى ان ماظنه ماء ولم يكن ماء لاشتباهه بالماء والحس لم يغلط لكن غلط عقله والانبياء صلوات الله عليهـم وسلامه معصومون لايقولون على الله الا الحق ولا ينقلون عنه الا الصدق فمن ادعى في أخبارهم ماينافض صريح المعقول كان كاذباً بل لابد أن يكون ذلك المعقول ليس بصريح او ذلك المنقول ليس بصحيح فما علم يقيناً انهـم أخبروا به يمتنع ان يكون في العقل ماينافضه وما علم يقيناً ان العقل حكم به يمتنع ان يكون فى أخبارهم ماينافضه ٠ وقول أهل الاتحاد من النصارى وغيرهم سواء ادعوا الاتحاد العام او الخاص قد عـلم بصريح العقل بطلانه فيمتنع ان يخبر به نبي من الانبياء بل الانبياء عليهـم السلام قد يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته لابمـا يعلم العقل بطلانه فيخبرون بمحارات العقول لابمحالات العقول ومن سوى الانبياء ليس معصوماً فقد يغلط ويحصل له فى كشفه وحسه وذوقه وشهوده أمور يظن فيها ظنوناً كاذبة فاذا أخبر مثل هذا بشيء علم بطلانه بصريح العقل علم انه غالط واذا أخبر غير الانبياء بما يعجز عقل كثير من الناس عن معرفته لم يلزم ان يكون صادقاً ولا كاذباً بل لانحكم بصدقه ولا كذبه الا بدليل لاحتمال ان

فلا ينازع في هذا كما قد ينازعه بعض الناس لكن يقال له من أين لك ان هذا هو رب العالمين الذى خلق السموات والارض فان كون ماشهدته بقلبك هو الله أمر لايدرك بحس القلب واذا ادعيت انه حصل لك في الكشف مايناقض صريح العقل علم انك غالط كما قال شيخ هؤلاء الملاحدة التلمساني

ياصاحبي أنت تنهاني وتأمرني * والوجد اصدقُ نهاءٍ وامّار
فان اطعك واعصى الوجد عدت عما * عن العيان الى أوهام أخبار
وعين ما أنت تدعوني اليه اذا * حققته تَرَهُ المنهى ياجار

فيقال له وجدك وذوقك لم يفدك الا شهود وجود مطلق بسيط لكن من اين لك ان هذا هو رب العالمين بل من اين لك ان هذا ثابت في الخارج عن نفسك كلياً مطلقا مجرداً بل انما تشهده كلياً مطلقا مجردا في نفسك * ولست تعلم بحس ولا عقل ولا خبر ان هذا هو في الخارج كما ان النائم اذا شهد حسه الباطن اشياء لم يكن معه يقين ان هذا فى الخارج فاذا عاد اليه عقله علم ان هذا كان في خياله في المنام وكذلك السكران وغيره ممن يضعف عقله فهذا يشهد بحسه الباطن أو الظاهر أشياء وقد ضعف عقله عن كنه ذلك لما ورد عليه اذا ثاب اليه عقله علم ان ما شهده كان في نفسه وخياله لافي الخارج عن ذلك فكل من أخبر بما يخالف صحيح المنقول أو صريح المعقول يعلم انه وقع له غلط وان كان صادقا فيما يشهده فى الحس الباطن أو الظاهر لكن الغلط وقع في ظنه الفاسد المخالف لصريح العقل لافى مجرد الحس فان الحس ليس فيه علم بنفى او اثبات فمن راى شخصا فليس في الحس

في الباري تعالى انه واحد فما حملكم على أن تقولوا أب وابن وروح قدس فتوهمون السامعين انكم تعتقدون في الله ثلاثة اشخاص مركبة او ثلاثة آلهة او ثلاثة أجزاء وان له ابناً ويظن من لايعرف اعتقادكم انكم تريدون بذلك ابن المباضعة والتناسل فتطرقون على أنفسكم تهمة أنتم منها بريئون ؟ قالوا وهم أيضاً لما كان اعتقادهم في الباري جلت عظمته انه غير ذي جسم وغير ذي جوارح واعضاء وغير محصور في مكان فما حملهم على ان يقولوا ان له عينين يبصر بهما ويدين يبسطهما وساق ووجه يوليه الى كل مكان وجنب وانه يأتي في ظلل من الغمام فيوهمون السامعين ان الله ذو جسم وذو اعضاء وجوارح وانه ينتقل من مكان الى مكان في ظلل من الغمام فيظن من لايعرف اعتقادهم انهم يجسمون الباري حتى ان قوماً منهم اعتقدوا ذلك واتخذوه مذهباً ومن لم يتحقق اعتقادهم يتهمهم بما هم بريئون منه قال فقلت لهم انهم يقولون ان العلة في قولهم هذا ان الله له عينان ويدان ووجه وساق وجنب وانه يأتي في ظلل من الغمام فهو ان القرآن نطق به واذ ذلك غير ظاهر اللفظ وكل من يحمل ذلك على ظاهر اللفظ ويعتقد ان الله له عينان ويدان ووجه وجنب وجوارح واعضاء وان ذاته تنتقل فهم يلعنونه ويكفرونه فاذا كفروا من يعتقد هذا فليس لمخالفيهم ان يلزموهم هذا بعد ان لا يعتقدوه قالوا وكذلك نحن أيضاً النصارى العلة في قولنا ان الله ثلاثة اقانيم أب وابن وروح قدس ان الانجيل نطق به والمراد بالاقانيم غير الاشخاص المركبة والاجزاء والابعاض وغير ذلك مما يقتضي الشرك والتكثير وبالاب والابن غير ابوة وبنوة نكاح

يكون غالطاً واحتمال ان يكون قد علم مايعجز غيره عن معرفته واذا قال القول المعلوم فساده بصريح العقل من ليس بنبي وقال ان هذا فوق العقل او هذا وراء طور العقل والنقل او هذا لانعرفه ان لم نترك العقل والنقل او قال

هم معشر حلوا النظام وأحرقوا الـ * ـسياج فلا فرض لديهم ولا نفل
مجانين الا ان سر جنونهم * عزيز على أبوابه يسجد العقل

قيل وهذا يمتنع ان يقوله نبي او ينقله صادق عن نبي فان أقوال الانبياء لاتناقض العقل الصريح فكيف يقبل هذا ممن ليس بنبي وان قال كما يقوله النصارى او غيرهم ان هذا دل عليه كلام الانبياء او فهمناه من كلام الانبياء • قيل لهم الكلام في معاني الالفاظ التي نطقت بها الانبياء شيء والكلام الذى فهمتموه عنهم شيء آخر ولو قدر ان ماذكرتموه أنتم او غيركم فهمتموه من كلام الانبياء ليس مخالفاً لصريح العقل لم نجزم بان قائل ذلك يتصور ماقال بل قد يكون فهم من كلامهم مالم يريدوه فكيف اذا كان هو نفسه لم يتصور ماقال بل هم معترفون بانه غير معقول له وهو لايفهمه وكيف اذا كان الذي قاله معلوم الفساد بصريح العقل فهذه ثلاث مقدمات لو فهمه ثم قال اني فهمت كلامهم لم يكن فهمه حجة فكيف اذا قال انى لم أفهمه وان هذا فوق طور العقل ولو قال هذا لم يكن قوله حجة ولم يجب تصديقه من ان الانبياء عنوا بكلامهم المعنى الذى اعترفوا انه فوق طور العقل فكيف اذا عرف ان ذلك المعنى باطل يمتنع ان يقوله عاقل لانبي ولا غير نبي

(فصل) قال الحاكي عنهم فقلت لهم انهم يقولون لنا اذا كان اعتقادكم

الكفار المخالفون للرسل (وسلام على المرسلين) لسلامة ما قالوه من النقص والعيب (والحمد لله رب العالمين) فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال ونزهوه عن النقائص المناقصة للكمال ونزهوه عن ان يكون له مثل في شيء من صفات الكمال وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل ونفوا عنه التمثيل فاتوا باثبات مفصل ونفي مجمل فمن نفى عنه ما أثبته لنفسه من الصفات كان معطلا ومن جعلها مثل صفات المخلوقين كان ممثلاً والمعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً وقد قال تعالى (ليس كمثله شيء)وهو رد على الممثلة (وهو السميع البصير)وهو رد على المعطلة فوصفته الرسل بانه حي منزه عن الموت عليم منزه عن الجهل قدير قوي عزيز منزه عن العجز والضعف والذل واللغوب سميع بصير منزه عن الصمم والعمي غني منزه عن الفقر جواد منزه عن البخل حكيم حليم منزه عن السفه صادق منزه عن الكذب الى سائر صفات الكمال مثل وصفه بأنه ودود رحيم لطيف وقد قال تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فالصمد اسم يتضمن أثبات صفات الكمال ونفي النقائص وهو العليم الكامل في علمه القدير الكامل في قدرته الحكيم الكامل في حكمته ولنا مصنف مبسوط في تفسير هذه السورة وآخر في بيان انها تعادل ثلث القرآن وذكرنا كلام علماء المسلمين من الصحابة والتابعين في معنى الصمد وان عامة ماقالوه حق كقول من قال منهم ان الصمد الذي لاجوف له ومن قال منهم انه السيد الذي انتهى سودده كما قيل انه المستغني عن كل ماسواه وكل ماسواه محتاج اليه وكما قيل انه العليم الكامل في علمه والقدير

او تناسل او جماع او مباضعة وكل من يعتقد ان الثلاثة اقانيم ثلاثة آلهة مختلفة او ثلاثة آلهة متفقة او ثلاثة أجسام مؤلفة او ثلاثة اجزاء متفرقة او ثلاثة أشخاص مركبة او اعراض او قوى او غير ذلك مما يقتضي الاشتراك والتكثير والتبعيض والتشبيه او بنوة نكاح او تناسل اومباضعة او جماع او ولادة زوجة او من بعض الاجسام او من بعض الملائكة او من بعض المخلوقين فنحن نلعنه ونكفره ونحرمه واذا لعنا وكفرنا من يعتقد ذلك فليس لمخالفينا ان يلزمونا بعد ان لا نعتقده وان الزمونا الشرك والتشبيه لاجل قولنا أب وابن وروح قدس لان ظاهر ذلك يقتضي التكثير والتشبيه • الزمناهم أيضاً نحن التجسيم والتشبيه لقولهم ان الله له عينان ويدان ووجه وساق وجنب وان ذاته تنتقل من مكان الى مكان وانه استوى على العرش من بعد ان لم يكن عليه وغير ذلك مما يقتضي ظاهره التجسيم والتشبيه* والجواب من وجوه احدها ان يقال من آمن بما جاءت به الرسل وقال ما قالوه من غير تحريف للفظه ولا معناه فهذا لا انكار عليه بخلاف من ابتدع اقوالا لم تقلها الرسل بل هي تخالف ما قالوه وحرف ما قالوه اما لفظاً ومعنى واما معنى فقط فهذا يستحق الانكار عليه باتفاق الطوائف واصل دين المسلمين انهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه وينفون عنه ما نفاه عن نفسه ويتبعون في ذلك اقوال رسله ويجتنبون ما خالف اقوال الرسل كما قال تعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) أى عما يصفه

عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الاموات والاحياء ونؤمن بروح القدس المحيي وروح الحق المنبثق من أبيه أو الذي يخرج من أبيه روح محييه فاين في كلام الانبياء ان شيئاً من صفات الله أو من مخلوقاته يقال فيه انه اقنوم وانه اله حق من اله حق من جوهر أبيه وانه مساوي لله في الجوهر وانه خالق كل شيء وانه قعد عن يمين الله فوق العرش وانه الذي يقضي بين الناس يوم القيامة وأين في كلام الانبياء ان لله ولدا قديماً ازلياً ومن الذي سمى كلام الله أو علمه أو حكمته مولوداً له أو ابناً له أو شيئاً من صفاته مولوداً له أو ابناً له ومن الذي قال من الانبياء انه مولود وهو مع ذلك قديم ازلي واين في كلامهم ان لله اقنوماً ثالثاً هو حياته ويسمى بروح القدس وانه ايضاً رب حي محيي فلو كان النصارى آمنوا بنصوص الانبياء كما آمن المؤمنون لم يكن عليهم ملام ومن اعترض على نصوص الانبياء كان لفساد فهمه ونقص معرفته ولكن هم ابتدعوا أقوالاً وعقائد ليست منصوصة عن أحد من الانبياء عليهم السلام وفيها كفر ظاهر وتناقض بين فلو قدر انهم أرادوا بها معنى صحيحاً لم يكن لاحد ان يبتدع كلاماً لم يأت به نبي يدل على الكفر المتناقض الذي يخالف الشرع والعقل ويقول اني أردت به معنى صحيحاً من غير ان يكون لفظه دالا على ذلك فكيف والمراد الذي يفسرون به كلامهم فاسد متناقض كما تقدم فهم ابتدعوا أقوالا منكرة وفسروها بتفسير منكر فكان الرد عليهم من كل واحد من الوجهين وهم في ذلك نظير بعض ملاحدة المسلمين الذين يعتقدون الهية بعض أهل البيت أو بعض المشايخ ويصفون الله بصفات

الكامل في قدرته الى سائر صفات الكمال وذكر تعالى في هذه السورة انه أحد ليس له كفواً أحد فنفى بذلك ان يكون شيئاً من الاشياء له كفواً وبين انه احد لا نظير له وقال في آية أخرى (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) وقال (ليس كمثله شيء) وقال (فلا تضربوا لله الامثال ولا تجعلوا لله اندادا) وما ورد في القرآن والسنة من اثبات صفات لله فقد ورد في التوراة وغيرها من كتب الله مثل ذلك فهو أمر اتفقت عليه الرسل وأهل الكتاب في ذلك كالمسلمين واذا كان كذلك فهم في أمانتهم لم يقولوا ما قاله المسيح والانبياء بل ابتدعوا اعتقاداً لايوجد في كلام الانبياء فليس في كلام الانبياء لا المسيح ولا غيره ذكر اقانيم لله لا ثلاثة ولا اكثر ولا اثبات ثلاثة صفات ولا تسمية شيء من صفات الله ابناً لله ولا رباً ولا تسمية حياته روحاً ولا ان لله ابناً هو اله حق من اله حق من جوهر أبيه وانه خالق كما ان الله خالق الى غير ذلك من الاقوال المتضمنة لانواع من الكفر لم تنقل عن نبي من الانبياء فقالوا في شريعة ايمانهم نؤمن بالله الاب مالك كل شيء صانع ما يرى ومالا يرى وهذا حق ثم قالوا وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلايق كلها مولود ليس بمصنوع اله حق من اله حق من جوهر أبيه نور من نور مساوى للاب في الجوهر الذي بيده اتقنت العوالم خالق كل شيء الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء البتول وصار انساناً وحبل به وولد من مريم البتول والم وصلب ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب وصعد الى السماء وجلس

وجاءت الاحاديث الصحيحة توافق ذلك وأما لفظ عينين فليس هو في القرآن ولكن جاء فيه حديث وذكر الاشعري عن أهل السنة حيث انهم يقولون ان لله عينين ولكن الذي جاء في القرآن ولتصنع على عيني واصنع الفلك باعيننا ووحينا وحملناه على ذات الواح ودسر تجري باعيننا وأما قولهم له وجه يوليه الى كل مكان فليس هذا في القرآن ولكن في القرآن (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقوله (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) وقوله (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله) وهذا قد قال فيه طائفة من السلف فثم قبلة الله أي فثم جهة الله والوجه والجهة كالوعد والعده والوزن والزنة والمراد بوجه الله وجهة الله الوجه والجهة والوجهة الذى لله يستقبل في الصلاة كما قال في أول الآية (ولله المشرق والمغرب ثم قال فاينما تولوا فثم وجه الله (كما قال تعالى (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم)فاذا كان لله المشرق والمغرب ولكل وجهة هو موليها وقوله موليها أى متوليها أى مستقبلها فهذا كقوله فاينما تولوا فثم وجه الله أى فاينما تستقبلوا فثم وجهة الله وقد قيل انه يدل على صفة لله لكن يدل على ان ثم وجه لله وان العباد أينما يولون فثم وجه الله فهم الذين يولون ويستقبلون لا انه هو يولى وجهه الى كل مكان فهذا تحريف منهم للفظ القرآن عن معناه وكذب على المسلمين ومن قال بالقول الثانى من المسلمين فان ذلك يقتضى ان الله محيط بالعالم كله كما قد بسطت هذه الامور في غير هذا الموضع اذ المقصود هنا بيان ضلال هؤلاء في دينهم

لم ينطق بها كتاب وهؤلاء ملحدون عند المسلمين بخلاف المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسله الذين آمنوا بما قالت الانبياء ولم يبتدعوا أقوالا لم يأت بها الانبياء وجعلوها أصل دينهم • الوجه الثاني أن يقال ما ذكرتموه عن المسلمين كذب ظاهر عليهم فهذا النظم الذى ذكروه ليس هو في القرآن ولا فى الحديث ولا يعرف عالم مشهور من علماء المسلمين ولا طائفة مشهورة من طوائفهم يطلقون العبارة التي حكوها عن المسلمين حيث قالوا عنهم انهم يقولون ان لله عينين يبصر بهما ويدين يبسطهما وساقا ووجهاً توليه الى كل مكان وجنباً ولكن هؤلاء ركبوا من الفاظ القرآن بسوء تصرفهم وفهمهم تركيباً زعموا ان المسلمين يطلقونه وليس في القرآن ما يدل ظاهره على ما ذكروه فان الله تعالى قال فى كتابه وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء واليهود أرادوا بقولهم يد الله مغلولة انه بخيل فكذبهم الله فى ذلك وبين انه جواد لايبخل فاخبر ان يديه مبسوطتان كما قال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً) فبسط اليدين المراد به الجود والعطاء ليس المراد ما أوهموه من بسطه المجرد ولما كان العطاء باليد يكون ببسطها صار من المعروف فى اللغة التعبير ببسط اليد عن العطاء فلما قالت اليهود يد الله مغلولة وأرادوا بذلك انه بخيل كذبهم الله فى ذلك وبين انه جواد ماجد واثبات اليدين له موجود فى التوراة وسائر النبوات كما هو موجود في القرآن فلم يكن فى هذا شيء يخالف ماجاءت به الرسل ولا ماينافض العقل وقد قال تعالى لابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدي فاخبر انه خلق آدم بيديه

جنوبهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائماً فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب واذا قدر ان الاضافة هنا تتضمن صفة لله كان الكلام فى هذا كالكلام فى سائر مايضاف اليه تعالى من الصفات وفى التوراة من ذلك نظير مافى القرآن وهذا يتبين بالوجه الثالث وهو ان يقال مافى القرآن والحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من وصف الله بهذه الصفات التي يسميها بعض الناس تجسيما هو مثل مافى التوراة وسائر كتب الانبياء وهذا الذى في التوراة وكتب الانبياء ليس مما أحدثه أهل الكتاب ولو كانوا هم ابتدعوا ذلك ووصفوا الخالق بما يمتنع عليه من التجسيم لكان النبي صلى الله عليه وسلم ذمهم على ذلك كما ذمهم على ماوصفوه به من النقائص فى مثل قوله (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) وقوله (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وقال تعالى (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب) فنفى عنه اللغوب الذى يظن* في لفظ الاستراحة الذى في التوراة فان فيها ان الله خلق العالم فى ستة أيام ثم استراح فى يوم السبت فظن بعض الناس انه تعب فاستراح ثم من علماء المسلمين من قال ان هذا اللفظ حرفوا معناه دون لفظه وهذا لفظ التوراة المنزلة قاله ابن قتيبة وغيره وقالوا معناه ثم ترك الخلق فعبر عن ذلك بلفظ استراح ومنهم من قال بل حرفوا لفظه كما قال ابو بكر بن الانبارى وغيره وقالوا ليس هذا لفظ التوراة المنزلة واما مافي التوراة من اثبات الصفات فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من ذلك بل كان علماء

فيما ابتدعوا من الكفر والتثليث والاتحاد دون الذين آمنوا بالله ورسله وما أخبرت به الرسل عن الله تبارك وتعالى وأما قولهم وجنب فانه لا يعرف عالم مشهور عند المسلمين ولا طائفه مشهورة من طوائف المسلمين أثبتوا لله جنباً نظير جنب الانسان وهذا اللفظ جاء في القرآن في قوله (ان تقول نفس ياحسرتا على مافرطت في جنب الله) فليس في مجرد الاضافة ما يستلزم ان يكون المضاف الى الله صفة له بل قد يضاف اليه من الاعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة له باتفاق الخلق كقوله تعالى بيت الله وناقة الله وعباد الله بل وكذلك روح الله عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم ولكن اذا أضيف اليه ماهو صفة له وليس بصفة لغيره مثل كلام الله وعلم الله ويد الله ونحو ذلك كان صفة له وفي القرآن مايبين انه ليس المراد بالجنب ماهو نظير جنب الانسان فانه قال ان تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله والتفريط ليس في شيء من صفات الله عز وجل والانسان اذا قال فلان قد فرط في جنب فلان او جانبه لايريد به ان التفريط وقع في شيء من نفس ذلك الشخص بل يريد به انه فرط في جهته وفي حقه فاذا كان هذا اللفظ اذا أضيف الى المخلوق لا يكون ظاهره ان التفريط في نفس جنب الانسان المتصل باضلاعه بل ذلك التفريط لم يلاصقه فكيف يظن ان ظاهره في حق الله ان التفريط كان في ذاته وجنب الشيء وجانبه قد يراد به منتهاه وحده ويسمي جنب الانسان جنباً بهذا الاعتبار قال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعاً وقال تعالى (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى

فكيف يجوز تشبيه هذا بهذا ٠ الوجه الرابع قولهم فيوهمون السامعين ان الله ذو جسم وأعضاء وجوارح كلام باطل وذلك ان الله سمي نفسه وصفاته باسماء وسمى بعض عباده وصفات عباده باسماء هي في حقهم نظير تلك الاسماء في حقه سبحانه وتعالى فسمى نفسه حياً كقوله الله لا اله إلاّ هو الحي القيوم وتوكل على الحي الذى لايموت وسمى بعض عباده حياً كقوله يخرج الحى من الميت مع العلم بانه ليس الحى كالحي وسمى نفسه عليما كقوله ان ربك حكيم عليم وسمى بعض عباده عليما كقوله وبشرناه بغلام عليم فاعلم بانه ليس العليم كالعليم وسمى نفسه حليما بقوله والله غنى حليم وسمى بعض عباده حليما بقوله وبشرناه بغلام حليم وسمى نفسه رؤفاً رحيما بقوله ان الله بالناس لرؤف رحيم وسمى بعض عباده رؤفا رحيما بقوله بالمؤمنين رؤف رحيم وليس الرؤف كالرؤف ولا الرحيم كالرحيم وكذلك سمى نفسه ملكا جباراً متكبراً عزيزاً وسمى بعض عباده ملكا وبعضهم عزيزا وبعضهم جباراً متكبرا وليس هو في ذلك مماثلا لخلقه وكذلك سمي بعض صفاته علماً وقوة وايدا وقدرة ورحمة وغضباً ورضى وبدا وغير ذلك وسمي بعض صفات عباده بذلك وليس علمه كعلمهم ولا قدرته كقدرتهم ولا رحمته وغضبه كرحمتهم وغضبهم ولا يده كايديهم وكذلك ما أخبر به عن نفسه من استوائه على العرش ومجيئه فى ظلل من الغمام وغير ذلك من هذا الباب ليس استواءه كاستوائهم ولا مجيئه كمجيئهم وهذه المعانى التي تضاف الى الخالق تارة والى المخلوق أخرى تذكر على ثلاثة أوجه تارة تقيد بالاضافة الى الخالق أو باضافته اليها كقوله

اليهود اذا ذكروا شيئاً من ذلك يقرهم عليه كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ان حبراً من اليهود جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد ان الله عز وجل يوم القيمة يحمل السموات على أصبع والارض على أصبع والجبال والشجر علي أصبع والماء والثرى علي أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول انا الملك قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقول الحبر ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه) الآية وفي التوراة ان الله كتب التوراة باصبعه واذا ثبت ان مثل هذه النصوص في التوراة والكتب المتقدمة باتفاق أهل الكتاب وبما يشهد على ذلك من أخبار الرسول بنظير ذلك وترك انكاره لما في التوراة وتصديقه على ما كانوا يذكرونه من ذلك لم يكن المسلمون مختصين بذكر ماسموه تجسيما بل يلزم أهل الكتاب اليهود والنصارى من ذلك نظير ما يلزم المسلمين وقد افترق أهل الكتاب في ذلك كما افترق فيه المسلمون منهم الغالي في النفي والتعطيل ومنهم الغالي في التشبيه والتمثيل والمسلمون أئمتهم وجمهورهم مقتصدون بين التعطيل والتمثيل وكذلك طائفة من أهل الكتاب والمقصود انه اذا كانت هذه الصفات قد جاءت في الكتب الالهية التوراة وغيرها كما جاءت في القرآن لم يكن للمسلمين بذلك اختصاص ولم يجز للنصارى ان يجعلوا ذلك نظير ما اختصوا به من التثليث والاتحاد فان ذلك مختص بهم وهذه الصفات قد اشترك فيها الملل الثلاث لان التثليث والاتحاد ليس منصوصاً عن أحد من الانبياء عليهم السلام وهذه الصفات منصوصة في القرآن والتوراة وغيرهما من كتب الانبياء

أريد بالتواطيء ماتستوي معانيه كانت المشككة نوعا آخر لكن تخصيص لفظ المتواطئة بهذا عرف حادث وهو خطأ ايضاً فان عامة المعاني العامة تتفاضل والتماثل فيها في جميع مواردها بحيث لاتتفاضل في شيء من مواردها اما قليل واما معدوم فلو لم تكن هذه الاسماء متواطئة بل مشككة كان عامة الاسماء الكلية غير متواطئة وهذا مبسوط في موضع آخر والمقصود هنا ان الله سبحانه وتعالى اذا أضاف الى نفسه ما أضافه اضافة تختص بها وتمنع ان يدخل فيها شيء من خصائص المخلوقين وقد قال مع ذلك انه ليس كمثله شيء وانه لم يكن له كفواً أحد وانكر ان يكون له سمي كان من فهم من هذه ما يختص به المخلوق قد اتى من سوء فهمه ونقص عقله لا من قصور في بيان الله ورسوله ولا فرق في ذلك بين صفة وصفة فمن فهم من علم الله مايختص به المخلوق من انه عرض محدث باضطرار أو اكتساب فمن نفسه اتي وليس في قولنا علم الله ما يدل على ذلك وكذلك من فهم من قوله بل يداه مبسوطتان وما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ما يختص به المخلوق من جوارحه وأعضائه فمن نفسه اتى فليس في ظاهر هذا اللفظ مايدل على مايختص به المخلوق كما في سائر الصفات وكذلك اذا قال ثم استوى على العرش من فهم من ذلك مايختص بالمخلوق كما يفهم من قوله فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فمن نفسه أتى فان ظاهر اللفظ يدل على استواء يضاف الى الله عز وجل كما يدل في تلك الآية على استواء يضاف الى العبد واذا كان المستوى ليس مماثلا للمستوى لم يكن الاستواء مماثلا للاستواء فاذا كان العبد فقيراً الى ما استوى عليه يحتاج الى حمله

ولايحيطون بشيء من علمه ان الله هو الرزاق ذو القوة وتارة تقيد بالمخلوق كقوله شهد الله انه لا اله إلا هو والملائكة واولو العلم وتارة تطلق مجردة فاذا قيدت بالخالق لم تدل على شيء من خصائص المخلوقين فاذا قيل علم الله وقدرته واستواؤه ومجيئه ويده ونحو ذلك كانت هذه الاضافة توجب مايختص به الرب الخالق وتمنع ان يدخل فيها مايختص به المخلوق وكذلك اذا قيل فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك كانت هذه الاضافة توجب مايختص بالعبد وتمنع أن يدخل في ذلك مايختص بالرب عز وجل واذا جرد اللفظ عن القيود فذكر بوصف العموم والاطلاق تناول الامرين كسائر الالفاظ التي تطلق على الخالق والمخلوق وهذه للناس فيها أقوال قيل انها حقيقة في الخالق مجاز في المخلوق كقول ابي العباس الناشيء وقيل بالعكس كقول غلاة الجهمية والباطنية والفلاسفة وقيل حقيقة فيهما وهو قول الجمهور ثم قيل هي مشتركة اشتراكا لفظياً وقيل متواطئة وهو قول الجمهور ثم من جعل المشككة نوعا من المتواطئة لم يمتنع عنده اذا قيل مشككة ان تكون متواطئة ومن جعل ذلك نوعا آخر جعلها مشككة لا متواطئة وهذا نزاع لفظي فان المتواطئة التواطأ العام يدخل فيها المشككة اذ المراد بالمشككة مايتفاضل معانيها في مواردها كلفظ الابيض الذي يقال على البياض الشديد كبياض الثلج والخفيف كبياض العاج والشديد أولى به ومعلوم ان مسمى البياض في اللغة لا يختص بالشديد دون الخفيف فكان اللفظ دالا على مابه الاشتراك وهو المعنى العام الكلي وهو متواطيء بهذا الاعتبار وهو باعتبار التفاضل يسمى مشككا وأما اذا

اصله فى اللغة هو الجسد قال غير واحد من أهل اللغة كالاصمعي وأبي زيد وغيرهما الجسم هو الجسد وهذا انما يستعمله اهل اللغة فيما كان غليظاً كثيفاً فلا يسمون الهواء جسما ولا جسداً ويسمون بدن الانسان جسداً وقد تقدم ان الجسم يراد به نفس الجسد ويراد به قدر الجسد وغلظه قال تعالى (وزاده بسطة في العلم والجسم) وقال تعالى (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة) وقد يراد به هذا وهذا ثم ان أهل النظر استعملوا لفظ الجسد في أعم من معناه فى اللغة كما فعلوا مثل ذلك في لفظ الجوهر ولفظ العرض ولفظ الوجود ولفظ الذات وغير ذلك فاستعملوا لفظ الجسم فيما يقوم بنفسه وتمكن الاشارة اليه الحسية المختلفة ثم تنازعوا نزاعا عقلياً فيما يشار اليه كالهواء والنار والتراب والماء وغير ذلك هل هو مركب من الجواهر المنفردة التي لاتقبل القسمة أو من المادة والصورة أو ليس مركباً لا من هذا ولا من هذا على ثلاثة اقوال قد بسط الكلام عليها فى غير هذا الموضع فمن اعترف انها مركبة من هذا او من هذا يلزمه اذا قال ان الله جسم ان يكون الله مركباً من هذا اوهذا . ولهذا قالوا ان هذا باطل واوجبوا على اصلهم نفي مسمى هذا الاسم وهذا هو المشهور عند هؤلاء ومن اعتقد انه ليس مركباً لامن هذا ولا من هذا قال لايلزمني إذا قلت هو جسم أن يكون مركبا . فمن هؤلاء من اطلق عليه لفظ الجسم واراد به القائم بنفسه او الموجود كما اطلق هؤلاء لفظ الجوهر وقالوا اردنا بالجوهر القائم بنفسه وكما قال هؤلاء ليس فى الوجود الا جوهر او عرض فان الوجود اما قائم بنفسه وهو الجوهر او بغيره وهو العرض

وكان الرب عز وجل غنياً عن كل ما سواه والعرش وما سواه فقيراً اليه وهو الذي يحمل العرش وحملة العرش لم يلزم اذا كان الفقير محتاجا الى ما استوى عليه ان يكون الغنى عن كل شيء وكل شيء محتاج اليه محتاجا الى ما استوى عليه وليس في ظاهر كلام الله عز وجل ما يدل على ما يختص به المخلوق من حاجة الى حامل وغير ذلك بل توهم هذا من سوء الفهم لا من دلالة اللفظ لكن اذا تخيل المتخيل في نفسه ان الله مثله تخيل ان يكون استواؤه كاستوائه واذا عرف ان الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله علم ان استواءه ليس كاستوائه ولا مجيئه كمجيئه كما ان علمه وقدرته ورضاه وغضبه ليس كعلمه وقدرته ورضاه وغضبه وما بين الاسماء كالمعنى العام الكلي كما بين قولنا حي وحي وعالم وعالم وهذا المعنى العام الكلي المشترك لا يوجد عاماً كلياً مشتركا الا في العلم والذهن والا فالذى في الخارج أمر يختص بالموصوف فصفات الرب عز وجل مختصة به وصفات المخلوق مختصة به ليس بينهما اشتراك ولا بين مخلوق ومخلوق . الوجه الخامس قولهم لما كان اعتقادهم في الباري جلت قدرته انه غير ذى جسم استعمال منهم للفظ الجسم في القدر والغلظ لا في ذى القدر والغلظ وهذا أحد موردى استعماله وهو الاشهر في لغة العامة فيقولون هذا الثوب له جسم وهذا ليس له جسم أى هذا له غلظ وكثافة دون هذا ولكن النظار اكثر ما يستعملون لفظ الجسم في نفس ذى القدر فيقولون للقائم بنفسه ذى القدر انه جسم وهذا اللفظ لما كثر استعماله في كلام النظار تفرقوا في معانيه لغة وعقلا وشرعا تفرقا ضل به كثير من الناس فان هذا اللفظ

ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يقولوا أن الله جسم ولا انه ليس بجسم ولا انه جوهر ولا انه ليس بجوهر لكن النزاع اللغوي والعقلي والشرعي في هـذه الاسماء هو مما احدث في الملل الثلاث بعد انقراض الصدر الاول من هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء والذى اتفقت عليه الرسل واتباعهم ماجاء به القرآن والتوراة من ان الله موصوف بصفات الكمال وانه ليس كمثله شيء فلا تمثل صـفاته بصفات المخلوقين مع اثبات ما أثبته لنفسه من الصفات ولا يدخل في صفاته ماليس منها ولايخرج منها ما هو داخل فيها اذا تبين هذا فالمسلمون لمـا كان اعتقادهم بان الله تعالى موصوف بما وصف به نفسه وانه ليس كمثله شيء وكان ما أثبتوه له من الصفات التي جاءت بها الرسل لم يكن عليهم ملام لانهم اثبتوا ما أثبتته الرسل ونفوا مانفته الرسل فكان فى هـذا النفي ماينفي الوهم الباطل بخلاف من أثبت أموراً لم تأت بهـا الرسل وضم اليها ما يؤكد المعنى الباطل لاماينفيه وكان مما نفوا عنه انه ليس بجسم مركب من الجواهر المنفردة ولا من المـادة والصورة اما على احد قولي النظار بل وأظهرهما فان ماسواه من الموجودات القائمة بانفسها ليس مركباً لامن هذا ولا من هـذا فهو سبحانه احق بتنزيهه عن مثل هـذا اذ كل نقص نفى عن المخلوق فالخالق أحق بتنزيهه منه وأما على القول الآخر فتارة يقولون لان المركب من الجواهر المنفردة يمكن افتراق اجزائه وذلك ممتنع فى حق الله تعالى وتارة يقولون لانه مفتقر الى اجزائه وذلك ممتنع في حق الله تعالى اذ جزءه غيره والمفتقر الى غيره لايكون واجباً بنفسه قديماً أزلياً كما قد بسط الكلام على هذه الامور في موضع آخر ثم منهم من

والجوهر اشرف القسمين . وقال الآخرون ليس في الوجود الا قائم بنفسه وهو الجسم او قائم بغيره وهو العرض والجسم اشرف القسمين وقال فما سماه أولئك جوهرا سماه اولئك جسما وكلاهما ليست تسميته لغوية ولا شرعية وإذا قال هؤلاء هو جوهر لا كالجواهر كما يقال هو شيء لا كالأشياء . قال اولئك انه هو جسم لا كالاجسام كما يقال هو شيء لا كالاشياء واذا قال هؤلاء الجوهر ينقسم الى كثيف ولطيف قال أولئك والجسم ينقسم الى لطيف وكثيف والمقصود هنا ان هؤلاء الذين نزهوه عما يمتنع عليه من مماثلة المخلوقين وسموه جسما نزاعهم مع النفاة قد يكون لفظياً كنزاع النصارى في لفظ الجوهر وقد يكون عقلياً كنزاعهم فى ان المشار اليه هل هو مركب من الجواهر المنفردة او من المادة والصورة اولا من هذا ولا من هذا ومن قال من القائلين بانه جسم فيقول انه مركب من الجواهر المنفردة او من المادة والصورة فهؤلاء مذمومون لفظاً ومعنى عند جماهير المسلمين وغيرهم وان كان النصارى وغيرهم يعجزون عن الرد على هؤلاء إذ كان ما يعتمدون عليه فى تنزيه الله عن خصائص الاجسام طرقا ضعيفة لاتثبت على المعيار العقلي كما قد بسط في موضع آخر بخلاف من كان نزاعه لفظياً فهذا يذم إمّا لغة واما لغة وشرعا لكونه أطلق لفظاً لم يأذن به الشرع او استعمله في خلاف معناه اللغوي كما قد يذم النافي بمثل ذلك لغة وشرعا اذا كان معناه صحيحاً . واما من كان من النفاة او المثبتة نفى حقاً او أثبت نفياً باطلاً فهذا مذموم ذما معنوياً شرعا وعقلاً واما الشرع فالرسل واتباعهم الذين من أمة موسى وعيسى

يكن قد نزّه نفسه عن مماثلتها فهؤلاء لما أحدثوا ان مسمى الاحد والواحد لايكون مشاراً اليه قالوا والرب قد سمى نفسه أحداً وواحداً فيجب ان لايكون مشاراً اليه ولغةُ الرسول التي خاطب بها الناس لم تكن موافقة لما ابتدعوه من اللغة وكذلك الذين قالوا هو جسم غيروا اللغة وجعلوا الجسم اسما لما يشار اليه او لكل موجود ولكل قائم بنفسه ثم قالوا وهو موجود او قائم بنفسه او مشاراليه فيكون جسما ولايوجد في اللغة اسم الجسم لاهذا ولا لهذا ولا لهذا وقالوا لايلزم من كونه مشاراً اليه ان يكون مركباً من الجواهر المفردة ولامن المادة والصورة وقال أولئك بل يلزم ان كل مركب فانه يسمى في اللغة جسماً فيلزم ان يسمى جسما إذا قلنا هو مشاراليه او يرى بالابصار اومتصفاً بصفات تقوم به وليس ما ذكروه عن اللغة بمستقيم فان أهل اللغة لايعنون بالجسم المركب بل الجسم عندهم هو الجسد ولا يسمون الهواء جسما اذا تبين هذا فتمثيل هؤلاء النصارى باطل على كل قول طائفة من طوائف المسلمين فمنهم من يقول الجسم فى اللغة هو المركب والله ليس بمركب فليس بجسم • لايقولون بما ذكروه من ان الله له وجه يوليه الى كل مكان وجنب ونحوذلك وكذلك من قال ان الله ليس بمركب وسماه جسما بمعنى انه قائم بنفسه او لم يسمه جسما لايقول بذلك أيضاً ومن حكي عنه انه يثبت له خصائص الاجسام المركبة فهؤلاء ان اطلقوا مانفاه فلا حجة للنصارى عليهم وان لم يطلقوه فحجتهم ابعد فقد تبين انه ليس لهم حجة على أفسد الناس قولا فى التجسيم فضلا عن غيرهم الوجه السادس ان يقال لهؤلاء النصارى اما ان تعنوا بلفظ الجسم

لا يطلق من النفي والاثبات الا الالفاظ الشرعية فكما لايقول هو جسم وجوهر لايقول ليس بجسم ولا جوهر ومنهم من يطلق هذه الالفاظ وهؤلاء منهم من ينفيها ومنهم من يثبتها وكل من الطائفتين قد يدخل في ذلك ما يوافق الشرع وقد يدخل في ذلك ما يخالف الشرع وكل من الطائفتين يدعي النظر العقلي او اللغوي وربما اعتصم بعضهم بما يظنه دليلا شرعياً والغالب عليهم انهم لايعتصمون في ذلك بشرع اذ لم يكن في ذلك شرع وانما يتكلفون تغيير اللغة التي بعث بها الرسول ثم يحملون الفاظه على ما ابتدعوه من اللغة كما فعلته النصارى في حمل كلام الانبياء على ما ابتدعوه من اللغة فان الانبياء لم يسموا علم الله وحياته ابناً وروح قدس ولا رباً فيسمي النصارى علمه وحياته ابناً وروح قدس ورباً ثم حملوا كلام الانبياء على ذلك كذلك طائفة من أهل الكلام كان السلف يسمونهم الجهمية أحدثوا تسمية الواحد والاحد ونحوهما لما لايشار اليه ولا يميز الحس منه شيئاً عن شيء وهذا خلاف اللغة فان أهل اللغة يسمون بالواحد والوحيد والاحد في النفي لما يشار اليه ويميز الحس منه شيئاً من شيء قال تعالى (ذرني ومن خلقت وحيداً) فسمي الانسان وحيداً وقال تعالى (وان كانت واحدة فلها النصف) فسمى المرأة واحدة (وما أمرنا الا واحدة) وقال (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) فسمى المستجير وهو انسان احداً وكذلك قوله تعالى (ولم يكن له كفواً أحد) نفى ان يكون احد كفواً له فلو كان مايشار اليه لايسمى أحداً لم يكن قد نزهه عن مماثلة المخلوقات له فان المشهود من المخلوقات كلها يشار اليها فان لم يدخل في أحد لم

مشار اليه بل ما هو جسم كالانسان فان جاز لكم ان تثبتوا هذه الاعراض في غير جسم جاز لغيركم ان يثبت المجيء واليد ونحو ذلك لغير جسم وان قلتم هذا لا يعقل الا لجسم • قيل لكم وذلك لا يعقل الا لجسم فان رجعتم الى الشاهد كان حجة عليكم وان جاز لكم ان تثبتوا في الغائب حكما على خلاف الشاهد جاز لغيركم وحينئذ فلا تناقض بين مانفاه المسلمون وأثبتوه لوكان ماذكرتموه عنهم من النفي والاثبات حقاً على وجهه فكيف وقد وقع التحريف في الطرفين • الوجه السابع ان يقال غاية مقصودكم ان تقولوا ان المسلمين لما أطلقوا ألفاظاً ظاهرها كفر عندهم لمجيء النص بها وهم لا يعتقدون ظاهر مدلولها كذلك نحن أطلقنا هذه الالفاظ التي ظاهرها كفر لمجيء النص بها ونحن لا نعتقد مدلولها * فيقال لكم أولا ان ما أطلقه المسلمون من نصوص الصفات اطلقتموه انتم كما وردت به التوراة فهذا مشترك بينكم وبينهم وما اختصصتم به من التثليث والاتحاد لم يشركوكم فيه ثم يقال ثانيا ان المسلمين أطلقوا الفاظ النصوص وأنتم أطلقتم الفاظاً لم يرد بها نص والمسلمون قرنوا تلك الالفاظ بما جاءت به النصوص من نفي التمثيل وانتم لم تقرنوا بالفاظكم ما ينفي ما أثبتموه من التثليث والاتحاد والمسلمون لم يعتقدوا معنى باطلا وانتم اعتقدتم من التثليث في الاقانيم والاتحاد ماهو معنى باطل والمسلمون لم يسموا صفات الله باسماء أحدثوا تسمية الصفات بها وحملوا كلام الرسل عليها وانتم أحدثتم لصفات الله اسماء سميتموه انتم بها لم تسمه بها الرسل وحملتم كلام الرسل عليها والمسلمون لم يعدلوا عن النصوص الكثيرة المحكمة البينة الواضحة الى

المعنى اللغوي وهو الجسد واما ان تعنوا به المعنى الاصطلاحي عند أهل الكلام كالمشار اليه مثلا فان عنيتم الاول لم يلزم من نفي ذلك نفي ماذكرتموه من الصفات لاسيما وأنتم تقولون انه جوهر وقسمتم الجوهر الى لطيف وكثيف فاذا كان الكثيف هو الجسم واللطيف جوهر ليس بجسم لم يمتنع على مثل هذا ان يكون له ماينا سبه من الصفات كالملائكة فان الملائكة لايمتنع وصفها بذلك وان لم تكن أجساماً على هذا الاصطلاح بل هي جواهر روحانية وكذلك روح الانسان التي تخرج منه لايمتنع وصفها بما يناسبها من ذلك وان كانت ليس بجسم على هذا التقدير فتبين ان نفي مسمى الجسم اللغوي عن الشيء لايمتنع اتصافه بما ذكر من الصفات وامثالها وان عنيتم بالجسم القائم بنفسه او المشار اليه لم يمتنع عندكم ان يكون جسما فانكم سميتموه جوهراً وعنيتم القائم بنفسه فان قام الدليل على ان كل قائم بنفسه مشار اليه كان أيضاً مشاراً اليه وان قام دليل على انه قائم بنفسه لايشار اليه كان جوهراً وجسما عند من يفسر الجسم بالقائم بنفسه ومن فسره بالمشار اليه لم يسم عنده جسما فتبين انه على أصلكم لايمتنع ان يسمى جسما مع تسميتكم له جوهراً الا اذا أثبت ان من الموجودات ماهو جوهر قائم بنفسه لايشار اليه وهذا لم يقيموا عليه دليلا وليس هذا قول أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى وانما هو قول طائفة من الفلاسفة وقليل من أهل الملل وافقوهم ثم يقال لكم أنتم قلتم انه حي ناطق وله حياة ونطق بل زدتم على ذلك حتى جعلتموه اقانيم ثلاثة ومعلوم ان الحياة والنطق لاتعقل الاصفة قائمة بموصوف ولايعلم موصوف بالحياة والنطق الاماهو

أيضاً اذ لا فرق بين علم الرب وحياته • فعلمه لازم له وحياته لازمة له فلماذا جعلتم هذا ابنا دون هــذا وقلتم انه مولود من الله وانه قديم أزلي وانتم تعترفون بان أحداً من الانبياء لم يسم علم الله ولا كلامه ولا حكمته مولودا منه والذى يعقله الخلق في المولود الذى يولد من غيره كما يتولد العــلم و الكلام من نفس الانسان انه حادث فيه او منفصل عنه لا يعقل انه قائم به وانه متولد منــه قديم ازلي ثم قلتم في امانتكم انه تجسم من روح القدس أو منه ومن مريم وهو انمــا تجسم عندكم من الكلمة التي سميتموها الابن دون روح القــدس .وان كان تجسم من روح القدس فيكون هو روح القدس لا يكون هو الكلمة التي هي الابن ثم تقولون هو كلمة الله وروحه فيكون حينئذ اقنومين اقنوم الكلمة واقنوم الروح وانما هو عندكم اقنوم واحد فهذا تناقض وحيرة تجعلونه الابن الذي هو الكلمة وهو اقنوم الكلمة فقط وتقولون تجسم من روح القــدس ولا تقولون انه تجسم من الكلمة وتقولون هو كلمة الله وروحه والكلمة والروح اقنومان ولا تقولون انه اقنومان بل اقنوم واحد وتقولون انه خالق العالم والخالق هو الاب وتقولون ليس هو الاب وتقولون اله حق من اله حق وتقولون اله واحد ساوى الاب فى الجوهر وتقولون ليس له مثل وليس شيء من هذا فى كلام أحد من الانبياء فكيف تشــبهون انفسكم بمن اتبــع نصوص الانبياء ولم يحرفها وغاية ماعندكم ماوجد فى انجيــل متى دون سائر الاناجيل من ان المسيح عليــه السلام قال عمــدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس وانتم قد عرفتم في كلام المسيح وغيره من الانبياء انهم لا يريدون

الفاظ قابلة متشابهة وانتم عدلتم عن هذا الى هذا والمسلمون لم يضعوا لهم شريعة اعتقاد غير ماجاءت به الرسـل وانتم وضعتم شريعة اعتقاد غير ماجاءت به الرسل والمسلمون لم يقولوا قولا لايعقل وانتم قلتم قولا لايعقل والمسلمون لم يتناقضوا فيجعلوا الاله واحداً وتجعلونه اثنين بل ثلاثة وانتم تناقضتم فهـذه الفروق وغـيرها مما يبين فساد تشبيهكم انفسكم بالمسلمين • الوجه الثامن قولكم وكذلك نحن النصارى الملة في قولنا ان الله ثلاثة اقانيم اب وابن وروح قدس ان الانجيـل نطق به فيقال لـكم هذا باطل فانه لم ينطق لا الانجيل ولا شيء من النبوات بان الله ثلاثة اقانيم ولا خص أحد من الانبياء الرب بثـلاث صفات دون غيرها ولا قال المسيح ولا غيره ان الله هو الاب والابن وروح القدس ولا ان له اقنوما هو الابن واقنوما هو روح القدس ولا قال ان الابن كلمته أو علمه أو حكمته أو نطقه وان روح القدس حياته ولا سمى شيئاً من صفاته ابناً ولا ولدا ولا قال عن شيء من صفات الرب انه مولود ولا انه جعل القديم الازلي مولودا ولا قال لاعن قديم ولا مخلوق انه اله حق من اله حق ولا قال عن صفات الله انها آلهـة وان الكلمة اله والروح اله ولا قال ان الله اتحد لا بذاته ولا بصفاته بشيء من البشر بل هذا كله مما ابتـدعتموه وخرجتم به عن الشرع والعقل فخالفتم الكتب المنزلة والعقول الصريحـة وكنتم ممن قيل فيه (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) فانكم انتم الذين سميتم نطق الله ابنا وقلتم سميناه ابنا لانه تولد منـه كما يتولد الـكلام من العقل فكان ينبغي أيضاً ان تسموا حياته ابناً لانها منبثقة منـه ومتولدة عنه

انها لفظة رومية يفسرونها تارة بالاصل وتارة بالشخص وتارة بالذات مع الصفة ويفسرونها تارة بالخاصة وتارة بالصفة فهلا تركتم كلام المسيح على حاله ولم تحرفوه هذه التحريفات ولقد أحسن بعض الفضلاء اذ قال لو سألت نصرانياً وابنه وابن ابنه عما يعتقدونه لاخبرك كل واحد بعقيدة تخالف عقيدة الآخر اذ كان أصل اعتقادهم جهلا وضلالا ليس معهم علم لا نقل ولا عقل فهم كما قال الله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) وليس معهم بما اعتقدوه من التثليث والاتحاد علم بوجه من الوجوه فضلا عما هو أخص من ذلك وهو علم يهتدون به فليسوا بمهتدين فضلا عما هو أخص من الهدى وهو كتاب منير فليس معهم به كتاب منير ولو تكلمتم بهذا الكلام وقلتم لا نفهم معناه أو ظاهره باطل وله تأويل مقبول كما حكيتموه عمن تشبهتم به من المسلمين من انه يقوله في الصفات لكان هذا أقرب الى القياس فكيف والامر بعكس ماذكرتم وذلك يتبين بالوجه التاسع وهو انكم انما ضللتم بعدولكم عن صريح كلام الانبياء وظاهره الى ما تأولتموه عليه من التأويلات التي لايدل عليها لفظه لا نصا ولا ظاهراً فعدلتم عن المحكم واتبعتم المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فلو تمسكتم بظاهر هذا الكلام لم تضلوا فان الابن ظاهره في كلام الانبياء لايراد به شيء من صفات الله بل يراد به وليه وحبيبه ونحو ذلك وروح القدس لا يراد به صفته بل يراد به وحيه وملكه ونحو ذلك فعدلتم عن ظاهر اللفظ ومفهومه الى معنى

بالابن صفة الله لا كلامه ولا علمه ولا حكمته ولا يريدون بالابن اله حق من اله حق ولا مولود قديم ازلي بل يريدون به وليه وهو ناسوت لا لاهوت كيعقوب والحواريين ولا يريدون بروح القدس نفس حياة الله ولا يريدون به انه رب حي وانما يريدون بها الملك أو ماينزله الله على قلوب انبيائه وأصفيائه من الهدى والتأييد ونحو ذلك فروح القدس يكون عندكم وعند المسلمين فى الانبياء وغيرهم كما كانت فى داود وغيره وكانت فى الحواريين فلو قدر ان لفظ الابن وجد في كلام المسيح مستعملا تارة في كلمة الله وتارة فى وليه الناسوت وروح القــدس مستعملا تارة فى حياته وتارة فيما ينزله على قلوب انبيائه كان جزمكم بانه أراد بذلك هنا صفات الله جزما باطلا فما وصف به المسيح من انه ابن الله ومن ان روح القدس فيه قد وصف به غيره من الانبياء والصالحين فان كان الابن وروح القــدس صفتين لله وجب ان يكون غير المسيح لاهوتاً وناسوتاً كالمسيح اذ الذي حل فى المسيح حل فى غيره ثم جزمكم بان هذه الصفات اقانيم وانه ليس لله صفات ذاتية أو جوهرية أو نحو ذلك الا هذه الثلاثة ثم تفرقتم في الثلاثة هل المراد بالاقانيم الوجود والعــلم والحياة أو الحكمة والكلام أو النطق بدل لفظ العلم أو المراد الوجود والعلم والقدرة بدل الحياة أو المراد الوجود والحياة والقدرة أو المراد الوجود مع الحياة والعلم والقدرة الى أقوال اخر يطول أمرها فياليت شعري ما الذى أراد المسيح بلفظ الاب والابن وروح القدس من هذه الامور التي اختلفتم فيها لو كان مراده ما ادعيتموه من الاقانيم والاقانيم لفظاً ومعنى لايوجد في كلام أحد من الانبياء بل قيل فيها

قط ولا باتحاد ولا بما يدل على ذلك وعمدتم على ما نقله متى عنه دون الثلاثة انه قال عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس وهذا الكلام ظاهره بل نصه حجة على خلاف قولكم وانه أراد بالابن نفسه وهو الناسوت لم يرد به صفة الله وأراد بروح القدس ماأيده الله به أو روح القدس الذى نفخ في أمه حتى حبلت به لم يرد به صفة الله تعالى فتأولتم كلامه على خلاف ظاهره تأويلا يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول فكيف تدعون انكم تمسكتم بظاهر كلامه ولما كان قول النصارى في التثليث متناقضاً في نفسه لاحقيقة له صار مجرد تصوره التام كافياً فى العلم بفساده من غير احتياج الى دليل وان كانت الادلة تظهر بفساده ولهذا سلك طائفة من العلماء في الكلام معهم هذا المسلك وهو ان مجرد تصور مذهبهم كاف في العلم بفساده فانه غير معقول وقالوا ان النصارى ناقضت فى اللفظ وأحالت في المعنى فلا يجوز ان يعتقد مايدعون انتحاله لتناقضه وذلك انهم يزعمون ان الثلاثة واحد والواحد ثلاثة وهذا لا يصح اعتقاده لانه لايجوز ان يعتقد المعتقد في الشيء انه ثلاثة مع اعتقاده فيه انه واحد لان ذلك متضاد واذا كان ذلك كذلك فليس يخلو من ان يعتقد انه ثلاثة أو انه واحد وليس يحتاج ان يعرف بدليل بطلان قول من ادعي ان الواحد ثلاثة وان الثلاثة واحد لان ذلك لا يعقل وهو كمن ادعي في الشيء انه موجود معدوم او قديم محدث او في الجسم انه قائم قاعد متحرك ساكن واذا كان كذلك فتناقضه اظهر من ان يحتاج فيه الى دلالة واذا قال النصارى انه احدىّ الذات ثلاثي الصفات • قيل لو اقتصرتم على قولكم انه واحد وله صفات متعددة لم ينكر ذلك عليكم

لا يدل عليه اللفظ البتة فكيف تدعون انكم اتبعتم نصوص الانبياء

الوجه العاشر انكم بالغتم فى ذم المسيح وانجيله كما بالغتم فى سب الله وشتمه وان كنتم لا تعلمون ان ذلك ذم فلم ترضوا ان تحملوا ظاهر كلام المسيح وما انتم عليه من الكفر حتى جعلتم ظاهره كفرا لا ترضونه مثل ثلاثة الهة متفقة أو متفرقة أو ثلاثة أجسام مؤلفة أو ثلاثة أجزاء مفرقة أو ثلاثة أشخاص مركبة فهذا ونحوه هو الذي أدعيتم انه ظاهر كلام المسيح عليه السلام وأنتم لا تقولون بهذا الظاهر بل تكفرون قائله كما يكفر المسلمون من يقول بالظاهر الذى هو التجسيم والتمثيل وهذا مما يتضمن ان كلام المسيح ظاهر فى أثبات ثلاثة الهة وثلاثة أشخاص مؤلفة وثلاثة أجزاء متفرقة وثلاثة أشخاص مركبة كما زعمتم ان ظاهر القرآن التجسيم وانكم عدلتم عن هذا الظاهر الى اثبات الاقانيم الثلاثة التي جعلتم فيها كلمة الله هى ابنه وهو جوهر خالق يساويه في الجوهر وان المسيح هو هذا الابن المساوى للاب في الجوهر خالق العالمين وديان يوم الدين والجالس فوق العرش عن يمين الرب وانه اله حق من اله حق والروح أيضاً اله ثالث والالهة الثلاثة اله واحد وهذا الذى ذكرتموه فيه من عيب المسيح وذمه ما ينتصر الله به للمسيح ولمن افترى عليه منكم ومن غيركم فان المسيح عليه السلام على قولكم لم يفصح لكم بامانة تعتقدونها ولا بتوحيد تعرفون به ربكم عز وجل بل تكلم بما ظاهره اثبات ثلاثة الهة وثلاثة أجسام مركبة وثلاثة أجزاء متفرقة وانكم أنتم أصلحتم ذلك حتى جعلتموه ثلاثة أقانيم ووضع تلك الامانة المخالفة لعقول ذوى العقول ولكل كتاب جاء به رسول مع ان المسيح لم ينطق بتثليث

واحدة فيكون مرادهم في ذلك بوصفهم الاقانيم الثلاثة بأنها جوهر واحد مما نريد بقولنا الابعاض الكثيرة انه انسان واحد فيكون وصفهم لها بأنها جوهر انما ينبيء انها جملة وليس هذا مما يذهبون اليه ولا يعتقدونه ولا يجعلون له معنى لانهم لا يعطون حقيقة التثليث فيثبتون الاقانيم الثلاثة متغايرة ولا حقيقة التوحيد فيثبتون القديم واحدا ليس باثنين ولا اكثر من ذلك واذا كان ذلك كذلك فما قالوه هو شيء لا يعقل ولا يصلح اعتقاده ويمكن ان يعارضوا على قولهم بكل حال • فيقال لهم اذا جاز عندكم ان تكون ثلاثة اقانيم جوهرا واحدا فلم لا يجوز ان تكون ثلاثة الهة جوهرا واحدا وثلاثة فاعلين جوهرا واحدا وثلاثة اغيار جوهرا واحدا وثلاثة اشياء جوهرا واحدا وثلاثة قادرين جوهرا واحدا وكل ثلاثة اشياء جوهرا واحدا وثلاث اغيار جوهرا واحدا وكل ما يجري هذا المجرى من المعارضة فلا يجدون فصلا • الوجه الحادي عشر ان غلاة المجسمة الذين يكفرهم المسلمون احسن حالا منكم شرعا وعقلا وهم اقل مخالفة للشرع والعقل منكم فاذا كان هؤلاء خيرا منكم فكيف تشبهون انفسكم بمن هو خير من هؤلاء من اهل السنة من المسلمين الذين لا يقولون لا بتمثيل ولا بتعطيل وبيان ذلك ان التوراة والانجيل وسائر كتب الله وغير ذلك مما هو مأثور عن الانبياء فيه نصوص كثيرة صريحة ظاهرة واضحة في وحدانية الله وانه لا اله غيره وهو مسمى فيها بالاسماء الحسنى موصوف بالصفات العليا وان كل ما سواه مخلوق له ليس فيها تثليث ولا اتحاد الخالق بشيء من المخلوقات لا المسيح ولا غيره وفيها الفاظ قليلة مشكلة متشابهة وهي مع ذلك لا تدل على ما ذكرتموه من

جمهور المسلمين بل ينكرون تخصيص الصفات بثلاث • فان هذا باطل من وجوه متعددة • منها ان الاب عندكم هو الجوهر ليس هو صفة فلا يكون له صفة الا الحياة والعلم فيكون جوهراً واحداً له اقنومان وانتم جعلتم ثلاثة اقانيم • ومنها ان صفات الرب لا تنحصر فى العلم والحياة بل هو موصوف بالقدرة وغيرها ومنها انكم تارة تفسرون روح القدس بالحياة وتارة بالقدرة وتارة بالوجود وتفسرون الكلمة تارة بالعلم وتارة بالحكمة وتارة بالكلام فبطلان قولكم فى اثبات ثلاث صفات كثير وانتم مع هذا تجعلون كل واحدة منها إلهاً فتجعلون الحياة الهاً والعلم الهاً وهذا باطل واما من لم يثبت الصفات من المسلمين وغيرهم فيردون عليكم من وجوه اخرى كقول بعضهم اذا قيل لكم تقولون ان الابعاض الكثيرة تكون انساناً واحداً والاحاد الكثيرة عشرة واحدة والاجسام الكثيرة داراً واحدة ومدينة واحدة وما جرى هـذا المجرى مما هو اكثر من ان يحصى وأظهر من ان يخفى فكيف عبتم ذلك من النصارى ولم انكرتم ان يكون ثلاثة اقانيم جوهراً واحداً • قيل ان قولنا انسان واحد ودار واحدة وعشرة واحدة وما يجرى هذا المجرى اسماء تنبيء عن الجمل لا عن آحاد واذا قلنا انسان واحد • فكانا قلنا جملة واحدة وكذلك اذا قلنا عشرة واحدة لانا نثبته واحداً في الحقيقة كيف ونحن نقول ان ابعاض الانسان متغايرة فكل بعض منها غير سائرها وكذلك كل واحد من العشرة غير سائرها فنحن وان قلنا انسان واحد فلسنا نثبته شيئاً واحداً فى نفسه ولو ثبتنا ذلك لتناقضنا مناقضة النصارى وانما قلنا هى جملة واحدة ولو قالت النصارى مثل ذلك لم تتناقض حتى تزعموا انها ثلاثة اشياء جملة

فمعلوم انه ليس فى الكتب الالهية لا التوراة ولا الانجيل ولا الزبور ولا القرآن ولا غير ذلك من النبوات من هذا حرف واحد وكلها مملوءة مما يقول هؤلآء انه تجسيم فيقول هؤلآء نحن اتبعنا نصوص الانبياء ولم نعدل عنها الى غيرها ولم نجد في نصوصهم نصا محكما صريحاً بالنفي الذى يقوله نفاة الصفاة ووجدنا نصوصهم كلها بالاثبات الذى يقولون انه تجسيم نكان على قولنا وقولهم نصوص الانبياء ظاهرة في التجسيم وليس لهم نص يناقض ذلك فاتبعنا نصوصهم وكل من عارض اثبات الصفات لم يعارضها بنصوص صريحة عن الانبياء لكن بحجج عقلية فيقول هؤلآء ان النصارى خالفوا صريح المعقول وصريح كلام الأنبياء واتبعوا قليلا من متشابه كلامهم ونحن اتبعنا نصوص الانبياء ولم نخالف شيئاً من صرايح نصوصهم ولكن مخالفنا يقول انا خالفنا العقل ونحن ننازعه في ذلك وندعى ان العقل معنا لاعلينا وان ما تدعيه من المعقولات التي تعارض كلام الانبياء فهى باطلة. أو يقولون نحن والنصارى متفقون على انا لانعارض كلام الانبياء بالشبه العقلية لكن نحن اتبعنا كلامهم المحكم الظاهر الكثير الذى لامخالف له من كلامهم وهم خالفوا كلامهم الكثير المحكم واتبعوا قليلا من المتشابه ويقول الغلاة من هؤلآء الدين يكفرهم أئمة المسلمين وجمهورهم الذين يحكي عنهم ان الله ينزل الى الارض عشية عرفة فيعانق المشاة ويصافح الركبان وانه يمشى في الارض يكون موطؤ أقدامه مروجا ونحو ذلك ليس هذا القول باعجب من قول النصارى الذين يقولون انه هو المسيح وان اللاهوت والناسوت اتحدا فنحن نقول ايضاً انه حل فى بعض الاجساد

التثليث والاتحاد لا نصاً ولا ظاهرا ولكن بعضها يحتمل بعض ما قلتم وليس فيها شيء يحتمل جميع ما قلتم فضلا عن ان يكون ظاهرا فيه أو نصاً بل بعضها يحتمل بعض قولكم فاخذتم ذلك المحتمل وضممتم اليه من الكفر الصريح والتناقض القبيح ماصيرتموه أمانة لكم اى عقيدة ايمان لكم ولو كانت كلها تحتمل جميع ماقلتم لم يجز العدول عن النص والظاهر الى المحتمل ولو كان بعضها ظاهرا فيما قلتم لم يجز العدول عن النصوص الصريحة الى الظاهر المحتمل ولو قدر ان فيها نصوصاً صريحة قد عارضها نصوص أخرى صريحة لكان الواجب ان ينظر بنور الله الذى ايد به عباده المؤمنين فيتبعون أحسن ما انزل الله وهو المعنى الذي يوافق صريح المعقول وسائر كتب الله وذلك النص الآخر ان فهموا تفسيره والا فوضوا معناه الى الله ان كان ثابتاً عن الانبياء وهؤلاء عدلوا عما يعلم بصريح المعقول وعما يعلم بنصوص الانبياء الكثيرة الى ما يحتمله بعض الالفاظ لموافقته لهواهم (فلم يتبعوا الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) وأما كفار المجسمة فهؤلاء أعذر وأقل كفراً من النصارى فان هؤلاء يقولون كما يقوله معهم النفاة ان ظواهر جميع الكتب هو التجسيم ففى التوراة والقرآن من الآيات التي ظاهرها التجسيم مالايحصى وليس فيها نص بما يقوله النفاة من ان الله ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا هو فوق العرش ولا يشار اليه ولا يصعد اليه شيء ولا ينزل منه شيء ولا يقرب منه شيء ولا يدنو من شيء ولا يدنو اليه شيء الى نحو ذلك من النفى الذى يقوله نفاة الصفات

هناك اثنان وفي الجملة فالنصارى المثلثة اما ان يصرحوا بالاتحاد من كل وجه كاليعقوبية وهؤلاء يصرحون بان الآلام حلت باللاهوت واما ان يقولوا بالاتحاد من وجه كقول الملكية انهما شخص واحد وقول النسطورية هما مشيئة واحدة وحينئذ فما قالوه من التعدد والموت الذي يوجب المباينة وانه لايتصف أحدهما بما يتصف به الآخر ولايحل به ماحل به فيكون متناقضاً لهذا فاحسن أحوالهم ان يتناقضوا في الاتحاد كما تناقضوا في التثليث وهذا حقيقة قول خيار هؤلاء يتكلمون بالكفر وبما يناقضه وبالتوحيد وبما يناقضه ومعلوم ان مايفعله بنفسه من ندم وبكاء وحزن هو دون ما يفعله اعداؤه به من ضرب وصفع وجعل الشوك على رأسه وصلبه بين لصين وان استغاثته بمن يخلصه من ذلك اشد نقصاً من ندمه وحزنه وان قالوا فعل هذا حتى يعلم عباده التشبه به أمكن اولئك المجسمة ان يقولوا بكى وندم وعض يده ندماً حتى جرى الدم حتى يعلم عباده التوبة من الذنوب ففي الجملة ماقال قوم من أهل الملل قولا في الله الا وقول النصارى أقبح منه ولهذا كان معاذ بن جبل رضى الله عنه يقول لاترحموهم فلقد سبوا الله مسبة ماسبه اياها أحد من البشر ولهذا يعظم الله فريتهم على الله في القرآن أشد من تعظيم افتراء غيرهم كقوله (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً ان دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولداً ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وفي الصحيحين عن أبي

المخلوقة كما يقوله النصارى او نقول انه تجسد كما تجسد الملائكة والجن وهـذا أقرب من قول النصارى انه اتحد بجسم المسيح فانا قد عهدنا اللطائف من الملائكة تتصور في صورة بشرية ولم نعهد ملكا صار هو والبشر شيئاً واحداً فاذا لم يجز ان يتحد الملك بالبشر فكيف يجوز ان يتحد رب الخلائق كلهـم بالبشر قالوا وقد يحل الجـني في بدن الانسى ويتكلم على لسانه الا انهما جوهران ومشيئتان وطبيعتان ليس بينهـما اتحاد لكنه دخل فيـه وتكلم على لسانه والنصارى يقولون ان رب العالمين اتحد بالبشر فمنهم من يقول جوهر واحد ومنهم من يقول شخص واحد واقنوم واحد ومنهم من يقول مشيئة واحدة فلا بد لكل منهم من نوع اتحاد وهذا أبعد من حلول الجني فى الانسى فاذا كان مايقولونه ممتنعا في الجن والملائكة فكيف برب العالمين ومن غلاة المجسمة اليهود من يحكي عنه انه قال ان الله بكي على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة وانه ندم حتى عض يده وجرى منه الدم وهـذا كفر واضح ولكن يقولون قولنا خـير من قول النصارى فان النصارى يقولون انه أخذ وضرب بالسياط وبصق في وجهه ووضع الشوك على رأسـه كالتـاج وصلب بين لصين وفعل به من أقبح ما يفعل باللصوص قطاع الطريق وقد صرح كثير منهم بان هذا فعل باللاهوت والناسوت جميعاً وشريعة ايمـانهم تدل على ذلك وهو لازم لمن أنكر ذلك منهـم فانه مع القول بالاتحاد الذي لابد لطوائفهم الثلاثة منه يمتنع ان تحل هـذه العقوبات في هـذا دون ذاك فلا يمكن ان يحل فى الناسوت دون اللاهوت فان هذا انما يتصور اذا كانا اثنين ومن قال بالاتحاد امتنع عنده ان يكون

بل اذا قيل لهـم حل فى كثير من الانبياء والقداديس لم يمكنهم نفى ذلك واذا قالوا لم يخبر بذلك أحد ولم يبشر به نبي او هذا غير معلوم قيل لهم غاية هذا كله انكم لاتعلمون ذلك ولم يقم عندكم دليل عليه وعدم العلم ليس علماً بالعدم فعدم علمكم وعدم علم غيركم بالشيء ليس علماً بعدم ذلك الشيء وكذلك عدم الدليل المعين لايستلزم عدم المدلول عليه فان كل ما خلقـه الله دليل عليه ثم اذا عدم ذلك لم يلزم عدم الخالق فلا يجوز نفى الشيء لعدم الدليل الدال عليه الا أن يكون عدم الدليل مستلزماً لعدمه كالامور التي تتوفر الهمم على نقلها اذا لم ينقل علم انتفاءها والمقصود انكم مع العدم لايمكنكم النفى العام عن غير المسيح لعدم الدليل الدال عليه فانه لايلزم من عدم الدليل عدم المدلول في نفس الامر لاسيما وهو كان متحداً بالمسيح عندهم اكثر من ثلاثين سنة ومع هذا فكان يخفى نفسه ولا يظهر الا العبودية فاذا قيل لهـم هكذا كان متحدا بغيره من الانبياء والصالحين ولكن أخفى نفسه لحكمة له فى ذلك او اظهر على نفسه بعض خواص عباده او اظهر لطائفة لم ينقل الينا خبرهم ونحو ذلك لم يمكن مع تصديق النصارى فيما يدعونه الجزم بكذب هؤلاء بل من جوز قول النصارى جوز ان يكون متحدا بغير ذلك من الاجسام فيجعل كثيرا من الاجسام المخلوقة هى رب العالمين اذ كان ليس هو متحدا بها فى نفس الامر فاذا اعتقدوا الاتحاد فيها كما اعتقدته النصارى في المسيح لم يكن ثم اله في الحقيقة الا ذلك الجسم الناسوتى المخلوق لكن ظن الضال انه رب العالمين كما ظن عباد العجل ان العجل اله موسى فاذا جاز ان يتحد الرب عز وجل ببعض

هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك فاما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولداً وأنا الاحـد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد وأما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدني كما بداني وليس أول الخلق باهون علي من اعادته ورواه البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبـه اياي فزعم انى لا أقدر ان أعيده كما كان واما شتمه اياى فقوله لي ولد فسبحاني ان اتخذ صاحبة ولا ولداً وفي الصحيحين عن أبي موسى قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما أحد أصبر على اذى سمعه من الله عز وجل انه يشرك به ويجعل له ند وهو يعافيهم ويرزقهم ويدفع عنهم • الوجه الثاني عشر ان كل من يعتقد فى التجسيم ما يعتقـد يمكنه ان يقول كما يقوله النصارى فان النصارى عمـدوا الى ماهو جسد من جنس سائر أجساد بني آدم قالوا انه اله تام وانسان تام وليس فيه من الالهية شئ فما بقى مع هذا يمتنع ان يعتقد في نظائره ما يعتقد فيـه فلو قال القائل ان موسى بن عمران كان هو الله لم يكن هذا أبعد من قول النصارى فان معجزات موسى كانت أعظم وانتصاره على عدوه أظهر وقد سماه الله في التوراة إلهـاً لهرون ولفرعون فاذا قيل فيـه ما قالوا في المسيح انه أظهر المعجز بلاهوته وأظهر العبودية بناسوته لم يكن بطلان هذا أظهر من بطلان قول النصارى بل متي جوزوا اتحاد اللاهوت بالناسوت لم يمكنهم دفع ذلك عن أحد ممن يدعي فيه الا بدليل خاص

ولهذا وقع بينهم تنازع في اتحاد الصور فى الكنائس لما ابتدعه بعضهم كما هو مذكور في أخبارهم ولم يأت من ابتدع ذلك بحجة شرعيــة والمجسمة يعتقدون ان الله قديم أزلي وانه عظيم جسداً لايقولون انه متحد بشيء من الاجسام المخلوقة ولايحل فيها فمن قال باتحاده وحلوله فيها كان قوله شراً من قول هؤلآء المجسمة كما ان المتفلسفــة الذين يقولون بان الافلاك أجسام قديمة أزلية واجبة بنفسها أولها علة تتشبه بها كما يقوله ارسطو وذووه أو يثبتون لها علة فاعلة لم تزل مقارنة لها كما يقوله ابن سينا وأمثاله وهؤلآء قولهم شر من قول اليهود والنصارى ومشركي العرب الذين يثبتون للسموات والارض خالقاً خلقها بمشيئته وقدرته • ولو قال من قال منهم ان ذلك جسم فغايتــه ان يثبت جسما قديماً أزلياً موصوفاً بصفات الكمال فمن أثبت جسما قديماً أزلياً ليس موصوفاً بصفات الكمال كان قوله شراً من قول هذا فتبين ان المجسمة الذين يثبتون جسما قديماً أزلياً واجب الوجود بنفسه عالماً بكل شيء قادراً على كل شيء مـــع قولهم انه تحــله الحوادث وتقوم به الحركة والسكون خيراً من قول الفلاسفة الذين يقولون ان الافلاك اجسام قديمة أزلية واجبة الوجود بنفسها كما يقوله ارسطو وذووه وخير من النصارى أيضاً • الوجه الثالث عشر قولهم من قال ثلاثة الهة مختلفة أو متفقة أو ثلاثة أشخاص مركبة أو غير ذلك ممــا يقتضي الاشــتراك والتكثير والتبعيض والتشبيه فنحن نلعنه ونكفره *فيقال لهم وأنتم ايضاً تلعنون من قال ان المسيح ليس هو اله حق من اله حق ولا هو مساو الاب في الجوهر ومن قال انه ليس بخالق ومن قال انه ليس

الاجسام لم ينكر على أصحاب العجل اذا جوزوا ان يكون رب العالمين اتحد بالعجل وقد رأوا منه نوع خرق عادة فليس للنصارى ان ينكروا على عباد العجل ولا عباد شيء من الاصنام اذا أمكن ان يكون الرب عز وجل حل فيها عندهم إن لم يقيموا دليلا على ان الرب لم يحل في ذلك فاذا قيل ان موسى عليه السلام انكر على عباد العجل قيل نعم وموسى ينكر على كل من عبد شيئاً من المخلوقات حتى لو عبد احد الشجرة التي كلمه الله منها لانكر عليه فانكاره على النصارى أعظم وموسى عليه السلام لم يقل قط ان الله يتحد بشيء من المخلوقات ويحل فيه بل أخبر من عظمة الله عز وجل بما يناقض ذلك ففي التوراة من نهيه عن عبادة ما سوى الله ومن تعظيم أمره وعقوبة المشركين به وبما أخبر به من صفات الله عزوجل ما يناقض قول النصارى ولهذا كان من تدبر التوراة وغيرها من كلام الانبياء عليهم السلام من النصارى تبين له ان دينهم يناقض دين الأنبياء كلهم وان ماهم عليه من التثليث والاتحاد والشرك لم يبعث به أحد من الانبياء عليهم السلام وما يفعلونه من دعاء المخلوقين كالملائكة او كالانبياء والصالحين الذين ماتوا مثل دعائهم مريم وغيرها وطلبهم من الاموات الشفاعة لهم عند الله لم يبعث به أحد من الانبياء فكيف وقد صوروا تماثيلهم ليكون تذكيرا لهم باصحابها ويدعون تلك الصوره وان قصدوا دعاء أصحابها فهم اذا صرحوا بدعاء أصحابها وطلبوا منهم الشفاعة وهم موتى وغائبون كانوا مشركين فكيف اذا كان الدعاء في الظاهر لتماثيلهم المصورة وهذا مما يعترفه حذاق علمائهم بانه مخالف لدين الانبياء كلهم

النقيضين وكذلك من وصفه بانه موجود واجب الوجود لذاته ثم وصفه بصفات تستلزم عدمه فقد جمع بين النقيضين وكل قول يتضمن جمع النقيضين واثبات الشيء ونفيه أو رفع النقيضين الاثبات والنفي فهو باطل والنصاري في هذا الباب من ابلغ الناس تناقضا يقولون الشيء ويقولون بما يناقضه ويلعنون من قال هذا ومن قال هذا وايضاً فكل طائفة منكم تلعن الآخرى فان أهل الامانة تلعن الاريوسية وغيرهم من طوائف النصارى وهم يلعنونكم وكل من فرقكم الثلاثة النسطورية واليعقوبية والملكية تلعن الطائفتين الاخريين فانتم واليعقوبية تلعنون من يقول ان مريم لم تلد الهاً ويقولون ان مريم ولدت انساناً تاماً الها تاماً وانتم والنسطورية تلعنون من قال انهما جوهر واحد بمشيئة واحدة وطبيعة واحدة ومن قال ان اللاهوت تألم مع قولكم ان اللاهوت مولود من مريم ومع قولكم المسيح الذي ولدته مريم مات وصلب وفي أقوالكم من العجائب المتناقضة التي توجب انكم ملعونون ما يطول وصفه فما منكم من احد إلا وهو لاعن ملعون فلعنكم من قال بهذه المقالات لا يوجب انكم على الحق بل يوجب ان يكون من جملة الملعونين عندكم كطائفة من طوائفكم والنصارى طوائف كثيرون مختلفون اختلافاً كثيراً والطوائف الثلاثة المشهورة في الازمان المتأخرة فهم بعض طوائفهم وإلا فهم طوائف كثيرون مختلفون في التثليث والاتحاد وتجد كل صنف منهم أو من غيرهم في مقالاتهم يحكى اقوالا غير الاقوال التي حكاها الآخرون ومن أجل من جمع أخبارهم عندهم سعيد بن البطريق بترك الاسكندرية في أثناء المائة الرابعة من

بجالس عن يمين أبيه ومن قال ايضاً ان روح القدس ليس برب حق محي ومن قال انه ليس ثلاثة اقانيم وتلعنون ايضاً مع قولكم انه الخالق من قال انه الاب والابُ هو الخالق فتلعنون من قال هو الاب الخالق ومن قال ليس هو الخالق فتجمعون بين النقيضين فتلعنونَ من جرد التوحيد بلا شرك ولا تثليث ومن اثبت التثليث مع انفصال كل واحد عن الآخر وتجمعون بين النقيضين فمن اثبت أحدهما منفكا عن الآخر لعنتموه كمن قال عندي واحد ثلاثه فمن قال هو واحد ليس بثلاثه كذبه ومن قال هو ثلاثة ليس واحداً كذبه ومن قال عندي شيء موجود معدوم فمن قال هو موجود ليس بمعدوم كذبه ومن قال معدوم ليس بموجود كذبه ومن قال عندي شيء هو حي ميت هو عالم جاهل هو قادر عاجز فمن قال هو حي ليس بميت كذبه ومن قال هو ميت ليس بحي كذبه فهكذا انتم تجمعون بين قولين متناقضين أحدهما حق والآخر باطل فمن قال الحق ونفى الباطل لعنتموه ومن قال الباطل ونفى الحق لعنتموه وانتم تشبهون الملاحدة من الجهمية والفلاسفة والباطنية الذين يسلبون عنه النقيضين أو يمتنعون عن أثبات أحد النقيضين فيقولون لانقول هو حي ولا ليس بحي ولا هو عالم ولا ليس بعالم ولا قادر ولا ليس بقادر بل منهم من يقول لانقول هو موجود ولا معدوم ولا نقول هو شيء ولا نقول ليس بشيء ومنهم من يقول ليس بحي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ومنهم من يقول لا نطاق لا هذا ولا هذا*فيقال لهم رفع النقيضين كجمع النقيضين والامتناع عن أثبات أحد النقيضين كالامتناع عن نفي أحد

الناس في الولادة حتى عبر به عما يحدث عن الشيء وان لم يكن بانفصال جزء منه كتولد الشعاع عن النار والشمس وغيرها لان هذا يحدث بشيئين احدهما ما يصدر عنه من الشمس والنار والثاني المحل القابل له الذي ينعكس عليه وهو الجرم المقابل له الذي يقوم به الشعاع فاما ما يحدث عن شيء واحد فلا يعرف انه يسمى ولادة ان قدر وجود ذلك وكذلك لا يعرف ما يلزم الشيء الواحد انه يسمى ولدا فاما مايقوم بالموصوف من صفاته اللازمة له فهذا ابعد شيء عن ان يسمى هذا الملزوم ولادة بل لا تكون الولادة الا عن أصلين وكل من قال ان لله ولدا لزمه ان تكون له صاحبة باي وجه فسر الولادة وان يكون له ولد حادثا وهذا قال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم)فاستفهم تعالى استفهام انكار يبين امتناع ان يكون له ولد اذا لم تكن له صاحبة فان الولد لا يكون الا من أصلين وهذا مما ينبغي ان يتفطن له فان جعل ما يلزم الشيء الواحد متولداً عنه لا يعرف لاسيما صفاته القائمة به اللازمة له كعلمه وحياته لاسيما الصفات القديمة الازلية لذات رب العالمين الذي لم يزل ولا يزال موصوفا بها فان صفات العبد اللازمة له كحياته وقدرته ونحو ذلك ليست متولدة عنه عند جميع العقلاء ولا يقول عاقل يعقل ما يقول ان لون السماء وقدرها متولد عنها ولا ان قدر الشمس وضوءها القائم بها اللازم لها متولد عنها ولا يقول أحد ان حرارة النار وضوءها القائم بها متولد عنها وانما يقال ان قيل فيما ليس بقائم بها بل قائم بغيرها

دولة الاسلام وقد بحث لهم بحثاً استقصى فيه بزعمه نصر مذهبهم وهو ملكي وقد ذكرت كلامه في غير هذا الموضع وفيهم من يقول أن مريم زوجة الله وفيهم من يجعلها إلهاً آخر كالمسيح وفيهم من يثبت ان المسيح ابن الله الولادة المعروفة من الحيوان ٠والامانة التي جعلوها عقيدتهم واصل ايمانهم في زمن قسطنطين بعد المسيح باكثر من ثلاثمائة سنة هي وغيرها من اقوالهم الظاهرة تدل على هذه الامور المنكرة القبيحة دلالة بينة لكن علماؤهم يتأولونها بتأويلات تناقض مدلولها مع فساد تلك المعاني التي يحملونها عليها عقلا وشرعا وليست تلك الفاظ الانبياء حتى يقال حكمهم في ذلك حكم سائر الطوائف من المسلمين وغيرهم الذين يقولون مايرونه متشابهاً من كلام الانبياء ويقولون ان الانبياء تكلموا بما لا يعرف احد معناه او انهم خاطبوا الجمهور بما ارادوا به تفهيمهم اموراً ينتفعون بها وان كان ذلك كذباً باطلا في نفس الامر فان هؤلاء الطوائف وان كان فيهم من الضلال والجهل ما قد بسط في غير هذا الموضع فقد فعلوا ذلك في الفاظ الانبياء التي لها حرمة النبوة بخلاف النصارى فانهم وضعوا عقيدة وشريعة ليست الفاظها منقولة عن احد من الانبياء . الوجه الرابع عشر قولهم ومرادنا بالاب والابن غير ابوة وبنوة نكاح ومن اراد ولادة زوجة لمناه ٠ فيقال لفظ الولادة المعروف انما يكون من اصلين وانما يكون بانفصال جزء من الاصلين وانما يكون بحدوث المولود سواء اريد ولادة الحيوان او غيرها كما تتولد النار من بين الزنادين فاذا قدح احدهما بالآخر خرج منهما جزء لطيف فاستحال نارا ثم سقط على الحراق وقد توسع بعض

من فعلنا وقدرتنا ومشيئتنا فاما صفاتنا اللازمة لنا التي لا اختيار لنا في اتصافنا بها ولم نزل متصفين بها فلا يقول عاقل انها متولدة فينا وعنا وأنتم تجعلون صفة الله القديمة اللازمة له التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها متولدة عنه فلو قدر ان ما ذكرتموه من التولد العقلي أمراً معروفا في اللغة والعقل والشرع لم يكن لكم ان تجعلوا علم الله وحكمته التي فسرتم بهما كلمته ابناً له ومولوداً منه لم يزل مولوداً منه لان هذا باطل عقلا وشرعا ولغة أما العقل فان صفة الموصوف اللازمة له وان كان مخلوقا ليست متولدة عنه فكيف الصفة القديمة للموصوف القديم ولو جاز هذا جاز ان يجعل ما كان لازما لغيره ولداً له ومولوداً منه فيجعل كيفيات الاشياء وكمياتها متولدة عنها وامثالها ويقال ان طول الجسم وعرضه وعمقه متولد عنه وان حياة الحي متولدة عنه وان القوى والطبايع التي جعلها الله في الحيوان متولدة عنها وأما الشرع فان هذا لو كان متولداً وهو في بعض اللغات يسمى ولداً لم يجز ان يحمل على ذلك كلام الانبياء الا ان يكون في لغتهم يسمى ولداً وكل من نظر في كتب الانبياء من علماء النصارى وغيرهم لم يجد أحداً من الانبياء يسمي علم الله وكلمته وحياته ولدا له ولا ابناً له ولا قال ان ذلك يتولد عنه فقولهم عن المسيح عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس انه أراد بالابن كلمة الله القديمة الازلية وانها متولدة منه وانه أراد بروح القدس حياة الله القديمة الازلية كذب محض على المسيح عليه السلام لايوجد قط في كلامه ولا كلام غيره من الانبياء انهم سموا علم الله وحكمته ولا شيئاً من صفاته القائمة به ابناً ولا سموا حياته

أو فيما هو حادث بعد ان لم يكن كالشعاع القائم بالأرض والحيطان وهذا ليس بقائم بها بل قائم بغيرها وهو حادث متولد عن أصلين لا عن أصل واحد فاما صفات المخلوق القائمة به اللازمة له فلا يقول أحد من العقلاء أنها متولدة عنه • والنصارى يزعمون ان كلمة الله التي يفسرونها بعلمه أو حكمته وروح القدس التي يفسرونها بحياته وقدرته هي صفة له قديمة أزلية لم يزل ولا يزال موصوفا بها ويقولون مع ذلك ان الكلمة هي مولودة منه فيجعلون علمه القديم الازلي متولداً عنه ولا يجعلون حياته القديمة الازلية متولدة عنه وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه لكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم بانه أنواع كثيرة فانه ان كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته يقال أنها ابنه وولده ومتولد عنه ونحو ذلك فتكون حياته أيضاً ابنه وولده ومتولداً عنه وان لم يكن كذلك فلا يكون علمه ابنه ولا ولده ولا متولدا عنه وأبلغ من ذلك ان روح القدس المنفصلة عنه القائمة بالانبياء والصديقين لا يقولون انها ولده ولا انها متولدة عنه بل يخصون ذلك بالكلمة فلا ينقلون عن أحد من الانبياء انه سمى شيئاً من صفات الله ابناً ولا ولداً ولا قال ان علم الله أو كلامه أو حكمته ولده أو ابنه أو هو متولد عنه فعلم ان القوم في غاية التناقض في المعاني والالفاظ وانهم مخالفون للكتب الالهية كلها ولما فطر الله عليه عباده من المعقولات التي يسمونها نواميس عقلية ومخالفون لجميع لغات الآدميين وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم فانهم قالوا تولدت الكلمة عنه كما تولد الكلمة والحكمة فينا عن العقل • فيقال لهم لو قدر ان الانبياء سموا ذلك تولداً فما يتولد فينا حادث بعد ان لم يكن وحدوثه بتسبب

له في لغة معنى وله في لغة أخرى كغير ذلك والمراد بهذا الولد والابن لا ينافي كونه مخلوقا مربوبا عبدا لله عز وجل ٠ واما تسمية شيء من صفات الله ابنا او ولدا فهذا لا يعرف عن أحد من الأنبياء ولا الأمم أهل اللغات سوى مبتدعة النصارى ولم يبق للتولد الا معنيان أحدهما ان ينفصل عنه جزء ٠ والثاني ان يحدث عنه شيء أما باختياره واما بغير اختياره وقدرته كحدوث الشعاع عن النار والشمس وكل من الامرين لا يكون الا عن أصلين ولا بد ان يكون حادثا لا يكون من صفاته اللازمة له فيمتنع ان يتولد عنه شيء ان لم يكن معه أصل آخر يتولد عنهما والتولد عنه بغير قدرته ومشيئته ممتنع عند أهل الملل المسلمين واليهود والنصارى وسائر الامم سوى طائفة من المتفلسفة يقولون انه موجب بذاته مستلزم لما يصدر عنه فهؤلاء قولهم يناسب هذا التولد والنصارى تكفر هؤلاء لكن قد ضاهوهم في القول كما قال تعالى (وقالت اليهود عزيز بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون) وهذا قاله طائفة من اليهود وهو معروف عن شخص يقال له فنحاص بن عازورا واتباعه قال ابو محمد ابن حزم والصدوقية طائفة من اليهود نسبوا الى رجل يقال له صدوق وهم يقولون من بين سائر اليهود ان العزيز ابن الله وكانوا بجهة اليمن ولكن المتفلسفة الذين يقولون بصدور العقول والافلاك عنه وان سمي ذلك تولدا فهم يجعلون ولده منفصلا عنه لكن يثبتون ولدا قديما أزليا صدر عنه بغير اختياره ويجعلون الشيء الواحد متولدا عنه وسائر الطوائف الذين اثبتوا الله ولدا جعلوه حادثا منفصلا عنه

روح القدس وأما اللغة فانهذا التعبير الذي ذكروا وهو تسمية صفات الموصوف اللازمة له ولدا وابناً ومتولدا لا يعرف في لغات بني آدم المعروفة وقد يتبني الرجل ولد غيره فيتخذه ولدا ويجعله بمنزلة الولد وان لم يكن متولدا عنه كما كانت تفعله أهل الجاهلية من العرب وغيرهم ولهذا نزه الله تعالى نفسه عن الولادة وعن اتخاذ الولد فقال تعالى (الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) وقال تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) وقال تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) وأما اتخاذ الولد ففي مواضع متعددة كقوله تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك) وقوله تعالى (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) وقوله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) وقوله (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) وقوله (لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء) وأهل الكتاب يذكرون ان في كتبهم تسمية عباد الله الصالحين ابنا وتسمية الله أبا وتسمية المصطفين ابناً وهذا اذا كان ثابتاً عن الانبياء فانهم لا يعنون به الا معنى صحيحاً واللفظ قد يكون

الا حادثا • واما الصفة القديمة اللازمة لذات الرب فليست مولودة له ولا متولدة عنه بل هي قائمة به لازمة لذاته وايضاً فان المولود اسم مفعول يقال ولده يلده فهو مولود وهذا لايقال الا في الحادث المتجدد فانه مفعول فعل الوالد • والقديم الازلي لا يكون مفعولا مولودا وايضاً فتسمية الصفة القديمة الازلية مولودا وابناً لا يوجد في كلام احد من الانبياء عليهم السلام فهب ان هذا مما يسوغ لنا في اللغة ان نقوله لكن لا يجوز ان نحدث لغة غير لغة الانبياء ونحمل كلام الانبياء عليها فان هذا كذب عليهم وهكذا تفعل النصارى وأمثالهم من اهل التحريف بكلام الانبياء يحدثون لهم لغة مخالفة لغة الانبياء ويحملون كلام الانبياء عليه مثال ذلك ان الانبياء أخبروا بان الله اله واحد وكفروا من أثبت الهين اثنين وأمروا بالتوحيد ودعوا اليه وحرموا الشرك وكفروا أهله وأخبروا إن الله واحد أحد وكان مرادهم بذلك توحيده وانه لا يجوز ان يعبد الا الله وانه لايستحق العبادة الا هو ليس مقصودهم بذلك نفي صفاته فلم يقصدوا بلفظ الاحد والواحد انه ليس له علم ولا قدرة ولا شيء من الصفات فجاء طائفة من أهل البدع ففسروا لفظ اسم الواحد والاحد بما جعلوه اصطلاحا لهم فقالوا الواحد الذى ليس فيه تركيب ولا ينقسم ولو كان له صفات لكان مركباً ولو قامت به الصفات لكان جسما والجسم مركب من الجواهر المنفردة او من المادة والصور فلا يكون احدا ولا واحدا • فيقال هذا الذى قالوه لو قدر انه صحيح في العقل واللغة فليس هو لغة الانبياء التي خاطبوا بها الخلق فكيف اذا

فاما جعل صفته القائمة به ولداً له ومولوداً فهذا لا يعرف عن غير النصارى فاذا اثبتوا له ولداً وابناً غير مخلوق والصفة القائمة به اللازمة له لم تتولد عنه ولا تسمى ابناً ولا ولداً عند أحد من الانبياء وغيرهم تعين ان يكون الولد اما جزءاً منفصلا عنه واما معلولا له صادراً عنه بغير قدرته ومشيئته واي القولين قالوه فهم فيه كفار مضاهئون لقول الذين كفروا من قبل وبعض علماءهم وان انكر ذلك لكنهم يقولون بما يستلزم ذلك ويشبهونه بالشعاع من الشمس ويقولون عن الروح هو منبثق من الله خارج منه وهذا كله يناسب الولادة التي هي خروج شيء منه او حدوث شيء عنه بغير اختياره ومشيئته ولا بد له مع ذلك من محل يقوم به فان الشعاع لا يقوم الا بالارض والامر المنبثق الخارج من غيره اما ان يكون جوهراً قائماً بنفسه او صفة قائمة بغيرها فان كان جوهراً فقد انفصل من الرب جزء وان كان عرضاً فلا بد له من محل فيكون متولدا عن اصلين • وتشبيههم بتولد الكلام عن العقل تشبيه باطل فان ذلك يحصل بقدرة الانسان ومشيئته وهو حادث بعد ان لم يكن هذا اذا عرف ان مايقوم بقلب الانسان من علم وحكمة يقال انه يتولد عنه ويقال انه ابنه مع ان هذا أمر غير معروف في اللغات ولو كان معروفا في لغة بعض الامم لم يجز ان يفسر به كلام الانبياء ان لم يكن معروفا في لغتهم واما مايدعونه فانهم يقولون ان الكلمة لازمة لذات الله ازلا وابدا وهي مولودة منه مع انها غير مصنوعة فهذا كلام متناقض باطل من وجوه فان المتولد عن الشيء لا يتولد الا عنه وعن غيره واما الشيء الواحد فلا يتولد عنه وحده شيء وايضاً فان ماتولد عن غيره لم يكن

بسط فى موضع آخر والمقصود هنا ان كلام الانبياء لايجوز ان يحمل الا على لغتهم التى عادتهم ان يخاطبوا بها الناس لايجوز ان يحدث لغة غير لغتهم ويحمل كلامهم عليها بل اذا كان لبعض الناس عادة ولغة يخاطب بها اصحابه وقيدر ان ذلك يجوز له فليس له ان يجعل ذلك لغة النبي ويحمل كلام النبي على ذلك ومن هـذا اخبار الانبياء بان الله يقول ويتكلم وينادي ويناجي وانه قال كذا وتكلم بكذا ونادى موسى ونحو ذلك والمعروف فى لغتهم ولغة سائر الامم ان المتكلم من قام به الكلام وان كان متكلما بقدرته ومشيئته لايعرف فى لغتهم ان المتكلم من احدث كلاما منفصلا عنه ولا ان المتكلم من قام به الكلام بدون قدرته ومشيئته فليس لاحد اذا جعل اسم المتكلم لمن يحدث كلاما بائناً عنه او من قام به بدون قدرته ومشيئته ان يحمل كلام الانبياء على هـذا بل المتكلم عند الاطلاق من تكلم بقدرته ومشيئته مع قيام الكلام به وهذا هو المعروف فى لغة الانبياء وسائر الامم عند الاطلاق ونظائر هذا متعددة فمن فسر كلام الانبياء بغير لغتهم المعروفة فهو ممن بدل كلامهم وحرفه والنصارى من هؤلآء وكذلك اسم العادل والظالم ونحوهم فان المعروف من كلام الانبياء وغيرهم ان العادل من قام به العدل وفعل العدل بمشيئته وقدرته والظالم من قام به الظلم وفعله بقدرته ومشيئته لايسمون من لم يقم به الظلم ولكن قام بغيره ظالما لكونه قد جعل ذلك فاعلا له ولا يسمون من لم يفعل الظلم ولكن فعله غيره فيه ظالماً فمن جعل الظالم والكافر والفاسق من لم يفعل شيئاً من ذلك ولكن فعله غيره فيه او جعل الظالم من لم يقم به ظلم فعله ولكن جعله

لم يكن هذا الواحد من لغة أحد من الامم بل جميع الامم تسمى ماقام به الصفات واحدا بل يسمونه وحيدا وقد يسمونه في غير الاثبات احدا كقوله (وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) وقوله (ذرني ومن خلقت وحيدا) وامثال ذلك واما البحث العقلي في هذا فقد بسطناه في غير هذا الموضع وبينا ان ما يسميه هؤلاء المتفلسفة تركيباً كقولهم ان الشيء مركب من وجود وماهية وقولهم ان الانواع مركبة من الاجناس والفصول هو باطل عند جميع جمهور العقلاء وليس في الخارج الا ذات متصفة بصفات ليس في الخارج وجود القائم بنفسه وماهية أخرى غير هذا الشيء الموجود القائم بنفسه مثلا ولكن قد يعنى بلفظة الماهية ما يتصور في الاذهان وبالوجود ما يوجد في الاعيان وحينئذ فهذه الماهية غير هذا الموجود وحينئذ فيقال هذه الماهية غير هذا الوجود• وكذلك قولهم ان الانسان الموجود في الخارج مركب من الجنس والفصل فان الانسان الموجود هو ذات متصفة بصفات هو وغيره من الموجودات ولكن يتصور في الذهن ما هو مركب من الحيوان والناطق كما يتصور ما هو مركب من الحيوان والضاحك وهذا تركيب ذهني لا تركيب في الخارج وقد بسط هذا في غير هذا الموضع وتبين ان ما جعلوه من الصفات داخلا في الماهية وما جعلوه خارجا عنها لازمالها وما هو مجموع اجزاء الماهية يرجع عند التحقيق الى ماهو مدلول عليه بالتضمن والالتزام والمطابقة ومن ذلك تركيب الجسم من الجواهر المفردة او من المادة والصورة واكثر العقلاء ينكرون تركب الجسم من هذا وهذا كما قد

مقارناً له في الزمان البتة بل متقدم عليه تقدماً زمانياً وكل ما يعرف انه سبب أو علة فاعلة فانه متقدم علي مسببه ومعلوله لكن قد يكون متصلا به ليس بينهما زمان آخر فيقال ليس هذا متأخراً عن هذا أى هو متصل به ليس بينهما فصل ويقال ليس ذلك متقدما على هذا أى ليس بينهما زمان بل هو متصل به اذ قد يراد بلفظ التقدم هذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم الجنازة متبوعة وليست بتابعة ليس منها من تقدمها أى من كان قد تقدمها حتى لم يكن قريباً منها لم يكن تابعاً لها كما جاء في الحديث الآخر الراكب خلف الجنازة والماشي امامها وورائها وعن يمينها ويسارها قريباً منها رواه ابو داود وغيره وهو ابين حديث روى فى هذا الباب فى هذا الحكم منه. قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) أى لا يتقدم عليه بحيث يكون بينهما انفصال بل كل منهما متصل بالآخر والمقصود هنا ان معرفة اللغة التى خاطبنا بها الانبياء وحمل كلامهم عليها أمر واجب متعين ومن سلك غير هذا المسلك فقد حرف كلامهم عن مواضعه وكذب عليهم وافترى ومثل هذا التحريف والتبديل قد اتفق المسلمون واليهود والنصارى على انه وقع فيه خلق كثير من اهل الكتب الثلاثة وان التوراة والانجيل حرفا بهذا الاعتبار وكذلك القرآن حرفه اهل الالحاد والبدع بهذا الاعتبار فاهل الكتاب نقلوا عن الانبياء انهم تكلموا بلفظ الاب والابن ومرادهم عندهم بالاب الرب وبالابن المصطفى المختار المحبوب ولم ينقل احد منهم عن الانبياء انهم سموا شيئاً من صفات الله ابناً ولا قالوا عن شيء من صفاته انه تولد عنه ولا انه مولود له فاذا وجد فى كلام المسيح

غيره متصفاً به ظالما فقد خرج عن المعروف من كلام الانبياء وغيرهم وابلغ من ذلك ان المحدث والحادث في لغة جميع الامم لا يسمي به الا ما كان بعد ان لم يكن والمخلوق ابلغ من المحدث والحادث فليس لاحد اذا احدث اصطلاحا سمى به القديم الازلي الذى لم يزل موجودا ولكنه زعم انه معلول لغيره . فسماه محدثاً بهذا الاعتبار . ان يقول انا احمل كلام الانبياء الذي اخبروا به ان السموات والارض وما بينهما مخلوق او مصنوع او مفعول أو محدث ونحو ذلك من العبارات علي ان مرادهم بذلك انه معلول مع كونه قديما ازلياً لم يزل . واما لفظ القديم فهو في اللغة المشهورة التي خاطبنا بها الانبياء يراد به ما كان متقدماً على غيره تقدما زمانياً سواء سبقه عدم أو لم يسبقه كما قال تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وقال تعالى (تالله انك لفى ضلالك القديم) وقال الخليل افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين) فلهذا كان القديم الازلي الذي لم يزل موجودا ولم يسبقه عدم احق باسم القديم من غيره وليس لاحد ان يحمل القديم والمتقدم اسما لما قارن غيره فى الزمان لزعمه انه متقدم عليه بالعلة ويقول انه متقدم على غيره وسابق له بهذا الاعتبار وان ذلك المعلول متأخر عنه بهذا الاعتبار ثم يحمل ماجاء من كلام الانبياء واتباع الانبياء وعموم الخلق على هذا الاصطلاح لو كان حقاً فكيف اذا كان باطلا وما ذكره من التقدم والسبق والتأخر بغير الزمان أمر غير موجود ولا معقول ولا يعرف فى الوجود من فعل شيئاً وكان علة فاعلة له الا وهو متقدم عليه سابق له ليس

وجل • ومنهم من يقول عن مريم انها صاحبة الله سبحانه وتعالى وبيان لزوم ذلك ان المسيح عندهم انسان تام واله تام ناسوت ولاهوت فناسوته من مريم ولاهوته الكلمة القديمة الازلية وهي الخالق عندهم فالمسيح بين أصلين ناسوت ولاهوت فاذا كان الاب هو الله عندهم والكلمة المولودة عن الاب ابن الله فمعلوم ان اللاهوت لما التحم بالناسوت ليصير منهما ان المسيح ازدوج به وقارنه وهذا معنى الزوجية فكما انهم قالوا ان الولادة عقلية لاحسية فكذلك الازدواج والنكاح عقلي لاحسي فان اللاهوت على قولهم ازدوج بناسوت مريم ونكحها نكاحاً عقلياً وخلق المسيح من هذا وهذا وهم يقولون في الامانة ان المسيح تجسد من مريم ومن روح القدس فان فسروا روح القدس بجبريل كما يقوله المسلمون فهو الحق وبطل قولهم لكنهم يقولون روح القدس هو الاقنوم الثالث كما يقولون في الكلمة وهو اللاهوت عندهم فهم قد ذكروا انه تجسد من الناسوت واللاهوت فيلزمهم على هذا ان يكون المسيح هو الابن وهو روح القدس فيكون أقنومين لا أقنوما واحداً وقد تقدم تناقضهم في هذا والمقصود هنا انهم اذا قالوا ان الرب أو بعض صفاته اتحد بما خلق من مريم فلا بد ان يحصل له اتصال بمريم قبل اتصاله بما خلق منها وذلك هو معنى النكاح والازدواج وعند جمهور النصارى ان مريم ولدت اللاهوت كما ولدت الناسوت وهي أم اللاهوت ويقولون في دعائهم ياوالدة الاله • واللاهوت الذى ولدته مريم هو عندهم رب العالمين واللاهوت اتحد بالناسوت عندهم من حين خلق الناسوت في بطن مريم لم يحدث بعد الولادة فاذا جاز ان يكون لرب العالمين عندهم أم ولدته بوجه من

عليه السلام انه قال عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس ثم فسروا الابن بصفة الله القديمة الازلية كان هذا كذباً بيناً على المسيح حيث لم يكن في لغته ان لفظ الابن يراد به صفة الله القديمة الازلية وكذلك اذا لم يكن في كلام الانبياء ان حياة الله تسمي روح القدس وانما يريدون بروح القدس ماينزله الله تبارك وتعالى على الانبياء والصالحين ويؤيدهم كان تفسير قول المسيح روح القدس انه أراد حياة الله كذباً على المسيح وهــذا من بعض الوجوه أفسد من قول بعض المتفلسفة ان العقول والنفوس والفلك معلولة له متولدة عنه لازمة له أزلا وأبداً وان كان هــذا أيضاً باطل في صريح العقل كما هو كفر بما أخبرت به الانبياء كما قد بسط في موضع آخر فانه لايصدر شيء عن فاعل الاشياء بعد شيء لايتصور ان يكون المفعول مقارنا للفاعل ولا يتأخر عنه ولا يكون التولد الا عن أصلين والواحد من كل وجه الذي ليس له صفة ثبوتية لا وجود له ولو كان له وجود لم يصدر عنه وحده شيء كما قد بسط الكلام على ذلك في مواضع اخر ومما يوضح ذلك ان خواص النصارى وعلماءهم مع تجويزهم ان يقال ان المسيح ابن الله يلزمهــم ان تكون مريم صاحبة الله وامرأته كما قال ذلك من يغلو منهم. ومنهم من يجعل مريم الهاً مع الله كما جعل المسيح الهاً . فان قالوا بذلك جعلوا لله صاحبة وولداً وجعلوا المسيح بن مريم وأمه الهين من دون الله كما فعل ذلك من فعله منهم فانهم يعبدون مريم ويدعونها بما يدعون به الله سبحانه والمسيح ويجعلونها الهاً كما يجعلون المسيح الهاً فيقولون. ياوالدة الاله اغفري لنا وارحمينا ونحو ذلك فيطلبون منها ما يطلبونه من الله عز

عندهم غير الولادة القديمة التي للكلمة فيلزم ان تكون مريم قد صارت زوجة وامرأة بل نكحت نكاحاً حادثا يناسب تلك الولادة المحدثة قال تعالى (انى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) ولهذا كان الحلول اسهل من الاتحاد فمن قال انه حل في جسد المسيح وماسه وباشره كما يحل الماء في اللبن كان اهون ممن يقول انه اتحد به والتحم به فاذا قيل ان مريم امراة القديم وصاحبته وزوجته كان ما في هـذا من اثبات مباشرته لها ومماسته لها واتصاله بها ومهما قدر من اتصال الزوج بزوجته اهون مما قالوه من اتحاد القديم بالمحدث ومصيره واياه اما جوهرا واحدا واما شخصاً واحدا واما مشيئة واحدة ولهـذا كان كل عاقل يعلم ان النكاح الحسي اسهل من الولادة الحسية فالذكر من الحيوان اذا نكح الانثى فانما مس الذكر للانثى لم تصر الانثى متولدة عنه فاذا جوزوا ان يكون للرب القديم الازلي ما يتولد عنه ويتحد به وهو محدث مخلوق فلان يكون له ما يمسه أولى واحرى واذا قالوا ان المسيح انما كان ابناً لان الكلمة القديمة التي هي ابن اتحدت به قبل فقد يسمى الناسوت الذى اتحد به القديم ابناً عندكم باسم القديم وجعلتموه الهاً خالقاً فما المانع من جعل ام ذلك الناسوت الذى جعلتموه ابن الله صاحبة لله وزوجة باعتبار ان القديم الازلى حصل منه ومنها ماهو ابن القديم الازلي • الوجه الخامس عشر ان يقال لفظ الابن وروح القدس قد جاء في حق غير المسيح عندكم حتى الحواريين عنـدكم يقولون ان المسيح قال لهم ان الله ابى وابيكم والهي والهكم ويقولون ان روح القدس تحل فيهم وفيما عندكم من التوراة ان الرب قال لموسى

الوجوه فامكان ان يكون له صاحبة وزوجة أولى وأحرى وليس في ذلك مايحيله العقل والشرع الا وهو لكونها اما للاهوت أشد احالة فان جاز ان يكون للاهوت أم والام أصل فلان يكون له صاحبة هي زوجة ونظير أقرب وأولى فان من المعلوم ان ولد ذلك الشيء وهو المتفرع المتولد عنه انقص بالنسبة إليه من نظيره فاذا قالوا ان لرب العالمين ولدا اتحد بالناسوت هو نظيره المساوى له فى الجوهر وقالوا ان الناسوت أم هـذا المسيح الذي هو الله وهو ابن الله وقالوا ان الناسوت مريم ولد اللاهوت كما ولد الناسوت ولم يكن هذا عيباً ينزه الرب عنه فلان يجعلوا له أم هذا الولد الذى حبلت به واتحد به اللاهوت وهو فيها وولدت اللاهوت صاحبة وزوجة للاب أولى وأحرى وإلا فكيف تلد ابنـه الذى هو اللاهوت ولا تكون صاحبته وامرأته وهم يقولون نحن سمينا علمه مولوداً عنه لكونه تولد عنه تولد الكلمة عن العقل وهـذا الولد اتحد بالناسوت فسمينا المجموع ولدا وبهذا يفرقون بين كون المسيح ابناً وغيره من الأنبياء يسمى ابناً فانهم يقولون هؤلاء ابناء بالوضع والمسيح ابن بالطبع أى أولئك سموا ابناء بمشيئة الرب وقدرته لانهم اصطفاهم والكلمة التي جعلوها متحدة بالمسيح هي عندهم متولدة عن الله تولداً قديماً أزلياً لايتعلق بمشيئته وقدرته ولهـذا قالوا مولود غير مصنوع فان القديم الازلى مع كونه قائماً بذاته لا يكون مصنوعا عند احد من العقلاء ولا القائلين بقدم العالم فاذا كانت الكلمة اتحدت بالمسيح المخلوق من مريم والتحمت به فاذا قيل مع ذلك ان القديم مس المحدث او لاصقه او باشره كان ايسر من هذا كله والمسيح ولد ولادة حادثة

بها للمسيح قد وجدت لغير المسيح ولو قدر ان المسيح أفضل من بعض اولئك فلا ريب ان المسيح عليه السلام أفضل من جمهور الانبياء افضل من داود وسليمان وأصحاب النبوات الموجودة عندكم وأفضل من الحواريين لكن مزيد الفضل يقتضي الفضيلة في النبوة والرسالة كفضيلة ابراهيم وموسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه وذلك لا يقتضي خروجه عن جنس الرسل كما قال تعالى (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون) وقال تعالى (وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله إلا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة)الآيه كلها وجماع هذا الجواب ان مايوصف به المسيح عندهم من كونه ابن الله وكون الله حل فيه أو ظهر أوسكن وكون روح القدس أو روح الله حلت فيه وكونه مسيحاً كل ذلك موجود عندهم في حق غير المسيح فليس للمسيح اختصاص بشيء من هذه الالفاظ وانما يوجد اختصاصه بلفظ الكلمة وكونه تجسد من روح القدس وهذا هو الذي خصه به القرآن فان الله قال انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه) وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم

اذهب الى فرعون فقل له يقول لك الرب اسرائيل ابني بكري ارسله يعبدني فان أبيت ان ترسل ابني بكري قتلت ابنك بكرك فاما لم يرسل فرعون بني اسرائيل كما قال الله قتل الله ابكار فرعون وقومه من بكر فرعون الجالس على السرير الى الاول من أولاد الآدميين الى ولد الحيوان البهم فهذه التوراة تسمي بني اسرائيل كلهم ابناء الله وابكاره وتسمي ابناء أهل مصر ابناء فرعون ويتوسع فتسميه سخال الحيوان أولاد المالك للحيوان وفي مزامير داود يقول انت ابني سائلي اعطك وفي الانجيل يقول عن المسيح انا ذاهب الى أبي وابيكم والهي والهكم. وقال اذا صليتم فقولوا ياابانا الذي في السماء قدوس اسمك افعل بنا كذا وكذا ويقولون عن القديسين ان روح القدس يحل فيهم وكذلك حلت في داود وغيره من الانبياء بل عندهم ان الله يحل في الصديقين كلهم فان كان الابن وروح القدس يقتضي اتحاد اللاهوت بالناسوت وجب ان يكون كل من الحواريين لاهوتا وناسوتا وكذلك الانبياء فيكون النبي لاهوتا وناسوتا لانه قد سمي عندكم ابن الله ونطقت فيه روح القدس لاسيما وانتم قلتم في الامانة انه روح ممجد مسجود له ناطق في الانبياء فان كان هذا يوجب حلول اللاهوت في الناسوت أو اتحاده به لزم ان يكون غير المسيح من الانبياء بل والحواريين بل وابناء اسرائيل لاهوتا وناسوتا اذ كان الذي جعلتموه اللاهوت حل بغير المسيح واتحد به أو سكن فيه أو احتجب به أو ماقلتم من الالفاظ التي استدللتم بها على ان اللاهوت حل في المسيح كلفظ الابن وروح القدس موجودة عندكم في غير حق المسيح والمعجزات التي احتججتم

جنس قول النصارى في المسيح وهذا كثير في كلام كثير من المشايخ والمدعين المعرفة والتحقيق والتوحيد فيجعلون توحيد العارفين ان يصير الموحد هو الموحد ومنهم من يقول ان الله يحل في قلب العارف ويتكلم بلسانه كما يتكلم الجني على لسان المصروع ويقول الاول

ماوحد الواحد من واحد * اذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته * عارية ابطلها الواحد
توحيده اياه توحيده * ونعت من ينعته لاحد

ومن هؤلآء من يقول ان هذا هو السر الذى باح به الحلاج وغيره وهذا عندهم من الاسرار التي يكتمها العارفون فلا يبوحون بها إلا لخواصهم • ومنهم من يقول انما قتل الحلاج لانه باح بهذا السر وينشدون

من باح بالسر كان القتل شيمته * بين الرجال ولم يؤخذ له ثار

وأمثال ذلك وهؤلآء في دعواهم الاتحاد والحلول بغير المسيح شر من النصارى فان المسيح صلوات الله عليه افضل من كل من ليس بنبي بل هو افضل من جماهير الانبياء والمرسلين فاذا كان من ادعى ان اللاهوت اتحد به كافراً فكيف بمن ادعي ذلك فيمن هو دونه وهذا الاتحاد الخاص غير الاتحاد والحلول العام لقول الذين يقولون انه حال بذاته في كل مكان أو متحد بكل شيء وغلاة هؤلاء ومحققوهم يقولون انه عين الوجود والوجود واحد فيجعلون الوجود الخالق القديم الواجب هو عين وجود المخلوق المحدث الممكن وهؤلآء مثل ابن العربي الطائي وصاحبه الصدر القونوي وصاحبه العفيف التلمساني وابن سبعين وصاحبه الششتري وعبد الله البلباني وعامر البصرى

انه قال من شهد ان لا اله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ادخله الله الجنة على ما كان من عمل فهذا الذى خصه به القرآن هو الذى خصته الكتب المتقدمة اذ كان القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وأما سائر ما يوصف به ويدعون اختصاصه به من كونه ابناً لله وكونه مسيحاً فغيره أيضاً فى كتب الله يسمى ابناً لله ومسيحاً ولذلك مايذكر من الالفاظ التي يحتجون بها على الحلول مثل كون الرب ظهر فيه أو حل أو سكن فان هذه الالفاظ موجودة عندهم في حق غير المسيح بخلاف لفظ الاتحاد فانه لايوجد عندهم عن الانبياء لافي حق المسيح ولا غيره كما لايوجد عندهم عن الانبياء لفظ الاقانيم ولا لفظ التثليث ولا اللاهوت والناسوت ولا تسمية الله جوهراً بل هذا كله مما ابتدعوه كما ابتدعوا أيضاً تسمية صفات الله ابنا وروح القدس فهم ابتدعوا الفاظاً لم ينطق بها الانبياء أثبتوا لها معان باطلة وابتدعوا استعمال الفاظ الانبياء فى غير مرادهم وحملوا مراهم عليها والالفاظ المتشابهة التي يحتجون بها على اتحاد اللاهوت بالناسوت موجودة عندهم فى حق غير المسيح فليس للمسيح خاصة في كلام الانبياء توجب ان يكون هو الله أو ابن الله وتلك الالفاظ قد عرف باتفاقهم واتفاق المسلمين ان المراد بها حلول الايمان بالله ومعرفته وهداه ونوره ومثاله العلمى في قلوب عباده الصالحين كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع وقد تقدم • ومن قال من ضلال المسلمين ان الرب يتحد أو يحل في الانبياء والاولياء وان هذا من السر الذي لايباح به فقوله من

والتلمساني الملقب بالعفيف وكان من أفجر الناس وكان احذق هؤلآء الملاحدة ولما قرىء عليه كتاب فصوص الحكم لابن العربي قيل له هذا الكلام مخالف القرآن • فقال القرآن كله شرك وانما التوحيد في كلامنا • فقيل له اذا كان الوجود واحداً فلماذا تحرم على امي وتباح لي امرأتي؟ فقال الجميع عندنا حلال ولكن هؤلآء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم وكلام هؤلآء كله متناقض ينقض بعضه بعضاً فان قوله على هؤلآء المحجوبون وقوله قلنا حرام عليكم يقتضى الفرق بينه وبين المحجوبين وبين المخاطِب والمخاطب وهذا يناقض وحدة الوجود واذا قالوا هذه مظاهر للحق ومجال فان كان الظاهر غير المظهر والمجلى غير المتجلى فقد ثبت التعدد وان في الوجود اثنين ظاهراً ومظهرا وان جعلوهما واحدا فقد بطل جوابهم

(فصل)قال الحاكي عنهم فقلت فانهم ينكرون علينا في قولنا ان الله تعالى جوهر • قالوا اننا نسمع عن هؤلآء القوم انهم ذو فضل وأدب ومعرفة ومن هذا صورته وقد قرأ شيئاً من كتب الفلاسفة والمنطق فما حقهم ينكرون هذا علينا وذلك انه ليس في الوجود شيء الا وهو اما جوهر واما عرض لان أي امر نظرناه وجدناه اما قائما بنفسه غير مفتقر في وجود الى غيره وهو الجوهر واما مفتقر في وجوده الى غيره لاقوام له بنفسه وهو العرض ولا يمكن ان يكون لهذين القسمين قسم ثالث فاشرف هذين القسمين القائم بذاته الغير مفتقر في وجوده الى غيره وهو الجوهر ولما كان البارى تقدست اسماؤه اشرف الموجودات اذهو سبب سائرها أوجب ان يكون اشرفه

وطوائف غير هؤلآء وهؤلآء يقولون ان النصارى انما كفروا لانهم خصوا ذلك بالمسيح وحقيقة قول هؤلآء هو جحد الخالق وتعطيله كما قال فرعون وما رب العالمين وقال ماعلمت لكم من اله غيري فان فرعون ما كان ينكر هذا الوجود المشهود لكن ينكر ان له صانعا مباينا له خلقه وهؤلآء موافقون لفرعون في ذلك لكن فرعون أظهر الجحود والانكار فلم يقل الوجود المخلوق هو الخالق وهؤلآء ظنوا انهم يقرون بالخالق وان الوجود المخلوق هو الخالق وقد بسط الكلام على هؤلآء فى آخر هذا الكتاب وهؤلآء لهم شعر نظموا قصائد على مذهبهم كابن الفارض في قصيدته المسماة بنظم السلوك حيث يقول

لها صلواتى بالمقام اقيمها * واشهد فيها انها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد الى * حقيقته بالجمع فى كل سجدة
وما كان لي صلي سواي ولم تكن * صلاتى لغيرى في ادا كل ركعة

الى ان قال

وما زلت اياها واياي لم تزل * ولا فرق بل ذاتى لذاتي احبت

وقوله

الي رسولا كنت مني مرسلا * وذاتى باياى علىّ استدلت
فان دعيت كنت المجيب وان اكن * منادي اجابت من دعاني وابت
وقد رفعت ياء المخاطب بيننا * وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعت

الى امثال هذه الابيات وكذلك ابن اسرائيل فى شعره قطعة من هذا كقوله

وما أنت غير الكون بل أنت عينه * ويفهم هذا السر من هو ذائق

الحسنى كما قال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه) واما الاخبار عنه فهو بحسب الحاجة فاذا احتيج فى تفهيم الغير المراد الى ان يترجم اسماؤه بغير العربية او يعبر عنه باسم له معنى صحيح لم يكن ذلك محرما واما الذين منعوه من جهة العقل فكثير منهم يقولون ان الجوهر ماشغل الحيز وحمل الاعراض والله سبحانه وتعالى ليس كذلك وهذا قول من نفى ذلك من اهل الكلام ومنهم من يقول الجوهر ما اذا وجد كان وجوده لا في موضوع وهذا انما يكون فيما وجوده زائدا على ذاته وواجب الوجود وجوده عين ذاته فلا يكون جوهرا وهذا قول ابن سينا وامثاله من متأخرى المتفلسفة واما قدماء الفلاسفة كارسطو وامثاله فكانوا يسمونه جوهرا وعنهم أخذت النصاري هذه التسمية فان ارسطو كان قبل المسيح باكثر من ثلاثمائة سنة ولهذا قال هؤلاء في كتابهم نعجب ممن ينكر ذلك وهو قد قرأ شيئاً من كتب الفلاسفة والمنطق وقد ذكرت طائفة ان افلاطون وغيره كانوا ينكرون تسميته جوهرا وان ارسطو سماه جوهرا ومما حكى النزاع بينهم ابو نصر الفارابى وأما اللغة فان لفظ الجوهر ليس من العربية العربا ولهذا لا يعرف في كلام العرب المحض وانما هو معرب كما ذكر ذلك الجوهرى وغيره قال الجوهرى الجوهر معرب الواحدة جوهرة فهو من العربية المعربة لا من العربية العربا كلفظ سجيل واستبرق وأمثال ذلك من الالفاظ المعربة وهذا اللفظ ليس موجودا فى القرآن ومع هذا فلما عرب كان معناه في اللغة هو الجوهر المعروف وتسمية القائم بنفسه أو الشاغل للحيز جوهرا

الامور واعلاها الجوهر ولهذا قلنا إنه جوهر لا كالجواهر المخلوقة كما نقول انه شيء لا كالاشياء المخلوقة والا لزم ان يكون قوامه بغيره ومفتقر في وجوده الى غيره وهذا فمن القبيح أن يقال على الله تعالى فقلت لهم انهم يقولون انا انما نمتنع من أن نسميه جوهرا لان الجوهر ماقبل عرضاً وماشغل الحيز ولهذا من يطلق عليه القول بانه تعالى جوهر قالوا ان الذي يقبل عرضاً ويشغل حيزا هو الجوهر الكثيف فاما الجوهر اللطيف فما يقبل عرضاً ولا يشغل حيزا مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء وما يجرى هذا المجرى من الجواهر اللطيفة المخلوقة فاذا كانت الجواهر اللطيفة المخلوقة لاتقبل عرضا ولا تشغل حيزا فيكون خالق الجواهر اللطائف والكثائف ومركب اللطائف بالكثائف يقبل عرضاً ويشغل حيزا كلا * والجواب من وجوه احدها ان يقال اما تسمية البارى جوهرا فهو من اهون ما ينكر على النصارى ولهذا كان من الناس من ينكره من جهة الشرع فقط أو اللغة ومنهم من ينكره من جهة العقل ايضاً ومنهم من يراه نزاعا لفظياً وطائفة من المسلمين يسمونه جوهرا وجسما ايضاً وذلك ان المسلمين فى اسماء الله تعالى على طريقتين وكثير منهم يقول ان اسماءه سمعية شرعية فلا يسمي الا بالاسماء التي جاءت بها الشريعة فان هذه عبادة والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع ومنهم من يقول ماصح معناه فى اللغة وكان معناه ثابتا له لم يحرم تسميته به فان الشارع لم يحرم علينا ذلك فيكون عفوا والصواب القول الثالث وهو ان يفرق بين ان يدعي بالاسماء او يخبر بها عنه فاذا دعي لم يدع الا بالاسماء

الصفات اعياناً قائمة بنفسها وجواهر قائمة بنفسها . ومنهم من يجعل الاعيان القائمة بنفسها صفات والصفات لاتقوم بانفسها بل لابد لهـا من موصوف تقوم به والاولون نوعان منهم من نفى الصفات وقال لو اثبتنا له حياة وعلما وقدرة لزم ان تكون هذه آلهة فان القدم اخص وصفه فلو اثبتنا قديما ليست هى الذات لزم ان يشارك الذات فى اخص وصفها فتكون ذاتاً أخرى قائمة بنفسها وهذه طريقة كثير من نفـاة الصفات من مبتدعة المسلمين واليهود والنصارى احتجوا على نفى الصفات بانا لو اثبتناها لزم ان تكون الهـة وقال من قال من المنتسبين الى الاسلام انا لو اثبتنا الصفات لقلنا بقول النصارى حيث اثبتوا لله الاقانيم وحجة هؤلاء قائمة على النصارى وهم النوع الثالث فانهـم اثبتوا لله صفات وجعلوها جوهرا قائما بنفسه فقالوا ان الله موجود حي ناطق ثم قالوا حيـاته جوهر قائم بنفسه ونطقه وهو الكلمة جوهر قائم بنفسه وقالوا فى هذا انه اله من اله وهذا إله من اله فاثبتوا صفات لله وجعلوها جواهر قائمة بنفسها ثم قالوا الجميع جوهر واحد فكان في كلامهم امور كثيرة من الباطل المتناقض منهم من جعـل الصفات جوهرا ، ومنهم من جعل الجواهر المتعددة جوهرا واحدا والذين قالوا من نفاة الصفات من المعتزلة والجهمية ان من اثبت الصفات فقـد قال بقول النصارى فهو متوجه على من جعـل الصفات جواهر وهؤلاء هم والنصارى يزعمون ان الصفات جواهر الهة ثم قال هؤلاء ولا اله الا الله فلا صفة له وقالت النصارى بل الاب جوهر اله والابن جوهر اله وروح القدس جوهر اله ثم قالوا والجميع إله واحد ، ونفس تصور

فهو أمر اصطلاحي ليس هو من الاسماء اللغوية ولا العرفية العامة ولا الأسماء الشرعية وقد قيل انه مأخوذ من كلام الاوائل كاليونان وغيرهم فانه يوجد في كلامهم تسمية القائم بنفسه جوهراً وقد قيل سموه بذلك لان جوهر الشيء اصله والقائم بنفسه هو الاصل وقد يسمون العرض القائم بغيره جوهراً وقيل لان لفظ الجوهر فوعل من الجهر وهو الظهور والوضوح والقائم بنفسه يظهر ويعرف قبل ان يعرف ماقام به من الاعراض والناس متفقون على أثبات الاعيان القائمة بنفسها التي تسمي جواهراواجساما وتنازعوا في ثبوت الاعراض القائمة بها والنزاع عند محققيهم لفظي فان عاقلا لاينازع ان الجسم يتحرك بعد سكونه لكن منهم من يقول حركته ليس زائدة على ذاته ومنهم من يقول هي زائدة على ذاته وهو نظير نزاعهم في الصفات هل هي زائدة على الذات أو ليست زائدة والتحقيق ان مسمى الانسان اذا اطلق دخل فيه صفاته واذا ميز بين هذا وهذا قيل الذات والصفات • ومن الناس من يخص بلفظ العرض مالم يكن من الصفات لازما للموصوف والصفات اللازمة يسميها صفات ذاتية أو جوهرية ومنهم من يخص بالعرض مالا يبقى عنده زمانين ويقول صفات المخلوقات تسمى اعراضاً لانها لاتقبل زمانين بخلاف صفات الله فانها ثابتة فلا تسمى اعراضاً ومن نظار المسلمين وغيرهم من يسمي صفات كل موصوف اعراضاً اذا كان كذلك فلا يدخل في اسماء الله التي تذكر في اصول الايمان التي يجب اعتقادها من الاسماء ماهو اصطلاح طائفة من الناس مع انه يوهم معنى باطلا وهذا الموضع مما اضطرب فيه مع النصارى كثير من الناس • منهم من يجعل

غير الذات وبين ان يقال انها غير الله فان اسم الله متناول لذاته المتصفة بصفاته فاذا قال القائل دعوت الله وعبدت الله فلم يدع ذاتاً مجردة ولا صفات مجردة بل دعى الذات المتصفة بصفاتها فاسمه تعالى يتناول ذلك فليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه ولا زائدة على ذلك وان قيل انها زائدة على الذات المجردة ومن ظن انها زائدة على الذات المتصفة بصفاتها التي تدخل صفاتهـا في مسماها فقد غلط ولـكن الاذهـان والالسنة تزلق في هذا الموضع كثيرا فاذا قيل الصفات مغايرة للذات لم يكن في هذا من المحذور ما في قولنا ان صفات الله غير الله فان اسم الله يتناول صفاته فاذا قيل انها غيره فهم من ذلك انها مباينة له وهذا باطل ولهذا كان النفاة اذا ناظروا أئمة المسلمين كما ناظروا الامام احمد ابن حنبل في محنته المشهورة فقالوا له ما تقول في القرآن وكلام الله أهو الله ام غير الله؟ عارضهم بالعلم وقال لهم ما تقولون في علم الله أهو الله ام غير الله واجاب ايضاً بان المرسلين لم تنطق بواحد من الامرين فـلا حجة لـكم في كلام الله ورسوله فان الله لم يقـل لـكلامه هو انا ولا قال انه غـيري حتى يقول القائل اذا كان قد جعل كلامه غـيره وسواه فقد أخبر انه خالق لكل ما سواه فان كان الاحتجاج بالسمع فلا حجة فيه وان كان الاحتجاج بالعقل فالمرجع في ذلك الى المعاني لا الى العبارات فان أراد المريد بقوله هل كلامه وعلمه غيره انه مباين له فليس هو غير اله بهـذا الاعتبار. وان أراد بذلك ان نفس الكلام والعلم ليس هو العالم المتكلم فهو غير له بهـذا الاعتبار واذا كان اللفظ مجملا لم يجز اطلاقه على الوجه الذى يفهم المعنى الفاسد. وأما الذين جعلوا

هذه الاقوال التصور التام يوجب العلم بفسادها واما الرسل واتباعهم فنطقوا ان لله علما وقدرة وغير ذلك من الصفات وبينوا ان الاله واحد فاذا قال القائل عبدت الله ودعوت الله فانما دعى وعبد إلها واحدا وهو ذات متصفة بصفات الكمال لم يعبد ذاتاً لاحياة لها ولا علم ولا قدرة ولا عبد ثلاثة آلهة ولا ثلاثة جواهر بل نفس اسم الله يتضمن ذاته المقدسة المتصفة بصفاته سبحانه وليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه ولا زائدة على مسمى اسمه بل اذا قدر ذات مجردة عن الصفات فالصفات زائدة على هذه الذات المقدرة فى الذهن المجردة عن الصفات ليست الصفات زائدة على الذات المتصفة بالصفات فان تلك لاوجود لها الا بصفاتها فتقديرها مجردة عن صفاتها تقدير ممتنع وقد تنازع المثبتة هل يقال الصفات غير الذات ام يقال ليست غير الذات ام يقال لايقال هي غير الذات ولا يقال ليست غير الذات وتنازعوا فى مسمى الغيرين هل هما ماجاز مفارقة احدهما الآخر مطلقاً أو ماجاز مفارقته بوجود أو زمان أو مكان أو هما ماجاز العلم باحدهما مع عدم العلم بالآخر وغير ذلك منازعات لفظية وكثير منهم فرق فى الصفات اللازمة بين بعضها وبعض فجعل بعضها زائدا على الذات وبعضها ليس بزائد على الذات وكان الفرق بحسب مايتصوره لا بحسب ما الامر عليه فى نفسه فاذا امكنهم تصور الذات بدون صفة قالوا هذه زائدة والا قالوا ليست زائدة وهذا يقتضي انها زائدة على ماتصوروه هم من الذات لا انه في الخارج ذات مجردة عن تلك الصفة وصفة زائدة عليها بل ليس الا الذات المتصفة بتلك الصفات ولكن يجب الفرق بين ان يقال ان الصفات

قدير وانما كانوا يعبدون الكواكب العلوية والاصنام السفلية ويعبدون الشياطين ويؤمنون بالجبت والطاغوت وانما صاروا مؤمنين لما دخل اليهم دين المسيح صلوات الله عليه وسلامه بعد الاسكندر المقدونى صاحب ارسطوا بنحو ثلاثمائة سنة وكانوا يسمون الملك من ملوكهم بطلميوس كما تسمي القبط ملكها فرعون والحبشة ملكها النجاشى والفرس كسرى ونحو ذلك وحينئذ فعدولكم عن طريقة الانبياء والمرسلين الى طريقة الكفار والمشركين المعطلين من الضلال المبين وفي كتبهم ان بولص لما صار الى أثينة دار الفلاسفة وفيها دار الاصنام وجد مكتوباً على باب دار العلماء والاصنام مكتوبا الاله الخفى الذى لايعرف هو الذى خالق العالم فكانوا لايعرفون رب العالمين فكيف يعدل عن طريقة رسل الله وانبيائه كموسى وداود والمسيح الى طريقة هؤلآء الكفار المشركين المعطلين ولكن النصارى ركبوا ديناً من دينين من دين الانبياء الموحدين ودين المشركين فصار في دينهم قسط مما جاءت به الانبياء وقسط مما ابتدعوه من دين المشركين في أقوالهم وأفعالهم كما احدثوا الفاظ الاقانيم وهى الفاظ لاتوجد في شيء من كلام الانبياء وكما أحدثوا الاصنام المرقومة بدل الاصنام المجسدة والصلاة الى الشمس والقمر والكواكب بدل الصلاة اليها والصيام فى وقت الربيع ليجمعوا بين الدين الشرعي والامر الطبيعي وغير ذلك. الوجه الثالث قولهم ان الذي يشغل حيزاً و يقبل عرضاً هو الجوهر الكثيف فاما الجوهر اللطيف فما يقبل عرضاً ولا يشغل حيزاً مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء . فيقال الكلام في الجواهر هل

الاعيان القائمة بانفسها صفات فهم هؤلاء المتفلسفة النفاة للصفاة ومن أشبههم فانهم قالوا ان رب العالمين عقل وعاقل ومعقول ولفظ العقل عندهم وان كانوا يقولون هو جوهر قائم بنفسه فقد صرحوا أيضاً بانه نفسه علم حتى صرحوا بأن رب العالمين علم كما صرح بذلك ابن رشد وغيره ونقلوه عن ارسطو وان العقول العشرة كل منها علم فهو علم وعالم ومعلوم بل قالوا عقل وعاقل ومعقول وعاشق ومعشوق وعشق ولذيذ وملتذ ولذة فجعلوه نفسه لذة وعقلا وعشقا وجعلوا ذلك هو العالم العاشق الملتذ وجعلوا نفس العلم نفس العشق ونفس اللذة فجعلوه نفسه صفات وجعلوه ذاتاً قائمة بنفسها وجعلوا كل صفة هى الاخري وهذا مما يعلم بصريح العقل بطلانه.ومنهم من لا يصرح بانه نفسه علم فانه يقول هو عاقل ومعقول وعقل يقول انه يعلم نفسه بلا علم بل هو العالم وهو المعلوم وهو العلم وحقيقة كلامهم يعود الى قول أولئك فانهم اذا قالوا ان العلم الذى يعلم به ذاته هو العالم وهو المعلوم فقد جعلوا نفس العلم نفس العالم ونفس العلم نفس المعلوم وهذا هو حقيقة قول اولئك وهذه الامور مبسوطة في غير هذا الموضع ٠

الوجه الثانى ان يقال لهم انتم تقولون انكم متبعون للكتب الالهية واذا كان كذلك لم ينبغ لكم ان تدخلوا في شريعة ايمانكم من الاسماء الا ما جاءت به الانبياء عليهم السلام والانبياء لم يسم الله أحد منهم جوهرا وانما سماه بذلك ارسطو وأمثاله وهؤلاء كانوا مشركين يعبدون الاصنام ولم يكونوا يعرفون الله المعرفة الصحيحة ولا يقولون انه خالق السموات والارض ولا انه بكل شيء عليم ولا على كل شيء

ماتحت فلك القمر وهذا كله من أعظم الكفر عند الرسل واتباعهم أهل الملل فان مضمون هذا ان ملكاً من الملائكة خالق كل ماتحت السماء وملكا فوقه خالق كل ماسوى الله سبحانه وهذا من أعظم الكفر فى دين المرسلين واهل الملل المسلمين واليهود والنصارى قال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم مابين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) فاخبر ان الملائكة لا تسبقه بالقول ولا تعمل إلا بأمره فضلا عن ان يكون ملك هو خالق كل شيء وهؤلاء يقولون ان الوحي والكلام الذى جاءت به الرسل انما هو فيض من هذا العقل الفعال على قلوب الانبياء والله تعالى عند هؤلاء لم يكن يعرف موسى ولا عيسى ولا ابراهيم ولا محمداً ولا غيرهم من الرسل ولا يعرف الجزئيات بل عند ارسطو واتباعه انه لا يعلم شيئاً من الاشياء بل ولا خلق عندهم شيئا بل ولا يقدر عندهم على خلق شيء فضلا عن ان يكون على كل شيء قدير وان يكون قد احاط بكل شيء علما وارسطوا وقومه كانوا مشركين يعبدون الاصنام بمقدونيـة وأثينة وغيرهما من مدائن فلاسفة اليونان وكان وزيراً للاسكندر بن فيلبس المقدوني وكان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو ثلاثماية سنة ولم يكن وزيراً لذي القرنين الذى بني سد يأجوج ومأجوج وكان عامة علم القوم علم الطبيعيات والحسابيات وأما العلم الالهي وهو الذى يسمونه علم ما بعد الطبيعة وهو منتهى فلسفتهم فانما تكلموا فيه على امور كلية قسموا الوجود الى جوهر وتسعة اعراض يجمعها بيتان

هى منقسمة الى متحيز وغير متحيز او كلها متحيز هو متصل بالكلام على نفس الانسان الناطقــة فنقول ان المسلمين من أعظم الناس معرفة بوجود الملائكة ووجود الجن كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع الامة وكذلك سلف الامة وأئمتها يعرفون وجود النفس التي هي روح الانسان التي تفارق بدنه حين الموت كما دل على ذلك الـكتاب والسنة وإجماع السلف والائمــة وان كان كثير من أهــل الكلام يزعم انها عرض من اعراض البدن أو جزء من اجزائه فهذا قول محــدث فى الاسلام لم يذهب اليه أحد من السلف والائمــة وان كان محكياً عن اكثر المتكلمين فليس الذين قالوا هذا من سلف الامة ولا ائمتها بل هم من أهل الكلام المحدث المذموم عند السلف وائمة الامة وكثير من المتفلسفة الداخلين في أهــل الملل يقولون ان الذوات التى تسميها الانبياء الملائكة هى التي تسميها المتفلسفة المساوون عقولاً او عقولا ونفوسا وهذا غلط عظيم كما قد بسط فى موضعه فان العقول التي يثبتها هؤلاء المتفلسفة لاحقيقة لها عند الرسل واتباعهم بل ولا حقيقة لها عند العقل الصريح انها اعراض قائمة بانفسها وقد صرحوا بان واجب الوجود نفسه هو علم وجعلوا نفس العلم هو نفس العالم ونفس تصور هذا القول يكفى فى العلم بفساده كما ان هؤلاء المتفلسفة اتباع ارسطوا لايعرفون الملائكة بل ولا الجن وانما علمهم بمعرفة الاجسام الطبيعيــة وتكلموا فى الالهيات بكلام قليل نزر باطله اكثر من حقه كما قد بسط فى موضــع آخر وهؤلاء يزعمون ان العقل الاول ابدع مادونه من العقول والافلاك الى ان ينتهى الامر الى العقل العاشر فهو مبــدع

الفلك بل ولا شعور منه بالفلك وعبر عن ذلك ابن رشد الفيلسوف وأمثاله فقالوا انه يأمر الفلك بالحركة وقوام الفلك بطاعته لامر الله مع انه عندهم لاارادة له ولا علم له بما يأمر به بل كونه امراً هو معنى كون الفلك يتشبه به كما يأمر المعشوق عاشقه ان يحبه وان كان المعشوق لاشعور له ولا ارادة في ان يحبه ذلك ثم لو قدر انه هو الآمر فانما يصدر بسبب أمره مجرد حركة الفلك ولهذا شبهوا ذلك بامر السلطان لعسكره بأمر يطيعونه فيه فجعلوا الحركات معلولة له بهذا الاعتبار لم يثبتوا انه أبدع شيئاً من الافلاك والعناصر والمولدات ولا العقول ولا النفوس لا ابدع أعيانها ولا صفاتها ولا أفعالها بل غايته ان يكون آمراً لها بالحركة كامر الملك لعسكره مع انه عندهم ليس آمراً بالحقيقة بل ولا علم له بشيء من الموجودات بل غاية مايزعم أرسطو واتباعه ان للفلك حاجة اليه من جهة تشبهه به وأما كونه هو علة موجبة للفلك وانما يقول هذا من يقوله من متأخريهم كابن سينا وأما الفارابي فهو الذى وسع القول فى هذا الباب وقسم الموجود الى واجب وممكن وجعل الافلاك واجبة ممكنة به وفى ذلك من الفساد والاضطراب ما قد بسط فى غير هذا الموضع وبنى ابن سينا الكلام فى نفى صفاته على كونه واجب الوجود وأما الفارابي في كتاب آراء اهل المدينة الفاضلة وغير ذلك فاعتمد على كونه أول وكذلك أرسطو في كتاب أثولوجيا اعتمد على كونه هو الاول. وشبهه بالاول في العدد وعلى ذلك بنوا نفي الصفات وانا لو أثبتناها لخرج عن كونه أول مع انهم لم يقيموا حجة على كونه أول بهذا المعنى الذي زعموه كالم يقيموا حجة على كونه واجب الوجود بالمعنى الذي ادعوه بل تكلموا

زيد الطويل الاسود بن مالك * في داره بالامس كان متكي
في يده سيف نضاه فانتضى * فهذه عشر مقولات سوا

وهى الجوهر والكم والكيف والاين ومتى والاضافة والملك والوضع وان يفعل وان ينفعل وقد نازعه اتباعه وغيرهم في هذا الحصر وقالوا انه لادليل عليه . ومنهم من جعلها ثلاثة . ومنهم من قال غير ذلك واثبت العلة الاولى بناء على حركة الفلك وانه يتحرك حركة شوقية فلا بد له مما يتشبه به فالعلة الاولى هى علة لحاجة الفلك اليها من جهة انه يتحرك ليتشبه بها كحركة المؤتم بامامه والمقتدى بقدوته وقد يقولون كتحريك المعشوق لعاشقه وكلام أرسطو في ذلك موجود قد نقلته بالفاظه وتكلمت عليه فى غير هذا الموضع وقد ذكر ذلك فى مقالة اللام وهى آخر فلسفته ومنتهى حكمته وفي كتاب أثولوجيا ولم يثبت ان الرب مبدع للفلك ولا علة فاعلة ولا سماه واجب الوجود ولا قسم الموجودات الى واجب قديم وممكن قديم بل ذلك فعل المتأخرين كابن سينا وأمثاله. وقد بسطنا الكلام عليهم فى غير هذا الموضع .والمتأخرون الذين سمعوا كلام أهل الملل أرادوا اصلاح كلامه وتقريبه الى العقول لعلة توافق ماعلم بصريح المعقول وصحيح المنقول فتكلم عليه ثابت بن قرة وبين ان الفلك اذا كان لاقوام له الا بطبيعة ولا قوام لطبيعته الا بحركته ولا قوام لحركته الارادية الا بمحرك لها وزعموا ان المحرك يجب ان لا يكون متحركا وقرروا ذلك بادلة فاسدة قد بسط الكلام عليها في غير هذا الموضع فقالوا انه انما تحرك الفلك من جهة نسبة الفلك به وان لم يكن هو القادر على تحريكه

فى اتباعهم من يعظمهم ولا يستعين بكلامهم بل الرسل واتباعهم متفقون على تضليلهم وتجهيلهم وأما العقليات فانما يعظم كلام هؤلآء الفلاسفة فى العلوم الكلية والالهية من هو من أجهل الناس بالمعارف الالهية والعلوم الكلية اذ كان كلامهم في ذلك فيه من الجهل والضلال ما لا يحيط به الا ذو الجلال وانما كان القوم يعرفون ما يعرفونه من الطبيعيات والرياضيات كالهندسة وبعض الهيئة وشيئاً من علوم الاخلاق والسياسة المدنية والمنزلية التي هي جزء مما جاءت به الرسل . واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل اعلم من هؤلآء بالعلوم الالهية والاخلاق والسياسيات فضلا عما وراء ذلك فاعتضاد هؤلآء النصارى بهؤلاء المتفلسفة يدل على عظيم جهلهم بالشرعيات والعقليات وهذا قد بسط الكلام عليه في مواضع متعددة اذ كان الرد على الفلاسفة لايختص به النصارى بل الكلام فى ذلك معهم ومع من يعظمهم من أهل الملل عموما ومعلوم ان المنتسبين الى الاسلام من اتباع الفلاسفة كالفارابي وابن سينا والسهروردى المقتول وابن رشد الحفيد وامثالهم احذق بهم واعلم من النصارى وكتب الفلاسفة التي صارت الى المسلمين من الطب والحساب والمنطق وغير ذلك هذبها المنتسبون الى الاسلام فجاء كلامهم فيها خيراً من كلام اولئك اليونان والنصارى واليهود انما يعتمدون في هذه العلوم على ماوضعه هؤلآء المنتسبون الى الاسلام مع ان هؤلآء عند علماء المسلمين جهال ضلال في الالهيات والكليات فكيف يكون سلفهم ومن يعظمهم من اليهود والنصارى ولما صار اولئك اليونان عارفين بالله موحدين له عابدين له مؤمنين بملائكته وكتبه ورسله لما دخل اليهم اتباع المسيح

بألفاظ مجملة متشابهة تحتمل حقاً وباطلاً فانه معلوم ان الله واجب الوجود بذاته موجود بنفسه وانه الاول الذى ليس قبله شيء وهو القديم الازلي الذي لم يزل ولا يزال وهؤلاء جعلوا وجوب الوجود بمعنى انه لايتعلق بغيره فلا يكون له صفة وكونه أول بمعني أول الاعداد الذي لاتعدد فيه ومعلوم ان الواحد والاول المجرد عن كل شيء انما يقدر في الاذهان لافى الاعيان فالذهن يقدر واحدا واثنين وثلاثة وأربعة الى سائر الاعداد المجردة والعدد المجرد عن المعدود انما يوجد فى الاذهان لافى الاعيان فأما الموجود فى الخارج فانما هي أعيان قائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها والاول منها هو ذات متصفة بصفاتها لايوجد فى الاعيان شيء ليس بذات قائمة بنفسها ولا صفة قائمة بغيرها بل لا يوجد ذات مجردة عن صفاتها وهذه الامور مبسوطة فى غير هذا الموضع ولكن نبهنا هنا عليها لان هؤلاء القوم قالوا انا نعجب من هؤلاء القوم انهم ذو فضل وأدب ومعرفة ومن هذا صورته وقد قرأ شيئاً من كتب الفلاسفة والمنطق فما حقهم ينكرون علينا هذا فكان كلام هؤلاء النصارى يتضمن تعظيم الفلاسفة وأهل المنطق وان من قرأ كتبهم عرف بها من الحق فى الالهيات ما لا يعرفه سائر أهل الملل وهذا يدل على جهل هؤلاء النصارى بما جاءت به الرسل وبما يعرف بالعقل المحض أما الاول فلان المسيح واتباعه كالحواريين ومن اتبعهم ليس فيهم من عظم هؤلاء الفلاسفة ولا استعان بهم ولا التفت اليهم بل وهم عندهم من أئمة الكفر ورؤس الضلال وكذلك موسى واتباعه وكذلك محمد واتباعه وليس فى رسل الله وأنبيائه ولا

قديمةازلية لم تزل ولا تزال ثم قال فبك آخذ وبك اعطى وبك الثواب وعليك العقاب فجعل به هذه الانواع الاربعة وعندهم ان العقل صدر عنه جميع العالم العلوى والسفلي وذلك ان لفظ العقل فى الحديث سواء كان صحيحاً أو ضعيفاً هو العقل في لغـة الانبياء والمرسلين هو عقل الانسان وهو عرض قائم به وهذا صفة قائمة بالانسان ليس هو جوهرا قائما بنفسه والعقل فى لغة هؤلآء الفلاسفة هو جوهر قائم بنفسه واما النفس الفلكية فلهم فيها قولان. قيل انها عرض قائم بالفلك وهو قول اكثرهم. وقيل بل جوهر قائم بنفسه ولهذا عيل ابن سيناء وهذه الامور مبسوطة في موضع آخر والمقصود هنـا ذكر هؤلآء ان ثم جوهرا لطيفاً غير الجوهر الكثيف ومثلوا ذلك بالنفس والعقل والضوء ثم ان النصارى لم يقيموا على ثبوت شيء من ذلك دليلا ولا دليل ء ذلك مما دلت عليه الكتب الالهيه فان النفس الفلكية والعقول العشرة لم ينطق بها كتاب ولا رسول بل ولا دل عليها دليل عقلي وادلة المتفلسفة عليها ضعيفة وانما دل العقل على ما اخبرت به الرسل من الملائكة ولكن هؤلآء الذين حملوا كلام الرسل على مايوافق قول هؤلآء المتفلسفة يجعلون اللوح المحفوظ هو النفس الفلكية كما يجعلون العقل والقلم هو العقل الاول والعرش هو الفلك التاسع وغير ذلك مما قد بسط الكلام عليه فى موضع آخر واذا لم يقيموا حجة شرعية ولا عقلية على مامثلوا به من الجواهر اللطيفة لم يكن لهـم حجة على من قال ان الجوهر مايشغل حيزا ويقبل عرضاً ولما قرنوا النفس بالعقل كان ذلك ظاهراً فى انهم ارادوا النفس الفلكية فاما ان ارادوا النفس الانسانية فهذه

يدعونهم الى دين الله الذى بعث به المسيح وكل من كان من اتباع المسيح غير مبدل لشيء من دينه قبل النسخ فانه من المؤمنين المسلمين المهتدين وهم من اولياء الله المتقين من اهل الجنة ومن ظن ان كلام الرسل يوافق هؤلاء اليونان فان ذلك يدل على جهله بما جاءت به الرسل وبما يقوله هؤلاء . وانما توجد مثل هذا فى كلام الملاحدة من اهل الملل ملاحدة اليهود والنصارى والمسلمين وغيرهم كاصحاب رسائل اخوان الصفا وامثالهم من الملاحدة المنتسبين الى تشيع او الى تصوف كابن العربي وابن سبعين وامثالهما وفى الكتب المضنون بها على غير اهلها ونحو ذلك من الكلام المنسوب الى أبى حامد قطعة من ذلك وهؤلاء قد يحتجون بالحديث المأثور أول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتى ما خلقت خلقاً أكرم على منك فبك آخذ وبك أعطى وبك الثواب وعليك العقاب . وهذا الحديث كذب موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك اهل العلم بالحديث كأبى جعفر العقيلى وأبى حاتم ابن حبان البستي وابي الحسن الدارقطني وابى الفرج ابن الجوزى وغيرهم ثم لفظه لو كان صحيحاً حجة على نقيض مطلوبهم فانه قال اول ما خلق الله العقل بنصب اول وفي لفظ لما خلق الله العقل قال له . فلفظه يقتضى انه خاطبه فى اول ما خلقه فحرفوا لفظه وقالوا اول ما خلق الله العقل بالضم وليس هذا لفظه ولكن لفظه يقتضى انه خاطبه في اول اوقات خلقه ولهذا قال ما خلقت خلقاً اكرم على منك وهذا يقتضى انه خلق قبله غيره وعندهم هو اول المبدعات يمتنع ان يتقدمه شيء مع انه وسائر العقول والافلاك عندهم

القائم بالارض والهواء عرض ليس جوهرا قائما بنفسه وهم قد جعلوه جوهرا وهذا تناقض بيّن ٠ وايضاً فالجواهر اللطيفة تقوم بها الاعراض كالحياة والعلم بل والرب على قولهم تقوم به الحياة والعلم فاذا سموه جوهرا لزمهم ان يسموا صفاته اعراضاً اذا قالوا لاموجود الا جوهر او عرض فهؤلاء ان عنوا بالعرض هذا فكل جوهر يقبل الصفات وان أرادوا بالعرض مايعنيه المتفلسفة بالصفات العرضية التي يفرقون بينها وبين الذاتية مع ان هذا ليس مقتضى كلامهم فقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان تقسيم هؤلاء الصفات اللازمة للموصوف الى ذاتية وعرضية تقسيم باطل وبتقدير ان يكون حقاً فالنفس ايضاً تقبل الصفات العرضية بل وكذلك كل جوهر سواء كان لطيفاً أو كثيفاً فقولكم ان الجوهر اللطيف لايقبل عرضاً مثل جوهر النفس وجوهر العقل وجوهر الضوء وما يجرى هذا المجرى من الجواهر اللطيفة كلام باطل على كل تقدير وان عنوا بلفظ العرض شيئاً آخر لم ينفعهم ذلك فان المتكلمين الذين قالوا الجوهر مايشغل حيزا ويقبل عرضاً انما ارادوا بالعرض مايقوم بغيره من المعاني سواء كان لازماً له أو عارضاً له ومعلوم ان كل جوهر فانه تقوم به المعاني والخالق تعالى عندهم تقوم به الحياة والعلم فاذا كان الخالق تقوم به المعاني وهم يسمونه جوهراً فكيف لاتقوم بغيره المعاني وهؤلاء يثبتون جوهراً لا تقوم به الاعراض مع قولهم انه تقوم به المعاني وهذا اصطلاح لهم لايوافقهم عليه احد ثم يتناقضون فيقولون الموجود اما جوهر واما عرض وهذا يناقض قولهم الموجود اما جوهر واما

ثابتة قد اخبرت بها الرسل واتباعهم كما قد بسط في موضعه لكن هذه لا تقرن بالعقل الذي هو جوهر والعقل صفة هذه وهو مصدر عقل يعقل عقلا وقد يراد بالعقل غريزة قائمة بها ويراد بالعقل العمل بالعلم كما قد بسط في موضع آخر الوجه الرابع قولهم وجوهر الضوء فيقال لهم ان اردتم بالضوء نفس الشمس والنار فهذا جسم متحيز يشغل حيزا أو يقبل عرضا ليس هو من الجواهر اللطيفة التي مثلتم بها وان اردتم بالضوء الشعاع القائم بالهواء والجدران ونحو ذلك فليس هذا بجوهر لا لطيف ولا كثيف بل هو عرض قائم بغيره . الوجه الخامس قولكم ان الجوهر اللطيف لا يقبل عرضاً كلام ممنوع وهو باطل ايضاً فان نفس الانسان تقبل الاعراض القائمة بها وكذلك النفس الفلكية عند من اثبتها يقوم بها إرادات وتصورات متجددة ولفظ العرض في اصطلاح النظار يراد به ماقام بغيره سواء كان صفة لازمة أو عارضة وهذا موجب تقسيم النصارى كما هو قول الفلاسفة فانهم قالوا ليس في الوجود شيء إلا وهو اما جوهر واما عرض لانه أي أمر نظرناه وجدناه اما قائماً بنفسه غير مفتقر في وجوده الى غيره وهو الجوهر • واما مفتقر في وجوده الى غيره لاقوام له بنفسه وهو العرض قالوا ولا يمكن ان يكون لهذين القسمين قسم ثالث وهذا الذي قالوه هو تقسيم ارسطو واتباعه وهو يسمى المبدأ الاول جوهراً وهذا تقسيم سائر النظار لكن اكثرهم لا يدخلون رب العالمين في مسمى الجوهر ومنهم من يدخله فيه وبعض النزاع في ذلك لفظي واذا كان الامر على ماقالوه فالضوء

وذلك يظهر بالوجه السادس وهو ان الناس لهم في اثبات الصفات القائمة بذات الله تعالى قولان فسلف المسلمين وائمتهم وجمهور الخلق من اهل الملل وغير اهل الملل يثبتون قيام الصفات بالله تبارك وتعالى وهل تسمى اعراضا على قولين والقول الثاني قول من ينفي الصفات مثل الملاحدة الجهمية ونحوهم من مبتدعة المسلمين ومن وافقهم من الفلاسفة وبعض اليهود والنصارى فهؤلاء لاتقوم به المعاني والصفات عندهم فلا يقولون تقوم به الاعراض ثم من هؤلاء من يسميه جوهرا كارسطو واتباعه ومنهم من لا يسميه جوهرا كمتأخري الفلاسفة ابن سينا وامثاله مع جمهور نظار المسلمين وغيرهم واما الجمهور القائلون بقيام المعاني به فبعضهم يسميها اعراضاً وان لم يسمه جوهرا وقد سماه بعضهم جوهرا وبعضهم ينفي ان يكون اعراضاً وبعضهم يسكت عن النفي والاثبات فلا يسميها اعراضاً ولا ينفي تسميتها بذلك او يستفصل القائل عن كونها اعراضا واما هؤلاء النصارى فقالوا هو جوهر ثلاثة اقانيم ووصفوه بالصفات الثبوتية وهي الحياة والنطق وقالوا الموجود اما جوهر واما عرض فلزمهم ان تكون صفات الله اعراضا عندهم ثم قالوا الجوهر اللطيف لاتقوم به الاعراض ونزهوا الرب ان تقوم به الاعراض مع قولهم انه جوهر فتناقضوا تناقضاً بيناً حيث جمعوا بين كلام الرسل واتباعهم وبين كلام المشركين المعطلين الفلاسفة فما تلقوه عن المسيح فهو حق وما ابتدعوه من قول من خالف الرسل فهو باطل فجمعوا في قولهم بين الحق والباطل وسلكوا مسلكا لايعرف عن غيرهم وايضاح هذا ان يقال في الوجه السابع ان هذا الذي ذكروه تناقض

عرض فليس في الموجودات إلا هذا أو هذا بل وموجب كلامهم انها قائمة بذات الله فكيف بذات غيره وان قالوا نعني بالاعراض الصفات العارضة أو القائمة بالاجسام كان هذا مناقضاً لقولهم الموجود اما جوهر واما عرض مع قولهم ان الرب جوهر ثلاثة اقانيم والاقنوم ذات وصفة ومع اقوالهم ان الرب جوهر فقولهم يقتضي ان الرب جوهر تقوم به الاعراض فكيف غيره ثم يقال اذا قدر انهم يدعون ثبوت جوهر لاتقوم به الاعراض فهذا اصطلاح لهم وافقوا فيه نفاة الصفات من الفلاسفة كارسطو واتباعه فانهم يقولون ان الرب جوهر لايتصف بشيء من الصفات الثبوتية لكن ليس هذا قول النصارى فتبين انهم في قولهم ان الرب جوهر وفي قولهم إن من الجواهر مالا تقوم به الصفات موافقون للمشركين الفلاسفة ارسطو واتباعه لا موافقين المسيح والحواريين وانهم أثبتوا الصفات لله موافقة المسيح والحواريين ثم جعلوه جوهرا ثم قالوا ان الجوهر اللطيف لاتقوم به الصفات وهذا قول الفلاسفة المشركين المعطلين وهذا تحقيق ماذكرناه عنهم من انهم ركبوا ديناً من دين المسيح والحواريين ومن دين الكفار المشركين ونظار المسلمين لهم في تسمية صفات الله القائمة به اعراضاً نزاع بينهم. بعضهم يسميها اعراضاً وبعضهم ينكر هذه التسمية مع اتفاق هاتين الطائفتين على قيام الصفات به وجمهور نظار المسلمين لايسمونه جوهرا وبعضهم يسميه جوهرا واما من انكر قيام الصفات به فذاك لايسمي الله جوهرا ولا جسما وهؤلاء النصارى متناقضون تناقضاً بينا ولهذا كان لهم طريقة لايوافقهم عليها أحد من طوائف العقلاء

الجوهر وان كان مفتقرا في وجوده الى غيره لاقوام له بنفسه فهو العرض
فيقال لكم الابن القديم الازلي الموجود من جوهر أبيه الذي هو مولود غير
مخلوق الذى تجسد ونزل هو جوهر قائم بنفسه أم هو عرض قائم
بغيره ؟ والوجود عندكم اما جوهر واما عرض، فان قلتم هو جوهر فقد
صرحتم باثبات جوهرين الاب جوهر والابن جوهر ويكون حينئذ
اقنوم الحياة جوهراً ثالثاً فهذا تصريح باثبات ثلاثة جواهر قائمة بانفسها
وحينئذ فيبطل قولهم انه اله واحد وانه احدى الذات ثلاثي الصفات
وانه واحد بالجوهر ثلاثة بالاقنوم اذ كنتم قد صرحتم على هذا التقدير
باثبات ثلاثة جواهر . وان قلتم بل الابن القديم الازلي الذى هو الكلمة
التي هى العلم والحكمة عرض قائم بجوهر الاب ليس هو جوهرا ثانياً
فقد صرحتم بان الرب جوهر تقوم به الاعراض وقد أنكرتم هذا
في كلامكم وقلتم هو جوهر لاتقوم به الاعراض وقلتم ان من
المخلوقات جواهر لاتقوم بها الاعراض فالخالق اولى وهذا تناقض
بين لاحيلة فيه لمن تدبر كلامهم أوله وآخره فان كلامهم هذا يوجب
انه جوهر واحد لايقوم به شيء من الاعراض وهم يقولون جوهر
واحد ثلاثة أقانيم وسواء سموها صفات أو خواص أو اعراضا أو قالوا
الاقنوم هو الذات والصفة فيقال لهم الرب مع الاقانيم ثلاثة جواهر أو
جوهر واحد له ثلاث صفات أو جوهر واحد لاصفة له ؟ فان قالوا
ثلاثة جواهر اثبتوا ثلاثة وبطل قولهم ان الرب جوهر واحد واله
واحد وصرحوا باثبات ثلاثة آلهة وان قالوا بل جوهر واحد له ثلاث
صفات فقد صرحوا ان هذا الجوهر تقوم به الصفات واذا قامت به

بين فانهم قالوا الموجود اما جوهر واما عرض فالقائم بذاته هو الجوهر والقائم بغيره هو العرض ثم قالوا انه موجود حي ناطق له حياة ونطق فيقال لهم حياته ونطقه اما جوهر واما عرض وليس جوهرا لان الجوهر ماقام بنفسه والحياة والنطق لايقومان بانفسهما بل بغيرهما فهما من الاعراض فتبين انه عندهم جوهر تقوم به الاعراض مع قولهم انه جوهر لا يقبل عرضا٠ وان قيل ارادوا بقولهم لايقبل عرضا ما كان حادثا قيل فهذا ينقض تقسيمهم الموجود الى جوهر وعرض فان المعنى القديم الذى يقوم به ليس جوهرا وليس حادثا فان كان عرضاً فقد قام به العرض وقبله وان لم يكن عرضاً بطل التقسيم فتبين من هذا انهم يقال لهم انتم قلتم انه شيء حي ناطق وقلتم هو ثلاثة اقانيم وقلتم المتحد بالمسيح اقنوم الكلمة وقلتم في الامانة نؤمن بالله واحد اب ضابط الكل وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور اله حق من إله حق من جوهر أبيه مولود غير مخلوق مساو للاب في الجوهر ثم قلتم ان الرب جوهر وقلتم ان الذى يشغل حيزا أو يقبل عرضاً هو الجوهر الكثيف فاما الجوهر اللطيف فلا يقبل عرضاً ولا يشغل حيزا مثل جوهر النفس وجوهر العقل وما يجري هذا المجرى من الجواهر اللطيفة فاذا كانت هذه الجواهر اللطيفة المخلوقة لاتقبل عرضاً ولا تشغل حيزا فيكون خالق الجواهر اللطائف والكثائف ومركب اللطائف بالكثائف يقبل عرضا ويشغل حيزاً كلا فصرحتم بانه جوهر لا يقبل عرضاً وقلتم ليس في الوجود شيء الاوهو اما جوهر واما عرض فان كان قائماً بنفسه غير محتاج في وجوده الى غيره فهو

كالعمل في السبت ومعلوم ان المقصود بالرسل تصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا فاذا كان عامة النصارى لا يميزون ما أمرهم به مما لم يأمرهم به ولا مانهاهم عنه مما لم ينههم عنه مع اعترافهم بانه أقر كثيراً من شريعة التوراة بل اكثرها واحل بعضها فنسخه ورفعه وهم لايعرفون هذا من هذا لم يكونوا عارفين بما جاء به المسيح ولا يعرفون ما أمرهم الله على لسان موسى وسائر الانبياء فانهم لا يجوز لهم العمل بكل مافي التوراة بل قد نسخ المسيح بعض ذلك باتفاقهم واتفاق المسلمين على ذلك ولا يجوز لهم تعطيل جميع شريعة التوراة بل يجب عليهم العمل بما لم ينسخه المسيح وعامتهم لايعرفون مانسخه مما لم ينسخه فلا يمكنهم العمل بالتوراة والانتفاع بها في الشرع حتى يعرفوا المنسوخ منها من غير المنسوخ وعامتهم لايعرفون ذلك فلم يكونوا حينئذ على شريعة منزلة من الله لا من جهة المسيح ولا من جهة موسى فلم يعلموها بل كان ذلك مجهولا عند عامتهم وجمهورهم أو جميعهم فكانوا محتاجين الى ان يعرفوا ما شرعه الله مما لم يشرعه فارسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم بشرع أمر فيه بمحاسن مافي الكتابين وعوض عما نسخه بما هو خير منه

(فصل) ثم قالوا انا نعجب من هؤلاء القوم الذين مع ادبهم وما يأخذون به انفسهم من الفضل كيف لم يعلموا ان الشرائع شريعتان شريعة عدل وشريعة فضل لانه لما كان البارى عدلا وجواداً وجب ان يظهر عدله على خلقه فارسل موسى الى بني اسرائيل فوضع شريعة العدل وأمرهم بفعلها الى ان استقرت في نفوسهم ولما كان

الصفات وقد سموه جوهراً وقالوا كل موجود اما جوهر واما عرض لزمهم قطعاً ان تكون صفاته اعراضاً فبطل قولهم انه جوهر لاتقوم به الاعراض. وان قالوا جوهر واحد لاتقوم به الصفات بحال بطل قولهم له حياة ونطق واذا نفوا الصفات أبطلوا التثليث والاتحاد وبطلت الامانة مع مخالفتهم لكتب الانبياء فانها مصرحة باثبات الصفات ومع مخالفتهم لصريح العقل والمقصود انهم يتناقضون تناقضاً بيناً لانهم اثبتوا جوهراً لاتقوم به الاعراض مع قولهم الموجود اما جوهر واما عرض ومع قولهم انه جوهر ثلاثة أقانيم فاذا لم تقم به الاعراض لم يكن له صفات فان الصفة قائمة بغيرها ليست جوهراً بل هي اذا كان الموجود اما جوهر واما عرض من قسم الاعراض لامن قسم الجواهر فكان هذا الكلام نافياً لقيام الصفات به مطلقاً ثم قالوا بالاقانيم التي توجب اما اثبات صفات واما اثبات جواهر ثلاثة قائمة بنفسها مع انها اذا قامت بنفسها لزم اتصافها بالصفات ولاريب ان القوم يجمعون في قولهم بين النقيضين بين اثبات الصفات ونفيها وبين اثبات ثلاثة جواهر ثلاثة آلهة وبين قولهم الاله واحد وسبب ذلك انهم ركبوا لهم اعتقاداً بعضه من نصوص الانبياء المحكمة كقولهم الاله واحد وبعضه من متشابه كلامهم كلفظ الابن وروح القدس وبعضه من كلام الفلاسفة المشركين المعطلين كقولهم جوهر لاتقوم به الصفات ومما يوضح ذلك انك تجد عامة علماء النصارى فضلا عن عامتهم لايعرفون ما نسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقره مع اتفاقهم على ان المسيح لم ينسخها كلها ولم يقرها كلها بل أخبرهم انه انما جاء ليتمها لا ليبطلها وقد أحل بعض ماحرم فيها

الى الاحسان فهذا فيه غضاضة بشريعة المرسلين لكن قد يقال ان ذكر العدل في التوراة اكثر وذكر الفضل في الانجيل اكثر والقرآن يجمع بينهما على غاية الكمال والقرآن بين ان السعداء أهل الجنة فهم أولياء الله نوعان ابرار مقتصدون ومقربون سابقون فالدرجة الاولى تحصل بالعدل وهي اداء الواجبات وترك المحرمات والثانية لا تحصل الا بالفضل وهو اداء الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات فالشريعة الكاملة تجمع العدل والفضل كقوله تعالى (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) فهذا عدل واجب من خرج عنه استحق العقوبة في الدنيا والآخرة ثم قال (وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) فهذا فضل مستحب مندوب اليه من فعله أثابه الله ورفع درجته ومن تركه لم يعاقبه وقال تعالى (ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله) فهذا عدل ثم قال إلا ان يصدقوا فهذا فضل وقال تعالى والجروح قصاص فهذا عدل ثم قال فمن تصدق به فهو كفارة له فهذا فضل وقال تعالى (وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم فهذا عدل ثم قال الا أن يعفون او يعفو الذى بيده عقدة النكاح وان تعفوا أقرب للتقوى) فهذا فضل وقال تعالى (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به فهذا عدل) ثم قال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فهذا فضل وقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها فهذا عدل ثم قال فمن عفى وأصلح فاجره على الله فهذا فضل وهو سبحانه دائماً يحرم الظلم ويوجب العدل ويندب الى الفضل كما في آخر سورة البقرة لما ذكر حكم الاموال والناس فيها اما محسن واما عادل واما ظالم

الكمال الذي هو الفضل لا يمكن ان يضعه الا أكمل الكمال وجب ان يكون هو تقدست اسماؤه وجلت آلاؤه الذي يضعه لانه ليس شيء أكمل منه ولانه جواد وجب ان يجود باجل الموجودات وليس في الموجودات أكمل من كلمته ولذلك وجب ان يجود بكلمته فلهذا وجب ان يتحد بذات محسوسة يظهر منها قدرته وجوده ولما لم يكن في المخلوقات اجل من الانسان اتحد بالطبيعة البشرية من السيدة الطاهرة من مريم البتول المصطفاة على نساء العالمين وبعد هذا الكمال مابقي شيء يوضع لان جميع ماتقدمه منقصة وما يأتي بعد الكمال غير محتاج اليه لانه ليس شيء يأتي بعد الكمال فيكون فاضلا بل دونا أو اخذ منه والاخذ منه فهو فضل لايحتاج اليه وفي هذا القول مقنع والسلام على من اتبع الهدى وهذا مما عرفته من ان القوم الذين رأيتهم وخاطبتهم في محمد عليه السلام وما يحتجون به عن أنفسهم فان يكن ماذكروه صحيحاً فلله الحمد وان يكن خلاف ذلك فمولانا يكتب ذلك بعد ان جعلوني سفيراً والحمد لله رب العالمين * والجواب عن هذا من وجوه أحدها ان يقال بل الشرائع ثلاثة شريعة عدل فقط وشريعة فضل فقط وشريعة تجمع العدل والفضل فتوجب العدل وتندب الى الفضل وهذه أكمل الشرائع الثلاث وهي شريعة القرآن الذي يجمع فيه بين العدل والفضل مع اننا لاننكر ان يكون موسى عليه السلام أوجب العدل وندب الى الفضل وكذلك المسيح ايضاً أوجب العدل وندب الى الفضل وأما من يقول ان المسيح اوجب الفضل وحرم على كل مظلوم ان يقتص من ظالمه أو ان موسى لم يندب

للبيت * ودعاءه لاهل مكة ووكد الامر بملة ابراهيم ثم ذكر ما يتعلق بالبيت من اتخاذه قبلة ومن تعظيم شعائر الله التى عنده كالصفا والمروة ثم ذكر التوحيد والحلال والحرام فى المطاعم للناس عموماً ثم للذين آمنوا خصوصاً ثم ذكر مايتعلق بالقتل من القصاص وبالموت من الوصية ثم ذكر شرائع الدين فذكر صيام شهر رمضان وما يكون فيه من الاعتكاف ثم ذكر ما يتصل بشهر الصيام وهو أشهر الحج فذكر الحج وذكر حكم القتال عموماً وخصوصاً في البلد الحرام ولما ذكر الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة ذكر بعد ذلك الحلال والحرام في الفروج فذكر أحكام وطىء النساء والحيض والايلاء منهن والطلاق لهن واختلاعهن وذكر حكم الاولاد وارضاعهم واعتداد النساء وخطبتهن في العدة وطلاقهن قبل الدخول وبعده ثم ذكر الصلوات والمحافظة عليهن ثم قرر المعاد وما يدل عليه من احياء الموتى فى الدنيا مرة بعد مرة فتضمنت هذه السورة الواحدة جميع مايحتاج الناس اليه في الدين أصوله وفروعه وافتتحها بالايمان بالكتب والرسل ووسطها بالايمان بالكتب والرسل وختمها بالايمان بالكتب والرسل فان الايمان بالكتب والرسل هو عمود الايمان وقاعدته وجماعه وأمر فيها الخلق عموماً وخصوصاً بعد عموم وذكر فيها الايمان بالخالق وآيات ربوبيته والايمان بالمعاد والدار الآخرة والاعمال الصالحة التي أمر بها وان من كان من اتباع الرسل من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين قائماً بهذه الاصول وهو الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح فهو السعيد في الآخرة الذي له أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

فالمحسن المتصدق والعادل المعاوض كالبايع. والظالم كالمرابي فبدا بالاحسان والصدقة فذكر ذلك ورغب فيه فقال(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لايتبعون ما انفقوا منى ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم) الآيات ثم ذكر تحريم الربا فقال الذين يأ كلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم لما احل البيع ذكر المداينات وذكر حكم البيع الحال والمؤجل وحفظ ذلك بالكتاب والشهود أو الرهن وختم السورة بأصول الايمان من الايمان بالكتب والرسل بعد ان افتتحها بذلك وذكر أصناف الناس وهم ثلاثة اما مؤمن واما كافر واما منافق فذكر نعت المؤمنين ثم ذكر نعت الكافرين ثم ذكر نعت المنافقين ثم مهد أصول الايمان فامر بعبادة الله تعالى وذكر آياته وآلائه ثم قرر نبوة رسوله ثم ذكر اليوم الآخر والوعد والوعيد ثم ذكر بدء العالم وخلق السموات والارض ثم خلق آدم واسجاد الملائكة له وخروجه من الجنة وهبوطه الى الارض ثم بعد ان عم بالدعوة جميع الخلق خص أهل الكتاب فخاطبهم خاطب اليهود أولا بني اسرائيل ثم النصارى ثم خاطب المؤمنين فقرر لهم قواعد دينه فذكر أصل ملة ابراهيم وبناءه

هو الترتيب المناسب يدعوا الاقرب اليه فالاقرب ثم يرسل رسله الى الابعد وهو صلى الله عليه وسلم كان اولا مشغولا بجهاد المشركين واليهود فاما صالح المشركين صالح الحديبية وحارب يهود خيبر عقيب ذلك ففتحها الله عليه وقسمها بين الذين بايعوه تحت الشجرة الذين شهدوا صلح الحديبية فتفرغ لمن بعد عنه فارسل رسله الى جميع من حواليه من الامم ارسل الى ملوك النصارى بمصر والشام والحبشة فانه كان قدمات ملك الحبشة النجاشي الذى اسلم واخبر الناس بموته يوم مات وخرج بأصحابه الى ظاهر المدينة فصلى عليه بهم صلاة الجنازه كما كان يصلي على سائر موتى المسلمين وتولى بعد النجاشي آخر فارسل اليـه كما ذكره مسلم فى صحيحه وغيره وارسل الى ملوك اليمن من المشركين واليهود وإلى ملوك العرب وكان فى العرب خلق كثير يهود وخلق كثير نصارى وخلق كثير مجوس فدعى جميع الخلق من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين عربهم وعجمهم • الوجه الثاني ان يقال لهم • الناس لهم فى امر الله ونهيه قولان مشهوران احدهما انه يرجع الى محض المشيئة لا يعتبر فيه ان يكون المأمور به مصلحة للخلق وان اتفق ان يكون مصلحة وان كان الواقع كونه مصلحة وهذا قول من يقول لا يفعل ولا يحكم لسبب ولا لحكمة ولا لغرض • والقول الثانى وهو قول جمهور الناس ان الله انما ارسل الرسل ليأمروا الناس بما يصلحهم وينفعهم اذا فعلوه كما قال تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وقال تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال ربي لمَ حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً

بخلاف من بدل منهم الكتاب أو كذب بكتاب فان هؤلاء من الكفار فمن كان متبعاً لشرع التوراة قبل مبعث المسيح غير مبدل له فهو من السعداء وكذلك من كان متبعاً لشرع الانجيل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم غير مبدل له فهو من السعداء ومن بدل شرع التوراة أو كذب بالمسيح فهو كافر كاليهود بعد مبعث المسيح عليه السلام وكذلك من بدل شرع الانجيل اوكذب محمدا صلي الله عليه وسلم فهو كافر كالنصارى بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم • فقدماء اليهود والنصارى الذين اتبعوا الدين قبل النسخ والتبديل سعداء وأما اليهود والنصارى الذين تمسكوا بشرع مبدل منسوخ وتركوا اتباع الكتاب والرسول الذي أرسل اليهم والى غيرهم وعدلوا عن الشرع المنزل المحكم فهم كفار • وردّ دعاوي اليهود والنصارى الكاذبة مثل قول هؤلاء لن يدخل الجنة الا من كان هوداً وقول هؤلاء لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فقال بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون • وبين من كفر اليهود والنصارى ماعرف به حالهم لكن أكثر ما ذكر في هذه السورة اليهود كما ان اكثر ما ذكر في سورة آل العمران النصارى فان هذه نزلت اول مقدمه المدينة وكان اليهود جيرانه وآل عمران تأخر نزولها الى آخر الامر لما قدم عليه نصارى وفد نجران وفيها فرض الحج لما طهر الله مكة من المشركين فكان اكثر دعائه فى اول الامر للمشركين لانهم جيرانه بمكة ثم لليهود لانهم جيرانه بالمدينة ثم للنصارى لانهم كانوا ابعد عنه من ناحية الشام واليمن والمجوس ايضاً لانهم كانوا ابعد عنه بأرض العراق وخراسان وهذا

الطيبات عليهم حرمت عليهم عقوبة لهم وفي شريعة القرآن من قبول الدية في الدماء مالم يشرع في التوراة وفيها من وضع الآصار والاغلال التي في التوراة مايظهر به ان نعمة الله على اهل القرآن اكمل واما الانجيل فليس فيه شريعة مستقلة ولا فيه الكلام على التوحيد وخلق العالم وقصص الانبياء واممهم بل احالهم على التوراة فى اكثر الامر ولكن احل لهم المسيح بعض ماحرم عليهم وامرهم بالاحسان والعفو عن المظالم واحتمال الاذى والزهد في الدنيا وضرب الامثال لذلك فعامة ما امتاز به الانجيل عن التوراة بمكارم الاخلاق المستحسنة والزهد المستحب وتحليل بعض المحرمات وهذا كله في القرآن وهو في القرآن اكمل فليس فى التوراة والانجيل والنبوات ماهو من العلوم النافعة والاعمال الصالحة الا وهو في القرآن أو ماهو افضل منه وفي القرآن من العلوم النافعة والاعمال الصالحة من الهدى ودين الحق ماليس في الكتابين لكن النصارى لم يتبعوا لا التوراة ولا الانجيل بل احدثوا شريعة لم يبعث بها نبي من الانبياء كما وضعوا لقسطنطين الامانة ووضعوا له أربعين كتاباً ويسمونها القوانين فيها بعض ماجاءت به الانبياء وفيها شيء كثير مخالف لشرع الانبياء وصاروا الى كثير من دين المشركين الذين عبدوا مع الله الهة أخرى وكذبوا رسله فصار في دينهم من الشرك وتغير دين الرسل ماغيروا به شريعة الانجيل ولهذا التبست عند عامتهم شريعة الانجيل بغيرها فلا يعرفون مانسخه المسيح من شريعة التوراة مما اقره ولا ماشرعه مما احدث بعده فالمسيح لم يأمرهم بنصب الصور وتعظيمها ولا دعا من صورت تلك التماثيل على صورته ولا أمر بهذا

قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) فان قيل بالاول لم يسئل عن حكمة ارسال الرسل وان قيل بالثاني ففي ارسال محمد صلى عليه وسلم من الحكم والمصالح اعظم مما كان في ارسال موسى والمسيح والذي حصل به من صلاح العباد في المعاش والمعاد اضعاف ما حصل بارسال موسى والمسيح من جهة الامر والخلق فان في شريعته من الهدى ودين الحق اكمل مما في الشريعتين المتقدمتين ويسر الله من اتباع الخلق له واهتدائهم به مالم يتيسر مثله لمن قبله فحصل فضيلة شريعته من جهة فضلها في نفسها ومن جهة كثرة من قبلها وكمال قبولهم لها بخلاف شريعة من قبله فان موسى صلى الله عليه وسلم بعث الى بني اسرائيل وكان فيهم من الرد والعناد في حياة موسى وبعد موته ما هو معروف وقد ذكر النصارى في كتابهم هذا من ذلك ما تقدم ولم تكن شريعة التوراة في الكمال مثل شريعة القرآن فان القرآن فيه من ذكر المعاد واقامة الحجج عليه وتفصيله ووصف الجنة والنار مالم يذكر مثله في التوراة وفيه من ذكر قصة هود وصالح وشعيب وغيرهم من الانبياء مالم يذكر في التوراة وفيه من ذكر اسماء الله الحسنى وصفاته ووصف ملائكته واصنافهم وخلق الانس والجن مالم يفصل مثله في التوراة وفيه من تقرير التوحيد بانواع الادلة مالم يذكر مثله في التوراة وفيه من ذكر اديان اهل الارض مالم يذكر مثله في التوراة وفيه من مناظرة المخالفين للرسل واقامة البراهين على اصول الدين مالم يذكر مثله في التوراة مع انه لم ينزل كتاب من السماء اهدى من القرآن والتوراة وفي شريعة القرآن تحليل الطيبات وتحريم الخبائث وشريعة التوراة فيها تحريم كثير من

ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) وقد قال تعالى (كان الناس أمة واحدة اى فاختلفوا . فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) والوقت الذى بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن قد بقى احد مظهراً لما بعث الله به الرسل قبله فبعثه على حين فترة من الرسل وطموس من السبل أحوج ما كان الناس الى رسول كما فى صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب وكان الناس حين مبعث محمد صلى الله عليه وسلم اما اميين لا كتاب لهم يشركون بالرحمن ويعبدون الاوثان واما اهل كتاب قد بدلوا معانيه وأحكامه وحرفوا حلاله وحرامه ولبسوا حقه بباطله كما هو الموجود فلو أراد الرجل ان يميز له اهل الكتاب ما جاءت به الانبياء مما هم عليه مما احدثوه بعدهم لم يعرف جمهورهم ذلك بل قد صار الجميع عندهم ديناً واحداً فبعث الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بالكتاب الذى انزله عليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فميز به الحق من الباطل والهدى من الضلال والغي من الرشاد قال تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك

أحد من الانبياء لا يوجد قط عن نبي انه أمر بدعاء الملائكة والاستشفاع بهم ولا بدعاء الموتى من الانبياء والصالحين والاستشفاع بهم فضلا عن دعاء تماثيلهم والاستشفاع بها فان هذا من اصول الشرك الذي نهت عنه الرسل وهذا كان اصل الشرك فى بني آدم من عهد نوح عليه السلام قال الله تعالى عن قوم نوح (وقالوا لاتذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيراً) قال كثير من العلماء منهم ابن عباس وغيره هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا علي قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم وقد ذكر ذلك المسيح وعلماء النصارى والمسيح عليه السلام لم يأمرهم بعبادته ولا قال انه الله ولا أمرهم بما ابتدعوه من التثليث والاتحاد والمسيح لم يأمرهم باستحلال كل ماحرمه الله فى التوراة من الخبائث كالخنزير وغيره فاستحلوا الخبائث المحرمة وغيروا شريعة التوراة والانجيل والمسيح لم يأمرهم ان يصلوا الى المشرق ولم يأمرهم ان يعظموا الصليب ولم يأمرهم بترك الختان ولا بالرهبانية ولا بسائر ما ابتدعوه بعده ولهذا لما ظهر فساد دين النصارى صار بعض الناس كابي عبد الله الرازي يقول لم يظهر الانتفاع بدين المسيح الا فى طائفة قليلة كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فان الدين الذى كان عليه جمهور النصارى ليس هو دين المسيح ويبين هذا بالوجه الثالث وهو ان يقال هب ان شريعة الكتابين كانت كافية فانما ذلك اذا كانت محفوظة معمولا بها ولم يكن الامر كذلك بل كانت قد درس كثير من معالمها وقد اختلف اهل الكتاب في المسيح وغيره اختلافا عظيما كما قال تعالى (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا

من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا مادامو افيها فاذهب أنت وربك فقاتلا أنا ههنا قاعدون) وأما أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال له قائلهم يوم بدر والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل قال لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون لكن نقاتل أمامك ووراءك وعن يمينك وعن يسارك والذى بعثك بالحق نبياً لو استعرضت بنا هذا البحر لخضته لخضناه معك ولو سرت بنا الى برك الغماد لسرنا معك وكان الكلام قريباً من بدر والبحر من جهة الغرب وبرك الغماد مكان من يمانى مكة بينه وبين مكة عدة ليال والكفار كانوا اذ ذاك بمكة واصحابه من ناحية المدينة شامي مكة فمكة جنوبهم والبحر غربهم يقول لوطلبت ان ندخل بلد العدو ونذهب الى تلك الناحية لفعلناه قالوا فلما نصر الله بني اسرائيل واظهرهم ظهرت فيهم الاحداث بعدذلك وتجبروا وقست قلوبهم وصاروا شبهاً بآل فرعون فبعث الله المسيح عليه السلام باللين والصفح والعفو عن المسيء واحتمال اذاه ليلين أخلاقهم ويزيل ما كانوا فيه من الجبرية والقسوة فافرط هؤلاء فى اللين حتى تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وتركوا الحكم بين الناس بالعدل واقامة الحدود وترهب عبادهم منفردين مع ان فى ملوك النصارى من الجبرية والقسوة والحكم بغير ما انزل الله وسفك الدماء بغير حق مما يأمرهم به علماؤهم وعبادهم ومما لم يأمروهم به ما شاركوا فيه اليهود فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالشريعة الكاملة العادلة وجعل امته عدلا خياراً لا ينحرفون الى

لكم من الله شيئاً ان أراد ان يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الارض جميعاً ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير) الى قوله (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير) الوجه الرابع ان شريعة التوراة يغلب عليها الشدة وشريعة الانجيل يغلب عليها اللين وشريعة القرآن معتدلة جامعة بين هذا وهذا كما قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وقال في وصف أمته (محمد رسول والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الخ وقال أيضاً فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين فوصفهم بالرحمة للمؤمنين والذلة لهم والشدة على الكفار والعزة عليهم وكذلك كان صفة محمد صلى الله عليه وسلم نبيهم أكمل النبيين وأفضل الرسل بحيث قال أنا محمد وأنا أحمد وانا نبي الرحمة وأنا نبي الملحمة وأنا نبي التوبة وأنا الضحوك القتال فوصف نفسه بانه نبي الرحمة والتوبة وانه نبي الملحمة وانه الضحوك القتال وهذا أكمل ممن نعت بالشدة والبأس غالباً أو باللين غالباً وقد قيل ان سبب ذلك ان بني اسرائيل كانت نفوسهم قد ذلت بقهر فرعون لهم واستعباد فرعون وقومه لهم فشرعت لهم الشدة لتقوى أنفسهم ويزول عنهم ذلك الذل ولهذا لما أمروا بالجهاد نكلوا عنه وقال لهم موسى (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وأنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان

والمنافقين أعظم مما في التوراة وهذا هو غاية الكمال ولهذا قال بعضهم بعث موسى بالجلال وبعث عيسى بالجمال وبعث محمد بالكمال • الوجه الخامس ان نعم الله على عباده تتضمن نفعهم والاحسان اليهم وذلك نوعان أحدهما ان يدفع بذلك مضرتهم ويزيل حاجتهم وفاقتهم مثل رزقهم الذى لولا هو لماتوا جوعا ونصرهم الذى لولا هو لاهلكهم عدوهم ومثل هداهم الذى لولا هو لضلوا ضلالاً يضرهم فى آخرتهم وهذا النوع من النعمة لابد لهم منه وان فقدوه حصل لهم ضرر إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما فيهما ولهذا كان في سورة النحل وهى سورة النعم فى اولها أصول النعم وفي أثنائها كمال النعم والنوع الثانى النعم التي يحصل بها من كمال النعم وعلو الدرجة مالا يحصل بدونها كما انهم في الآخرة نوعان ابرار أصحاب يمين ومقربون سابقون ومن خرج عن هذين كان من أصحاب الجحيم • واذا كانت النعمة نوعين فالخلق كانوا محتاجين الى ارسال محمد صلى الله عليه وسلم من هذين الوجهين وحصل بارساله هذان النوعان من النعمة فان الناس بدونه كانوا جهالا ضالين اميهم وأهل الكتاب منهم ولم يكن قد بقى من أهل الكتاب اتباع المسيح من هو قائم بالدين الذى يوجب السعادة عند الله في الآخرة بل كانوا قد بدلوا وغيروا وأيضاً فلو قدر انهم لم يبدلوا شيئاً ففى ارساله من كمال النعم وفواضلها وعلو الدرجات في السعادة مالم يكن حاصلا بالكتاب الاول فكان ارساله اعظم نعمة انعم الله بها على أهل الارض من نوعى النعيم • ومن استقراء أحوال العالم تبين له ان الله لم ينعم على أهل الارض نعمة اعظم من انعامه بارساله صلى الله عليه

هذا الطرف ولا الى هذا الطرف بل يشتدون على إعداء الله ويلينون لاولياء الله ويستعملون العفو والصفح فيما كان انفوسهم ويستعملون الانتصار والعقوبة فيما كان حقاً لله وهذا كان خلق نبيهم كما في الصحيحين عن عائشة قالت ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادماً له قط ولا امراة له قط ولا دابة ولا شيئاً قط الا ان يجاهد فى سبيل الله الله ولا نيل منــه شيء قط فانتقم لنفسه الا ان تنتهك محارم الله فاذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله وما عرض عليــه امران احدهما ايسر من الآخر الا اخذ بأيسرهما الا ان يكون مأثما فان كان مأثماً كان ابعد الناس منه • وفى الصحيحين عن انس انه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعــله لم لا فعلتــه ولا لم صنعت ولا الا صنعت وكان بعض أهله اذا عتبوني على شيء يقول دعوه فلو قدر شيء لكان هذا مع قوله في الحديث الصحيح لما سرقت امرأة كانت من أشرف قريش من بنى مخزوم فامر بقطع يدها فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا من يجتري عليه الا اسامة بن زيد فكلموه فكلمه فيها فقال يا أسامة اتشفع في حد من حدود الله انمــا هلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذى نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها • ففى شريعته صلى الله عليه وسلم من اللين والعفو والصفح ومكارم الاخلاق أعظم ممــا في الانجيل وفيها من الشــدة والجهاد واقامة الحدود على الكفار

الطوائف غيرهم الى خير مما كانوا عليه وهذه شهادة من جميع أهل الارض بانه دعا اهل الارض الى خير مما كانوا عليه فان شهادة جميع الطوائف مقبولة على غيرهم اذ كانوا غير متهمين عليهم فانهم معادون لمحمد وأمته ومعادون لسائر الطوائف واماشهادتهم لانفسهم فغير مقبولة فانهم خصومه وشهادة الخصم على خصمه غير مقبولة وقد اعترف الفلاسفة بانه لم يقرع العالم ناموس افضل من ناموسه واعترفوا بانه افضل من ناموس موسى والمسيح عليهم الصلاة والسلام بل لهم من الطعن في نواميس غيره ماليس هذا موضع ذكره بخلاف ناموس محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يطعن فيه احد منهم الا من كان خارجا عن قانون الفلسفة التي توجب عندهم العدل والكلام بعلم فاما من التزم منهم الكلام بعلم وعدل فهم متفقون على ان ناموس محمد صلى الله عليه وسلم أفضل ناموس طرق العالم فكيف يتعجب من مثل هذا الناموس • الوجه السابع ان يقال لاهل الكتاب خصوصاً فيقال لليهود انتم اذل الامم فلو قدر ان ما انتم عليه دين الله الذي لم يبدل فهو مغلوب مقهور في جميع الارض فهل تعجبون من أن يبعث الله رسولا يهدي الى الحق والى طريق مستقيم فيبعثه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله حتي يصير دين الله الذى بعث به رسله وانزل به كتبه منصورا ظاهراً بالحجة والبيان والسيف والسنان ويقال للنصارى انتم لم تخلصوا دين الله الذي بعث به رسله من دين المشركين والمعطلين بل اخذتم من أصول المشركين والمعطلين من الفلاسفة وغيرهم ما ادخلتموه في دينكم وليس لكم على أكثر الكفار لاحجة علمية ولا يد قهرية بل

وسلم وان الذين ردوا رسالتـه هم ممن قال الله فيهم (الم تر الى الذين بدلوا نعمةالله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار)ولهـذا وصف بالشكر من قبـل هـذه النعمة فقال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلآء منّ الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين) وقال تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) الوجه السادس ان يقال قولهم انا نعجب من هؤلآء القوم الى آخر الفصل قول جاهل ظالم يستحق ان يقال له بل العجب من هذا العجب هو الواجب بل هو الذى لاينقضي منه العجب وان كل عاقل ليعجب ممن عرف دين محمد صلى الله عليه وسلم وقصده الحق ثم اتبع غيره ويعلم انه لايفعل ذلك الا مفرط في الجهل والضلال أو مفرط فى الظلم واتباع الهوى وذلك ان أهل الارض نوعان أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وغير أهل الكتاب كالمشركين من العرب والهند والترك وغيرهم وكالمجوس من الفرس وغيرهم وكالصابئة من المتفلسفة وغيرهم واهل الكتاب يسلمون لنا ان من سوى أهل الكتاب انتفع بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم منفعة ظاهرة وانه دعي جميع طوائف المشركين والمجوس والصابئين الى خير مما كانوا عليه بل كانوا من أحوج الناس الى رسالته وأما اهل الكتاب فاليهود يسلمون لنا حاجة النصارى اليه وانه دعاهم الى خير مما كانوا عليه والنصارى تسلم لنا حاجة اليهود اليه وانه دعاهم الى خير مما كانوا عليـه فما من طائفة من طوائف اهل الارض الا وهم مقرون بان محمداً صلى الله عليـه وسلم دعا سائر

مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً واضل عن سواء السبيل) وقوله وعبد الطاغوت معطوف على قوله لعنه الله أى من لعنه الله وغضب عليه وعبد هو الطاغوت ليس داخلا فى خبر جعل حتى يلزم اشكال كما ظنه بعض الناس • واهل الكتاب معترفون بان اليهود عبدوا الاصنام مرات وقتلوا الانبياء وقال تعالى (وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا إن احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) وهم معترفون بان بيت المقدس خرب مرتين فالخراب الاول لما جاء بخت نصر وسباهم الى بابل وبقى خراباً سبعين سنة والخراب الثانى بعد المسيح بنحو سبعين سنة وقد قيل هذا تأويل قوله (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) فبعد الخراب الثانى تفرقوا في الارض ولم يبق لهم ملك وبين الخرابين كانوا تحت قهر الملوك الكفار وبعث المسيح عليه الصلاة والسلام وهم كذلك ويقال للنصارى انتم مازلتم مقهورين مغلوبين مبددين فى الارض حتى ظهر قسطنطين واقام دين النصرانية بالسيف وقتل من خالفه من المشركين واليهود لكن أظهر ديناً مبدلا مغيرا ليس هو دين المسيح

للكفار فى قلوبكم من الرعب والخوف والتعظيم ما انتم به من اضعف الامم حجة واضيقها محجة وابعدها عن العلم والبيان واعجزها عن اقامة الحجة والبرهان تارة تخافون من الكفار الفلاسفة وغيرهم من المشركين والمعطلين فاما ان توافقوهم على اقوالهم واما ان تخضعوا لهم متواضعين وتارة تخافون من سيوف المشركين فاما ان تتركوا بعض دينكم لاجلهم واما ان تذلوا لهم خاضعين ففيكم من ضعف سلطان الحجة وضعف سلطان النصرة ما يظهر به حاجتكم الى قيام الهدى ودين الحق الذي بعث الله رسله وانزل به كتبه فالعجب منكم كيف تعدلون عما فيه سعادتكم فى الدنيا والآخرة الى مافيه شقاؤكم في الدنيا والآخرة هذا هو العجب ليس العجب ممن آمن بما فيه سعادة الدنيا والآخرة وفي خلافه شقاوة الدنيا والآخرة ومثل هذا لايرد على المسلمين فانه لم يزل ولا يزال فيهم طائفة قائمة بالهدى ودين الحق ظاهرة بالحجة والبيان واليد واللسان الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين كما ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاتزال طائفة من أمتي قائمة بامر الله لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة وفى لفظ لاتزال طائفة من أمتي ظاهرة حتى يأتي الله بامره • الوجه الثامن ان يقال لاهل الكتاب لليهود انتم لما كنتم متبعين موسى عليه السلام كنتم على الهدى ودين الحق فكنتم منصورين ثم كثرت فيكم الاحداث التى تعرفونها كما قال تعالى لكم (قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك

انّ اللفظ لايدل على ذلك بل يتأولون كتب الله بمجرد هوى انفسهم وتارة يقولون ان الواحد منهم اذا اطاع الله بما يزعمون انه طاعة صار مثل واحد من الانبياء وافضل منه ووجب طاعته كما تجب طاعة الانبياء ويسوغون لمثل هؤلآء ان يغيروا شرائع الانبياء ويضعوا ديناً ابتدعوه ومحمد صلى الله عليه وسلم وامته اقاموا توحيد الله الذي كان عليه ابراهيم وموسى وسائر الرسل وآمنوا بكل كتاب انزله الله وكل رسول بعثه الله واقاموا دين الرحمن اقامة لم يتمها احد من الأمم فعامة اهل الارض مع محمد اما مؤمن به باطناً وظاهراً وهم اولياء الله المتقون وحزبه المفلحون وجنده الغالبون واما مسلمون له في الظاهر تقية وخوفا من امته وهم المنافقون واما مسالمون له بالعهد والذمة والهدنة وهم اهل الذمة والهدنة في جميع الارض واما خائفون من امته وحيث كان الواحد والطائفة من امته متمسكا بدينه كان نوره ظاهراً وبرهانه قاهراً معظماً منصوراً يعرف فضله على كل من سواه وهذا امر يعرفه الناس في ارض الكفار من المشركين واهل الكتاب لما خص الله به محمدا وامته من الهدى ودين الحق وقد اظهروا دين الرب في مشارق الارض ومغاربها بالقول والعمل فهل يقول عاقل ممن عنده علم وعدل انه لافائدة في ارسال محمد وانه يستغنى بما عند اهل الكتاب عن رسالته • الوجه التاسع ان يقال هم معترفون بانتفاع المشركين به غاية الانتفاع فانه اقام توحيد الله ودينه فيهم وانه عظم المسيح ورد على اليهود قولهم فيه واهانهم وحينئذ فهذا من اعظم الفوائد واجل المقاصد واعظم نعم الله على عباده ثم هو مع ذلك قال ان الله ارسله وامره بذلك فان

عليه السلام ومع هذا فكانت أرض العراق وفارس كفارا من المجوس وغيرهم مجوساً ومشركين وكانوا في بعض الازمنة يقهرون النصارى على بلادهم واما أرض المشرق والمغرب ففيهما من انواع المشركين أمم وكان الشرك والكفر ظاهراً فى أرض اليمن والحجاز والشام والعراق فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اظهر به توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له ظهوراً لم يعرف في أمة من الامم ولم يحصل مثله لنبي من الانبياء واظهر به من تصديق الكتب والرسل والتوراة والانجيل والزبور وموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من الرسل مالم يكن ظاهرا لا عند أهل الكتاب ولا غيرهم فاهل الكتاب وان كانوا خيراً من غيرهم فلم يكونوا قائمين بما يجب من الايمان بالله ورسله ولا باليوم الآخر ولا شرائع دينه ولا كانوا قاهرين لاكثر الكفار بل ولا كانوا منصورين عليهم ولهذا قال تعالى (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب) اما اليهود ففيهم من التنقص بالانبياء وسبهم وذكر عيوب نزههم الله منها ماهو معروف حتى ان منهم من يقول ان سليمان كان ساحراً وداود كان منجماً لم يكن نبياً الى امثال ذلك مما يطول وصفه ففيهم من الكفر بالانبياء من جنس ما كان فى سلفهم الخبيث • واما النصارى فمع غلوهم في المسيح واتباعه يستخفون بغيره فتارة يجعلون الحواريين مثل ابراهيم وموسى او افضل منهم وتارة يقولون كما قال اليهود ان سليمان لم يكن نبياً بل سقط من النبوة وتارة يجعلون ماخاطب الله به داود وغيره من الانبياء انما اريد به المسيح مع

من اكفر الناس المستحقين لغضب الله وعقابه فوجب ان يكون من خير اهل الارض بل هو خير اهل الارض واحقهم برضوان الله وثوابه

الوجه العاشر ان الله سبحانه وتعالى كانت سنته قبل انزال التوراة اذا كذب نبي من الانبياء ان ينتقم له من اعدائه بعذاب من عنده كما اهلك قوم نوح بالغرق وقوم هود بالريح الصرصر وقوم صالح بالصيحة وقوم شعيب بالظلة وقوم لوط بالحاصب وقوم فرعون بالغرق قال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون) فلما انزل التوراة امر اهل الكتاب بالجهاد فنهم من نكل ومنهم من اطاع وصار المقصود بالرسالة لايحصل الا بالعلم والقدرة كما قال تعالى (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً) فقول هؤلاء ان التوراة جاءت بالعدل والانجيل بالفضل فلا حاجة الى غيرهما ولو قدر انه حق انما يستقيم اذا كان الكتابان لم يبدلا بل كانا متبعين علماً وعملا وكان أهلهما مع ذلك منصورين مؤيدين على من خالفهم فكيف وكل منهما قد بدل كثير مما فيه وأهلهما غير منصورين على الكفار بل الكفار ظاهرون عليهم في اكثر الارض كارض اليمن والحجاز وسائر جزيرة العرب وارض العراق وخراسان والمغرب وارض الهند والسند والترك وكان بايدي أهل الكتاب الشام ومصر وغير ذلك ومع هذا فكانت الفرس قد غلبتهم على ذلك ثم ان الله اظهر النصارى عليهم فكان ظهورهم توطئة وتمهيداً لاظهار دين الاسلام فان الفرس المجوس لما غلبوا الروم ساء ذلك النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به وفرح بذلك مشركوا العرب وكانوا

كان كاذباً فالكذاب المفترى على الله من شر الكفار ومن يكون كذلك لايحصل منه هذا الخير العظيم الذى ماحصل مثله من احد من الانبياء فانه ازال دين المشركين ودين المجوس وقمع اليهود وكلّ واحدة من هذه الثلاث لم يقدر عليها احد قبله من الأنبياء والمرسلين • وان كان صادقاً فهو قد اخبر انه رسول الله الى النصارى وغيرهم من الامم واخبر عن الله بكفر كل من لم يؤمن به وهذا الوجه مما يخاطب به كل صنف فيقال لكل صنف من الامم انتم معترفون بأن من سواكم اذا اتبعوا دين محمد كان خيرا لهم مما هم عليه فاليهود معترفة بأن النصارى اذا اتبعوه كان خيراً لهم من دين النصارى • والنصاري معترفون بأن اليهود اذا اتبعوه كان خيرا لهم من دين اليهود واهل الكتاب اليهود والنصارى معترفون بأن من سواهم اذا اتبعوا محمدا كان خيرا لهم مما هم عليه فالمجوس والمشركون من العرب والسودان والترك واصناف الخزر والصقالبة اذا اتبعوه كان خيرا لهم مما هم عليه وسائر اصناف الكفار معترفون بأن اتباعه خير من غيرهم ومن ليس من اهل الكتاب عامتهم معترفون بأن دين المسلمين خير من دين اليهود والنصارى وحينئذ فيقال من جاء بهذا الدين الذي يفضله جميع اهل الارض على غيره يمتنع ان يكون من اكفر الناس واحقهم بغضب الله وعقابه وكل من قال انه رسول الله فان كان صادقاً كان من خير اهل الارض واحقهم برضوان الله وثوابه • وان كان كاذباً كان من شر اهل الأرض واحقهم بغضب الله وعقابه ومن حصل منه هذا الخير والعلم والهدى وما فيه صلاح الدنيا والآخرة اعظم مما حصل من جميع الخلق • يمتنع ان يكون

مظلوم من ظالمه ولهذا ليس عندهم حكم عدل يحكمون به بين الناس بل الحكم عندهم حكمان. حكم الكنيسة وليس فيه انصاف المظلوم من الظالم. والثاني حكم الملوك وليس هو شرعا منزلا بل هو بحسب آراء الملوك ولهذا تجدهم يردون الناس الى حكم شرع الاسلام في الدماء والاموال ونحو ذلك حتى في بعض بلادهم يكون الملك والعسكر واكثر أهل البلد نصارى وفيهم طائفة قليلة مسلمون لهم حاكم فيردون الناس في الدماء والاموال الى حكم شرع المسلمين وذلك ان الدماء والاموال وان كان يستحب للمظلوم ان يعفو فيها عن ظالمه فالحاكم الذي يحكم بين الناس متى حكم على المظلوم بترك حقه كان حاكما بالظلم لا بالعدل ولو امرنا كل ولي مقتول ان لا يقتص من القاتل وكل صاحب دين ان لا يطالب غريمه بل يدعه على اختياره. وكل مشتوم ومضروب ان لا ينتصف من ظالمه لم يكن للظالمين زاجر يزجرهم وظلم الاقوياء للضعفاء وفسدت الارض قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) فلا بد من شرع يتضمن الحكم بالعدل ولا بد مع ذلك من ندب الناس الى العفو والاخذ بالفضل وهذه شريعة الاسلام كما تقدم ماذكرناه من الآيات مثل قوله (والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له)وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم) وقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله ان الله لا يحب الظالمين) وقوله (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وقوله الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس

اكثر من المؤمنين لان اهل الكتاب أقرب الى المؤمنين من المجوس والمجوس.أقرب الى المشركين منهم الى أهل الكتاب ووعد الله المؤمنين ان تغلب الروم بعد ذلك وانه يومئذ يفرح المؤمنون بنصرالله فاضاف النصرة الى اسم الله الذى هو الفاعل ولم يقل بنصر الله أياهم وذلك انه حين ظهرت الروم على فارس كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قد ظهروا على المشركين واليهود وارسل النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذاك يدعو ملوك النصارى بالشام ومصر الى الايمان به فعرفوه وعرفوا انه النبي المبشر به وكان ذلك أول ظهور دينه ثم ارسل طائفة من اصحابه الى موتة ثم خرج بالمسلمين معه عام تبوك الى الشام ثم فتح هذه البلاداصحابه فكان تأييد دين الله وظهوره وادلال المشركين والمجوس وغيرهم من الكفار على يديه ويدي أمته لا على يد اليهود والنصارى فلو قدر ان شرع أولئك كامل لاتبديل فيه لكان مغلوبا مقهورا وكان الله قد ارسل من يؤيد دينه ويظهره فكيف وهو مبدل ولولم يبدل فدين احمد اكمل وافضل منه فذاك منضول مبدل وهذا فاضل لم يبدل وذاك مغلوب مقهور وهذا مؤيد منصور وببعض هذا تحصل الفائدة في ارساله فكان من اجل الفوائد ارسال محمد صلى الله عليه وسلم فكيف يقال انه لافائدة في ارساله ٠ الوجه الحادي عشرقولهم لما كان الباري عدلا جواداً أوجب ان يظهر عدله وجوده* فيقال لهم جود الجواد غير الزام الناس بترك حقوقهم فان الجواد هو الذي يحسن الى الناس ليس هو الذى يلزم الناس بترك حقوقهم وهؤلاء يزعمون ان شريعة الانجيل الزمت الناس بترك حقوقهم وانه لاينصف

ان الذى يأمر بشرع الفضل هو الله دون الذى يأمر بشرع العدل والله تعالى ارسل الرسل وانزل الكتب ليقوم الناس بالقسط كما قال تعالى (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله القوى عزيز) وامر المسيح عليه السلام للمظلوم بالعفو عن الظالم ليس فيه مايدل على انه من الواجب الذى من تركه استحق الذم والعقاب بل هو من المرغب فيه الذى من فعله استحق المدح والثواب وموسى عليه السلام أوجب العدل الذى من تركه استحق الذم والعقاب وحينئذ فلا منافاة بين ايجاب العدل وبين استحباب الفضل لكن ايجاب العدل يقترن به الترهيب والتخويف في تركه واستحباب الفضل يقترن به الترغيب والتشويق الى فعله فذاك فيه رهبة مع مافيه من الرغبة وهذا فيه رغبة بلا رهبة ولهذا قال المسيح عليه السلام (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) ولهذا قيل ان المسيح عليه السلام بعث لتكميل التوراة فان النوافل تكون بعد الفرائض كما فى صحيح البخارى عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من عادى لى وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الى عبدى بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها فبي يسمع وبي

والله يحب المحسنين) وقوله (ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم) وقوله (ودية مسلمة الى أهله الا ان يصدقوا وقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) وقال انس مارفع للنبي صلى الله عليه وسلم امر شيء فيه القصاص الا امر فيه بالعفو فكان يأمر بالعفو ولا يلزم الناس به ولهذا لما عتقت بريرة جارية عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان لها ان تفسخ النكاح وطلب زوجها ان لاتفارقه فشفع اليها ان لاتفارقه فقالت اتأمرني ؟قال لا انما انا شافع فلم يوجب عليها قبول شفاعته صلى الله عليه وسلم • الوجه الثانى عشر قولهم ولما كان الكمال الذى هو الفضل لايمكن ان يضعه الا اكمل الكمال • فيقال لهم العدل والفضل لايشرعه الا الله فشريعة التوراة لم يشرعها الا الله وشريعة الانجيل لم يشرعها الا الله عز وجل يبين ذلك ان الله كلم موسى من الشجرة تكليما وهم غاية ماقرروا به إلهية المسيح ان زعموا ان الله كلم الناس من ناسوت المسيح كما كلم موسي من الشجرة ومعلوم عند كل عاقل لو كان هذا حقاً ان تكليمه لموسى من الشجرة اعظم تكليم كلمه الله لعباده فكيف يقال ان شريعة العدل لم يشرعها الله عز وجل• ثم يقال لهم بل شريعة العدل احق بان تضاف الى الله من شريعة الفضل فان الامر بالاحسان والعفو يحسنه كل واحد واما شريعة العدل والحكم بين الناس به فلا يقدر عليه الا آحاد الناس ولهذا يوجد من الذين يصلحون بين الناس بالاحسان خلق كثير واما الذى يحسن ان يفصل بينهم بالعدل فناس قليل فكيف يقال

فاولئك ماعليهم من سبيل ثم بين ان السبيل انما يكون على الظالمين فقال انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ثم لما رفع عنهم السبيل ندبهم مع ذلك الى الصبر والعفو فقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فهذا احسن شرع وأجمله يرغب فى الصبر والعفو والاصلاح بغاية الترغيب ويذكر ما فيه من الفضائل والمحاسن وحميد العاقبة ويرفع عن المنتصف ممن ظلمه الملام والعدل ويبين انه لاحرج عليه ولا سبيل اذا انتصر بعد ماظلم فهل يمكن ان تأتى شريعة تجعل على المنتصف سبيلا مع عدله وهى لاتجعل على الظالم سبيلا مع ظلمه فعلم ان ما أمر به المسيح من العفو لم يكن لان تاركه مستحق للذم والعقاب بل لانه محروم مما يحصل للعافي المحسن من الاجر والثواب وهذا حق لايناقض شرع التوراة فعلم ان شرع الانجيل لم يناقض شرع التوراة اذ كان فرعا عليها ومكملا لها وحينئذ فزعمهم ان شرع الانجيل شرعه الله دون شرع التوراة كلام من هو من اجهل الناس واضلهم ولهذا كان هذا فرعا على قولهم بالاتحاد وان المسيح هو الله فذاك الضلال أوجب هذا القول المحال

(فصل) وجميع ما احتجوا به من التوراة والانجيل وغيرهما من كلام الانبياء عليهم السلام انما تكون الحجة فيه علمية برهانية اذا أقاموا الدليل على نبوة من احتجوا بكلامه بان بينوا امكان النبوة ثم تبينوا وقوعها في الشخص المعين بالطرق التي يستدل بها على نبوة النبي وهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك بل احتجوا بذلك على انها مقدمة مسلمة

يبصر وبي يبطش وبي يمشى ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذ بي لاعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه • والا فلو قيل ان المسيح عليه السلام أوجب على المظلوم العفو عن الظالم بمعنى انه مستحق للوعيد وللذم وللعقاب ان لم يعف عنه لزم من هذا ان يكون كل من انتصف من الظالم ظالماً مستحقاً للذم والعقاب وهذا ظلم ثان للمظلوم الذي انتصف فان الظالم ظلمه اولاً فلما انتصف منه ظلم ظلماً ثانياً فهو ظلم لعادل انتصف من ظالمه وما أحسن كلام الله حيث يقول (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ماغضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ماعليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) وقال (ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله قوي عزيز) فهذا من أحسن الكلام واعدله وافضله حيث يشرع العدل فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم ندب الى الفضل فقال فمن عفى وأصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين ولما ندب الى العفو ذكر انه لا لوم على المنتصف لئلا يظن ان العفو فرض فقال ولمن انتصر بعد ظلمه

(فصل)قد ذكرنا في جواب أول كتابهم بيان امتناع احتجاجهم بشيء من كلام محمد صلى الله عليه وسلم أو غيره من الانبياء عليهم السلام على مايخالف دين المسلمين من دينهم ونحن نبسط هذا هنا فنقول لاريب ان الباطل لايقوم عليه دليل صحيح لاعقلي ولا شرعي سواء كان من الخبريات أو الطلبيات فان الدليل الصحيح يستلزم صحة المدلول عليه فلو قام على الباطل دليل صحيح لزم ان يكون حقاً مع كونه باطلا وذلك جمع بين النقيضين مثل كون الشيء موجوداً معدوماً واهل الكتاب معهم حق في الخبريات والطلبيات ومعهم باطل وهو مابدلوه في الخبريات سواء كان المبدل هو اللفظ أو معناه وما ابتدعوه أو مانسخ من العمليات والمنسوخ الذى تنوعت فيه الشرائع قليل بالنسبة الى ما اتفقت عليه الكتب والرسل فان الذي اتفقت عليه هو الذي لابد للخلق منه في كل زمان ومكان وهو الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح كما قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وعامة السور المكية كالانعام والاعراف وال حم والطس وال آلر هي من الاصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المرسلين كالامر بعبادة الله وحده لاشريك له والصدق والعدل والاخلاص وتحريم الظلم والفواحش والشرك والقول على الله بلا علم وعامة ماعندهم من النقول الصحيحة عن الانبياء من التوراة والانجيل والزبور ونبوات الانبياء توافق المنقول عن محمد صلى الله عليه وسلم يشهد هذا لهذا وهذا لهذا وذلك من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن

يسلمها المسلمون لهم وهذا لا ينفعهم لوجوه • أحدها ان فيمن ذكروه من لم يثبت عند المسلمين انه نبي كميخا وعاموص • الثانى ان من ثبت عند المسلمين نبوته كموسى وعيسى وداود وسليمان لم يثبت عندهم انهم قالوا جميع ماذكروه من الكلام وان ترجمته بالعربيـة هو ماذكروه وان مرادهم به ما فسروه • الثالث ان جمهور المسلمين لا يعلمون نبوة احد من الانبياء قبل محمد الا باخبار محمد صلى الله عليه وسلم بنبوتهم فلا يمكنهم التصديق بنبوة أحد من هؤلآء الا بعد التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاذا طلب هؤلآء من المسلمين ان يسلموا نبوة هؤلآء دون نبوة محمد لم يمكن المسلمون ان يسلموا ذلك لهم ولا يسوغ ذلك للمسلمين لا عقلا ولا نقلا وحينئذ فاذا لم يقيموا الادلة على نبوة أولئك لم يكونوا قد ذكروا لا حجة برهانية ولا حجة جدلية • الرابع ان المسلمين لم يصدقوا بنبوة موسى وعيسى الا مع اخبارهما بنبوة محمد فان سلموا انهما اخبرا بنبوة محمد ثبتت نبوته ونبوتهما وان جحدوا ذلك جحد المسلمون نبوة من يدعون انه موسى وعيسى الذين لم يخبرا بمحمد صلى الله عليه وسلم • الخامس ان المسلمين وكل عاقل يمتنع بعد النظر التـام ان يقر بنبوة موسى وعيسى دون محمد صلى الله عليه وسـلم اذ كانت نبوته اكمل وطرق معرفتها أتم واكثر وما من دليل يستدل به على نبوة غيره الا وهو على نبوته أدل فان جحد نبوته يستلزم جحد نبوة غـيره بطريق الاولى ولـكن من قال ذلك هو متناقض كما تتناقض سائر أهل الباطل ولهذا قال تعـالى في الكفار انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك

لآلاء الله التي هي آياته ونعمه فان ذلك يدل على انه لم يتعلم ذلك من قومه وفيه انعام الله على الخلق بذلك وقال تعالى لما ذكر قصة يوسف ذلك من انباء الغيب نوحيها اليك وما كنت لديهم إذ اجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وقال تعالى (ولقد اتينا موسى الكتاب من بعدما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاوياً فى اهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك) ففي سبحانه شهوده لهذه الامور الغائبة وحضوره لها تنبيهاً للناس على انه اخبر بالغيب الذي لم يشهده ولم يعرفه من جهة اخبار الناس فان قومه لم يكونوا يعلمون ذلك ولا عاشر غير قومه وكل من عرف حاله يعلم انه لم يتعلم شيئاً من ذلك لا من أهل الكتاب ولا ممن نقل عن اهل الكتاب فاذا كان محمد صلى الله عليه وسلم اخبر بمثل ما اخبرت به الانبياء قبله فى باب اسماء الله وصفاته وتوحيده وملائكته واوليائه واعدائه مع العلم بان في هذه الامور من التفاصيل الكثيرة مايمتنع اتفاق اثنين عليه الا عن مواطأة بينهما ومحمد وموسى صلوات الله عليهما وسلامه لم يتواطئا بل لم يواطىء محمد صلى الله عليه وسلم أحدا من الرسل قبله ولا واطئوه والخبر الكذب اما ان يتعمد صاحبه الكذب فيه واما ان يغلط فالكاذبان المتعمدان للكذب لايتفقان في القصص الطويلة والتفاصيل العظيمة وكذلك الغالطان لايتفق غلطهما فى مثل ذلك بل الاثنان من آحاد الناس اذا اخبر كل منهما عن حال بلدة

دلائل نبوة أولئك الانبياء ولهذا يذكر الله ذلك بياناً لانعامه على محمد ودلالة لنبوته كقوله تعالى لما ذكر قصة مريم (واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) وقال تعالى لما قص قصة نوح (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين) فذكر آلاءه ونعمته وآيته بكونه لم يكن يعلمها هو ولا قومه أيضاً كانوا يعلمونها لئلا يظن انه تعلم ذلك من قومه فان قومه لم يكونوا يعلمون ذلك وقد علم بالنقل المتواتر ان محمدا صلى الله عليه وسلم ولد بمكة وبها نشا بعد ان كان مسترضعاً فى بادية سعد بن بكر قريبا من الطائف شرقى مكة وهو صغير ثم حملته مرضعته حليمة السعدية الى أمه بمكة ولا يعلم شيئاً من ذلك ولا هناك من يتعلم منه شيء من ذلك واهل مكة يعلمون حاله وانه لم يتعلم ذلك من احد ثم اخبرهم بالغيب الذي لايعلمه أحد الا بتعليم الله له فكان هذا من اعلام رسالته ودلائل نبوته عليهم أولا وعلى غيرهم آخرا فانهم كانوا مشاهدين له يعلمون انه لم يتعلم ذلك من أحد وغيرهم يعلم ذلك بالاخبار المتواترة ويعلم ان قومه المكذبين له مع حرصهم على الطعن فيه ومع علمهم بحاله لو كان قد تعلم من اهل الكتاب لقالوا هذا قد تعلمه منهم قال تعالى (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) والمقصود انه نفي علم قومه بما أخبره فيه بيانا

عن ذلك النبي والثاني ثبوت معناه وكل من احتج بنقل عن نبي فلا بد له من هاتين المقدمتين الاسناد والمتن فلا بد له من ثبوت اللفظ ولا بد له من ثبوت معنى اللفظ واذا كان النقل ليس بلغة النبي بل بلغة أخرى فلا بد من الترجمة الصحيحة وعام النصارى ليس عندهم كتب الانبياء بلغة الانبياء فان موسى والمسيح ومن بينهما من أنبياء بني اسرائيل انما كانوا يتكلمون باللغة العبرانية والمسيح كان عبرانياً لم يتكلم بغير العبرانية وانما تكلم بغيرها كالسريانية واليونانية والرومية بعض من اتبعه وجمهور النصارى لا يعرفون بالعبرانية فلا يحسنون ان يقرؤا بالعبرانية لا توراة ولا انجيلا ولا غير ذلك وانما يتكلمون بذلك باللغة الرومية أو السريانية أو غيرها وان كان فيهم قليل ممن يتكلم بالعبرانية بخلاف اليهود فان العبرانية فاشية فيهم وحينئذ فمن احتج من أهل الكتاب بشيء من كلام الانبياء المنقولة بالرومية والسريانية أو بالعبرانية فانه يحتاج مع اثبات النقل الى اثبات الترجمة وصحتها فانهم كثيراً ما يضطربون في الترجمة ويختلفون في معناها فهذه مقدمات ثلاث لا بد لهم منها في كل ما يحتجون من كلام الانبياء ولو لم يدعوا انه معارض لما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم فكيف اذا ادعوا مناقضته لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فان قدر انه ثبت ان نبياً أخبر بشيء امتنع قطعاً ان يخبر محمد بنقيضه فان فيما نقل عن محمد صلى الله عليه وسلم أيضاً ما ليس بثابت لفظه مثل بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة وفيما ثبت لفظه ما ليس معناه صريحاً في المناقضة بل لا يدل على ذلك فكم ممن يفسر القرآن بما لا يدل عليه لفظ القرآن بل ولا قاله أحد من الصحابة ولا التابعين

رآها واخبر الآخر بمثل خبره من غير مواطأة عرف صدقهما فكيف بالامور الغائبة التي لايمكن العلم بها الا من جهة الله تعالى فهذا من دلائل نبوة الانبياء صلوات اللهوسلامه عليهم • واما القدر الذى يخالف ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم مما ينقلونه عن الانبياء فهو نوعان احدهما ما وقع فيه النسخ من الشرائع وهذا لايمنعه لكن المنسوخ مثل هذا بالنسبة الى مالم ينسخ من الكتاب نظير المنسوخ من القرآن والاحاديث النبوية فانه قليل جدا بالنسبة الى مالم ينسخ وكذلك عامة ما أمر به موسى وداود والمسيح وغيرهم من الانبياء اذا اعتبر بما أمر به محمد صلى الله عليه وسلم وجد عامة ذلك متفقاً لم ينسخ منهالا القليل والثانى الخبريات وهذه قد ادعي بعض اهل الكتاب ان محمدا خالف بعض ما اخبرت به الانبياء قبله وهذا باطل فان اخبار الانبياء لايجوز ان تتناقض اذ هم كلهم صادقون مصدقون فان علم ان محمدا رسول الله وان موسى رسول الله وان المسيح رسول الله علم ان اخبارهم لاتتناقض لكن قد يخبر هذا بما لم يخبر هذا فيكون في أخبار أحدهم زيادات على أخبار غيره لا ما يناقض خبر غيره وما يذكره أهل الكتاب مما يناقض خبر محمد صلىالله عليه وسلم فهو عامته مما حرفوا معناه وتأويله وقليل منه حرف لفظه وأهل الكتاب اليهود والنصارى مع المسلمين متفقون على انالكتب المتقدمة وقع التحريف بها اما عمداً واماخطأ في ترجمتها وفى تفسيرها وشرحها وتأويلها وانما تنازع الناس هل وقع التحريف فى بعض الفاظها فكل مايدعي مدع ان محمداً صلى الله عليه وسلم ناقضه فلا بد له من ان يثبت مقدمتين احداهما ثبوت ذلك اللفظ

وسلم الا كان ذلك قد جاء بطريق الاولى في غيره من الانبياء كما بينا، فى الرد على الرافضة انه لايقدح احد فى الخلفاء الثلاثة ابي بكر وعمر وعثمان الا امكن ان يقدح بمثل ذلك وبأعظم منه فى على فيمتنع ان يكون على سليما من القوادح في أمامته الا والثلاثة اسلم منه مما يقدح فى امامتهم ويمتنع ان يكون موسى وعيسى وداود برآء مما يقدح في نبوتهم الا ومحمد ابرأ مما يقدح في نبوته وهذا كما اذا احتج محتج بما فى القرآن من آيات الصفات فيقال له فى التوراة وغيرها من كتب الانبياء مثل ذلك واعظم واذا احتج بانزال المتشابهات فيقال له فى الكتب المتقدمة من المتشابهات اعظم مما في القرآن وهل ضلت النصارى الا باتباع المتشابهات من كلام الانبياء وترك المحكم • والثاني ان يبين ان مثل تلك الحجة لاتصلح ان يعارض بها ماجاءت به الانبياء كما اذا اخذ بعض الناس يطعن فى شيء من الشرائع بالرأى بين له ان ما ثبت عن الانبياء لا يعارض برأى ولا قياس . الثالث ان يبين فساد تلك الحجة العقلية ان كانت من باب الخبريات بين فسادها كما قد بسطنا القول في ذلك فى كتاب رد تعارض العقل والشرع وذكرنا ان جميع ما يحتج به على خلاف نصوص الانبياء من العقليات فانه باطل فذكرنا مايعتمد عليه النفاة في هذا الباب وان كان من باب الطلبيات فهى من باب الامر والنهي فمن كان من مذهبه انه لايعلل أحكام الله ولا يقول بأن حسن الافعال وقبحها يعلم بالعقل ولا ينزه الله عن فعل ولا عن حكم بل يجوز عليه كل شيء وانما ينفي ذلك بالخبر السمعي اوالعادة فهذا يجيب بهذا الجواب لكن عامة القلوب والعقول لاتقبل هذا وأما على قول

كمن يقول ان شعيباً النبي كان هو حما موسى وليس فى القرآن والسنة وكلام الصحابة الا مايدل على نقيض ذلك وكمن يقول ان الرسل الذين أرسلوا الى القرية كانوا من اتباع المسيح وليس فى القرآن والمنقول عن الصحابة الا مايدل على نقيض ذلك وأما ماعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم أخبر به فقد قامت الادلة القاطعة اليقينية على صدقه وصدق ماأخبر به أعظم مما قامت على صدق غيره وصدق ماجاء به فمهما عارض ذلك علم انه كذب على الانبياء ولا يمكن احداً من الخلق ان يذكر دليلا قطعياً على صحة ذلك النقل بل غايتهم ان يذكروا طريقاً ظنياً لايفيدهم الا الظن والظن لايعارض اليقين فما جاء به محمد صلي الله عليه وسلم يمكن صاحب النظر والاستدلال ان يعلمه علماً يقينياً لا يرتاب فيه وما يناقضه لاسبيل لاحد الى العلم به ولا يتصور ان يقوم بقلبه منه الا الظن والتقليد وكلاهما لايناقض العلم فهذا أصل جامع ثم العارف يعبر عنه مع كل انسان بحسب مايوصل معناه الى ذلك المخاطب والمقصود هنا ان يقال كل مايحتجون به على مخالفة ماثبت عن محمد صلي الله عليه وسلم لايمكن ان يقوم لهم عليه دليل لاشرعى ولا عقلي وهذا نعلمه مجملا ونحن نبين ذلك مفصلا فنقول مايحتجون به اما ان يكون حجة عقلية واما ان يكون سمعية أما العقليات فمعلوم ان الحجج العقلية الدالة على فساد ماتقوله النصارى أظهر مما يحتجون به على صحة دينهم ومن احتج منهم أو من اليهود بحجة عقلية على مخالفة شيء من دينه فلها اجوبة ٠ احدها ان يبين ان ذلك يلزم غيره من الانبياء فانهم جاؤا بذلك أو بأعظم منه فلا يقدح احد بحجة عقلية فى محمد صلى الله عليه

وغيره لا يعرفونه فهؤلاء ليس عندهم علم ولهذا تجد كثيرا من هؤلاء يرجح المفضول لعدم العلم بأخبار الفاضل وهذا موجود في جميع الاصناف حتى في المدائن يفضل الانسان مدينة يعرفها على مدينة هي أكمل منها لكونه لا يعرفها والحكم بين الشيئين بالتماثل او التفاضل يستدعي معرفة كل منهما ومعرفة ما اتصف به من الصفات التي تستدعي التماثل والتفاضل كمن يريد ان يعرف ان البخاري اعلم من مسلم وكتابه أصح أو ان سيبويه اعلم من الاخفش ونحو ذلك وقد فضل الله بعض النبيين على بعض كما قال تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) والكلام في شيئين احدهما في كون المفضول يستحق تلك المنزلة دون الفاضل وهذا غاية الجهل والظلم كقول الرافضة الذين يقولون ان عليا كان اماما عالماً عادلا والثلاثة لم يكونوا كذلك وكذلك اليهود والنصارى الذين يقولون ان موسى كان رسولا ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن كذلك فان هذا في غاية الجهل والظلم بخلاف من اعترف باستحقاق الاثنين للمنزلة ولكن فضل المفضول فهذا اقل جهلا وظلما ومعلوم ان المرسلين يتفاضلون تارة في الكتب المنزلة عليهم وتارة في الآيات والمعجزات الدالة على صدقهم وتارة في الشرائع وما جاؤا به من العلم والعمل وتارة في اممهم فمن عنده علم وعدل فينظر في القرآن وفي غيره من الكتب كالتوراة والانجيل أو في معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزات غيره أو في شريعته وشريعة غيره أو في أمته وأمة غيره وجد من التفضيل على غيره مالا يخفى الا على مفرط في الجهل أو الظلم فكيف يمكن مع هذا

الجمهور فيبين ما في مأموراته من الحكم والمصالح وما في منهياته من المفاسد والضرر ويبين رجحان ماجاء فيه على مايعارض به بل ويبين رجحان شرائع الانبياء على سياسات سائر الامم ويبين رجحان شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الشرائع وهذا مبسوط في مواضع واما اذا احتج أهل الكتاب في مناقضة محمد صلى الله عليه وسلم بحجة سمعية سواء كانت من كلامه أو كلام غيره من الانبياء عليهم السلام كان الجواب من وجوه . احدها ان يقال لهم لايمكنكم ان تصدقوا بنبوة نبي من الانبياء مع التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم فانكم لا يمكنكم ان تحتجوا بكلام أحـــد من الأنبياء حتى تثبت نبوته والطريق التي بها تثبت نبوة الانبياء تثبت نبوة محمد بمثلها وبأعظم منها بل نحن نبين ان التصديق بنبوته أولى من التصديق بنبوة غيره لان كل مايستدل به على نبوة نبي فمحمد صلى الله عليه وسلم احق بجنس ذلك الدليل من غيره وما يعارض به نبوة نبي فالجواب عن محمد صلى الله عليه وسلم أولى من الجواب عن غيره فهو مقدم فيما يدل على النبوة وفيما يجاب به عن المعارضة وهو اكمل في ذلك فيمتنع مع العلم والعدل ان يصدق بنبوة غيره مع التكذيب بنبوته كما يمتنع مع العلم والعدل في كل اثنين أحدهما اكمل من الآخر في فن ان يقر بمعرفة ذلك الفن للمفضول دون الفاضل وقولنا مع العلم والعدل لان العالم يفضل المفضول مع علمه بأنه مفضول والجاهل قد يعرف المفضول ولا يعرف الفاضل فان كثيراً من الناس يعلمون فضيلة متبوعهم اما في العلم او العبادة ولا يعرفون أخبار غيره حتى يوجد أقوام يعظمون بعض الاتباع دون متبوعه الذى هو افضل منه عند التابع

قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى لما ذكر آل فرعون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين وكذلك قال تعالى عن عادوا تبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عاد اكفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود وقال تعالى عن قوم شعيب الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود واذا ذكر الانبياء عليهم السلام قال تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين سلام على ابراهيم سلام على موسى وهرون سلام على آل يس وقال تعالى وجعلنا لهم لسان صدق عليا ومثل هذا في القرآن كثير فيذكر من حال الانبياء واتباعهم وما حصل لهم من الكرامة وما حصل للكفار بهم من الخزي والعذاب وحسن حال هؤلآء وقبح حال هؤلآء ومما يوضح ذلك ان من اعتبر حال اهل الملل من المسلمين والنصارى وحال غيرهم في العلوم النافعة والاعمال الصالحة تبين له ان حال اهل الملل اكمل بما لايحصى واذا نظر ماعند غير اهل الملل من الحكمة العلمية والعملية كحكمة الهند واليونان والعرب في الجاهلية والفرس وغيرهم وجد ماعندهم بعض ماعند اهل الملل من الحكمة العلمية والعملية فيمتنع ان يكون علماء اليونان والهند ونحوهم على حق وهدى وعلماء المسلمين واليهود والنصارى على باطل وضلال وكذلك يمتنع ان تكون تلك الامة لها علم نافع وعمل صالح واهل الملل ليسوا كذلك ففي الجملة لايوجد في غير اهل الملل من علم نافع وعمل

ان يقال هو كاذب مفتر وغيره هو النبي الصادق نعم كثير من أهل الكتاب لم يعرفوا من أخباره مايبين لهم ذلك كما ان كثيراً من الرافضة لم يعرفوا من أخبار الثلاثة مايبين لهم فضيلتهم على علي رضى الله عنه فهؤلآء في الجهل وطلب العلم عليهم فرض خصوصاً أمر النبوة فان النظر في أمر من قال انى رسول الله اليكم مقدم على كل شيء اذ كان التصديق بهذا مستلزماً لغاية السعادة والتكذيب به مقتضياً لغاية الشقاوة فبالرسول يحصل الفرق بين السعداء والاشقياء وبين الحق والباطل والهدى والضلال والفرق بين أولياء الله وأعدائه وكما يسلك هذه الطريق العقلية في القياس والاعتبار بأن يعتبر حال محمد صلي الله عليه وسلم وكتابه وشرعه وأمته بحال غيره وكتابه وشرعه وامته وينظر هل هما متماثلان او متفاضلان وايهما افضل واذا تبين ان حاله أفضله كان تصديقه اولى وامتنع ان يكون غيره صادقا وهو كاذب بل لو كانا متماثلين لوجب كونه صادقا بل وكذلك لو كانا متقاربين وغيره افضل فان المتنبي الكذاب لايقارب الصادق بل بينهما من التباين مالا يخفى الا على أعمى الناس فكذلك يسلك هذا الطريق في جنس الانبياء عليهم السلام مطلقاً وأممهم بان تعرف اخبار من مضى من الانبياء وأممهم وترى آثار هؤلآء وهؤلآء كما قال تعالى (أولم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمي الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وقال تعالى (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى) وقال تعالى (أفلم يسيروا) في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير الذين اتقوا أفلا يعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم

بالحق والصدق والخير من غيرهم وان كان لاولئك من الحكمة مايناسب أحوالهم وحكماءهم أفضل من عوامهم وهم خير من الكفار بالرسل الذين ليس لهم من الحكمة مالهم وهذا مما استفادوه اتباع الانبياء منهم فيكون هذا من دلائل نبوتهم واعلام رسالتهم استدلالا بالأثر على المؤثر وبالمعلول على علته وكذلك من تدبر حال المسلمين وحال اليهود والنصارى تبين له رجحان حال المسلمين فيكون هذا من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واعلام رسالته وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان النبوة تعلم بطرق كثيرة وذكرنا طرقاً متعددة في معرفة النبي الصادق والمتنبيء الكذاب غير طريق المعجزات فان الناس كلما قويت حاجتهم الى معرفة الشيء يسر الله اسبابه كما ييسر ما كانت حاجتهم اليه في ابدانهم أشد فلما كانت حاجتهم الى النفس والهواء أعظم منها الى الماء كان مبذولا لكل أحد في كل وقت ولما كانت حاجتهم الى الماء اكثر من حاجتهم الى القوت كان وجود الماء اكثر لذلك فلما كانت حاجتهم الى معرفة الخالق أعظم كانت آياته ودلائل ربوبيته وقدرته وعلمه ومشيئته وحكمته أعظم من غيرها ولما كانت حاجتهم الى معرفة صدق الرسل بعد ذلك اعظم من حاجتهم الى غير ذلك اقام الله سبحانه من دلائل صدقهم وشواهد نبوتهم وحسن حال من اتبعهم وسعادته ونجاته وبيان ما يحصل له من العلم النافع والعمل الصالح وقبيح حال من خالفهم وشقاوته وجهله وظلمه مايظهر لمن تدبر ذلك ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور وهذا الذي ذكرناه من اعتبار الشيء بنظرائه وموافقيه واشباهه واعتباره

صالح من حكمة علمية وعملية الا وذلك في اهل الملل اكمل ولا يوجد في اهل الملل شر الا وهو في غيرهم اكثر وهؤلآء فلاسفة اليونان الذين قد شهروا عند كثير من الناس باسم الحكمة وحكمتهم كحكمة سائر الامم نوعان نظرية وعملية والعملية في الاخلاق وسياسة المنزل وسياسة المدائن وكل من تأمل ماعند اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل من سياسة الاخلاق والمنزل والمدائن وجده خيراً مما عند اولئك باضعاف مضاعفة فان اولئك عمدة أمرهم الكلام على قوى النفس الشهوية والغضبية وقوة العلم والعدل كامور من جنس آداب العقلاء ليس عندهم من معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله ومن عبادته وحده لاشريك له شيء له قدر والذى عندهم من العلوم الطبيعية والحسابية ليس مما ينفع بعد الموت إلا ان يستعان به على ماينفع بعد الموت والذى عندهم من العلم الالهى قليل جداً مع مافيه من الخطأ الكبير وكل ماعندهم من علم نافع وعمل صالح فهو جزء مما جاءت به الانبياء عليهم السلام فيمتنع ان يكون هؤلآء المسمون بالحكماء واتباعهم على حق في الاعتقاد وصدق في الاقوال وخير في الاعمال كما هو غاية مطلوبهم والانبياء واتباعهم ليسوا كذلك واعتبر ذلك بمن تعرف من خاصة هؤلآء وعامتهم وخاصة هؤلآء وعامتهم وان كان بينهما من التفاوت كما بين اهل الجنة واهل النار فالاعتبار في مثل ذلك مما جاء به التنزيل قال تعالى آلله خير أما يشركون والمقصود انه بالاعتبار والقياس العقلي والموازنة توزن الشيء بما يناظره وتعتبر به قياس الطرد وقياس العكس فيظهر لكل من تدبر ذلك ان أهل الملل أولى

انه لا يكون نبياً حتى يبشر به والثاني ان من بشرت به افضل او اكمل ممن لم تبشر به او ان هذا طريق تعرف به نبوة المسيح اختص به وانتم قد قلتم ما من طريق تثبت به نبوة نبي الا ومحمد تثبت نبوته بمثل تلك الطريق و افضل فاما هذا الثاني فيستحق الجواب واما الاول فنحن نجيبهم عنه ايضاً لكن هل يجب الاجابة عنه فيه قولان بناء على اصل وهو انه هل من شرط النسخ الاشعار بالمنسوخ ولنظار المسلمين فيه قولان • احدها انه لابد اذا شرع حكما يريد ان ينسخه فلا بد ان يشعر المخاطبين باني سأنسخه لئلا يظنوا دوامه فيكون ذلك تجهيلا لهم والثاني لايشترط ذلك - وايضاً فمن بعث بعد موسى بشريعة هل يجب ان يكون مبشرا به • فيه قولان وبكل حال فلا ريب عند علماء المسلمين ان المسيح عليه السلام بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (واذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه احمد) الآية وقد قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وقال تعالى الذين آتيناهم

باضداده ومخالفيه حتى يعرف في المتشابهين ايهم اكمل وافضل وفي المختلفين ايهم أولى بالحق والهدى والعدل موجود في سائر الامور علمها وعملها كعلم الطب والحساب والنحو والفقه وغير ذلك فيمتنع مع العلم والعدل ان يقال جالينوس كان طبيباً وابقراط لم يكن طبيباً أو ان يقال الاخفش كان نحوياً وسيبويه لم يكن نحويا او ان زفر والحسن بن زياد ويونس بن خالد السمتي كانوا فقهاء وابو حنيفة لم يكن فقيها أو ان اشهب وابن القاسم وابن وهب كانوا فقهاء ومالك لم يكن فقيها أو ان المزني والبويطي والربيع كانوا فقهاء والشافعي لم يكن فقيها أو ان أبا داود وابراهيم الحربي وابا بكر الاثرم كانوا فقهاء واحمد بن حنبل لم يكن فقيها او ان علياً كان امام عدل وابو بكر وعمر لم يكونا امامي عدل او ان نور الدين الشهيد كان عادلا وعمر بن عبد العزيز لم يكن عادلا او ان كوشيار كان يعلم الهيئة وبطليموس لم يكن يعرف الهيئة او ان ابا علي بن الهيثم كان يعرف علم الهندسة واقليدس لم يكن يعرف ذلك او ان النابغة الجعدى كان شاعراً والنابغة الذبياني لم يكن شاعراً او ان يقال ان القمر مستنير والشمس ليست مستنيرة او ان عطارد نجم ثاقب ثقب ضوءه والمشترى ليس بنجم ثاقب او ان مسلماً كان عالما بالحديث والبخارى لم يكن كذلك او ان كتابه اصح من كتاب البخارى ونحو ذلك مما يطول تعداده

(فصل) والنصارى لهم سؤال مشهور بينهم وهو ان منهم من يقول محمد لم تبشر به النبوات بخلاف المسيح فانه بشرت به النبوات وزعموا ان من لم تبشر به فليس بنبي وهذا السؤال يورد على وجهين احدهما

الآية وقال تعالى ان الذين أوتوا العلم اذا يتلي عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعدربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وقال تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنابه انه الحق من ربنا انا كنامن قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وقال تعالى فان كنت في شك مماأنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) واذا كان كذلك فيقال معلوم باتفاق أهل الملل انه ليس من شرط نبوة كل نبي ان يبشر به من قبله اذ النبوة ثابتة بدون ذلك لاسيما ونوح وابراهيم وغيرهما لم يعلم انه بشر بهما من قبلهما وكذا عامة الانبياء الذين قاموافي بني اسرائيل لم يتقدم لهم بشارات اذ كانوا لم يبعثوا بشريعة ناسخة كداود واشعياء وغيرهما وانما قد يدعى هذا فيمن جاء بنسخ بعض شرع من قبله كما جاء المسيح بنسخ بعض احكام التوراة وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم ففي مثل هذا يتنازع المتنازعون من علماء المسلمين وغيرهم هل يشترط ان يكون قد اخبر بذلك قبل النسخ على قولين وحينئذ فنقول فالمسلمون يقولون شريعة التوراة والانجيل لم تشرع شرعا مطلقاً بل مقيدا الى ان يأتي محمد صلي الله عليه وسلم وهذا مثل الحكم الموقت بغاية لايعلم متى يكون كقوله تعالى فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره وقوله تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ومثل هذا جائز باتفاق أهل الملل وهل يسمى هذا نسخاً فيه قولان قيل لايسمى نسخا كالغاية المعلومة كقوله تعالى وكلوا واشربوا حتي

الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم في موضعين من القرآن احدهما في التوحيد او القرآن والآخر في القبلة والقرآن ومحمد فقال في الاول قل اى شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لايؤمنون وهذا في سورة الانعام وهي مكية وقال في سورة البقرة وهي مدنية ومن حيث خرجت فَوَلِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ماجاءك من العلم انك اذاً لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين وقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال تعالى افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وقال تعالى أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق

فاما ان يكون تبشير من قبله به لازما لنبوته واجبــاً أو واقعاً واما ان لا يكون لازماً فان لم يكن لازما لم يجب وقوعه وان كان لازماً علم انه قد وقع وان كان ذلك لم ينقل الينا اذ ليس كل ما قالته الانبياء المتقدمون علمناه ووصل الينا وليس كل ما اخبر به المسيح ومن قبله من الانبياء وصل الينا وهذا مما يعلم بالاضطرار ولو قدر ان هذا ليس في الكتب الموجودة لم يلزم ان المسيح ومن قبله لم يذكروه بل يمكن انهم ذكروه وما نقل • ويمكن انه كان في كتب غير هذه الكتب • ويمكن انه كان في نسخ غير هذه النسخ فازيل من بعضها ونسخت هذه مما ازيل منه وتكون تلك النسخ التي هو موجود فيها غير هذه فكل هذا ممكن في العادة لايمكن الجزم بنفيه فلو قدر انه ليس في هذه الكتب الموجودة اليوم بايدي اهل الكتاب لم يقطع بان الانبياء لم يبشروا به فاذا لم يمكن اليهود ان يقطعوا بان المسيح لم تبشر به الانبياء ولا يمكن اهل الكتاب ان يقطعوا بان محمدا صلى الله عليه وسلم لم تبشر به الانبياء لم يكن معهم علم بعدم ذلك بل غاية ما يكون عند احدهم ظن لكونه طلب ذلك فلم يجده ودلائل نبوة المسيح ومحمد قطعية يقينية لايمكن القدح فيها بظن فان الظن لايدفع اليقين لاسيما مع الآثار الكثيرة المخبرة بان محمدا كان مكتوباً باسمه الصريح فيما هو منقول عن الانبياء كما في صحيح البخاري انه قيل لعبد الله بن عمرو اخبرنا ببعض صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا

يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل فإن ارتفاع وجوب الصيام بمجيء الليل لا يسمى نسخاً باتفاق الناس فقيل ان الغاية المجهولة كالمعلومة وقيل بل هذا يسمى نسخاً ولكن هذا النسخ جائز باتفاق اهل الملل اليهود وغيرهم وعلى هذا فثبوت نبوة المسيح ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما لاتتوقف على جواز النسخ المتنازع فيه فان ذلك انما يكون في الحكم المطلق والشرائع المتقدمة لم تشرع مطلقاً وسواء قيل ان الاشعار بالناسخ واجب أو قيل انه غير واجب فعلي القولين قد اشعر أهل الشرع الاول بانه سينسخ فان موسى بشر بالمسيح وكذلك غيره من الانبياء وموسى والمسيح وغيرهما من الانبياء بشروا بمحمد صلى الله عليه وسلم واذا كان هذا هو الواقع فنبوة المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم لاتتوقف على ثبوت النسخ المتنازع فيه وحينئذ فنقول . العلم بنبوة محمد ونبوة المسيح لاتتوقف على العلم بان من قبلهما بشربهما بل طرق العلم بالنبوة متعددة فاذا عرفت نبوته بطريق من الطرق ثبتت نبوته عند من علم ذلك وان لم يعلم ان من قبله بشر به لكن يقال اذا كان الواجب أو الواقع انه لابد من اخبار من قبله بمجيئه وان الاشعار بنسخ شريعة من قبله واجب أو واقع صار ذلك شرطاً فى النبوة ومن علم نبوته علم ان هذا قد وقع وان لم ينقل اليه فاذا قال المعارض عدم اخبار من قبله به قد يقدح في نبوته فانه اذا قدر انه لم يخبر به من قبله والاخبار شرطا فى النبوة كان ذلك قدحاً قيل الجواب هنا من طريقين احدهما ان يقال اذا علمت نبوته بما قام عليها من اعلام النبوة

الصالحين الذين هـم كالقصبة الضعيفة بل يقوى الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذى لا يطفى • أثر سلطانه على كتفيه وهـذه صفات منطبقة على محمد صلى الله عليه وسلم وامته وهى من اجل بشارات الانبياء المتقدمين به ولفظ التوراة قد عرف انه يراد به جنس الكتب التى يقر بها اهل الكتاب فيدخل فى ذلك الزبور ونبوة أشعيا وسائر النبوات غير الانجيل فان كان المراد بلفظ التوراة والانجيل في القرآن هذا المعنى فلا ريب ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة بهذا الاعتبار كثير متعدد ظاهر كاسنبين بعضه وحينئذ فتكون التوراة فى قوله يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل متناولة لجنس الكتب التى يقر بها اهل الكتاب ولفظ الانجيل يختص بما عند النصارى ولهذا لم يذكر كونه في الزبور مع انه مذكور فيه اذ كان مندرجا فى لفظ التوراة • الطريق الثاني من الجواب ان نبين ان الانبياء قبله بشروا به وهذا هو دليل مستقل على نبوته وعلم عظيم من اعلام رسالته وهذا أيضاً يدل على نبوة ذلك النبي اذ اخبر بانباء من الغيب مع دعوى النبوة ويدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لاخبار من ثبتت نبوته بنبوته هذا اذا وجد الخبر ممن لا نعلم نحن نبوته ولم يذكر في كتابنا وأما من ثبتت نبوته بطرق أخرى كموسى والمسيح فهذا مما تظاهر فيه الادلة على المدلول الواحد وهو ايضاً يتضمن ان كلما ثبتت به نبوة غيره فانه تثبت به نبوته وهو جواب ثان لمن يجعل ذلك شرطاً لازماً لنبوته

(فصل) ثم العلم بأن الانبياء قبله بشروا به يعلم من وجوه أحدها ما فى الكتب الموجودة اليوم بايدي أهـل الكتاب من ذكره الثانى

صخاب بالاسواق ولا تجزى بالسيئة السيئة ولكن تجزى بالسيئة الحسنة وتعفو وتغفر وان اقبضه حتى اقيم به الملة العوجاء فافتح به اعينا عمياء وآذاناً صماء وقلوباً غلفا بان يقولوا لا اله الا الله ولفظ التوراة والانجيل والقرآن والزبور قد يراد به الكتب المعينة ويراد به الجنس فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره كما فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان مابين ان يسرج دابته الى ان يركبها يقرأ القرآن والمراد به قرآنه وهو الزبور ليس المراد به القرآن الذي لم ينزل الا على محمد وكذلك ماجاء في صفة أمة محمد اناجيلهم فى صدورهم فسمى الكتب التي يقرؤونها وهى القرآن اناجيل وكذلك في التوراة اني سأقيم لبنى اسرائيل نبياً من اخوتهم انزل عليه توراة مثل توراة موسى فسمي الكتاب الثاني توراة فقوله اخبرني بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قد يراد بها نفس الكتب المتقدمة كلها وكلها تسمى توراة ويكون هذا في بعضها وقد يراد به التوراة المعينة وعلى هذا فيكون هذا فى نسخة لم تنسخ منها هذه النسخ فان النسخ الموجودة بالتوراة التي وقفنا عليها ليس فيها هذا لكن هذا عندهم فى نبوة أشعيا قال فيها عبدى الذي سرت به نفسي انزل عليه وحي فيظهر في الامم عدلي ويوصيهم بالوصايا لا يضحك ولا يسمع صوته فى الاسواق يفتح العيون العور والآذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما اعطيه لا اعطى أحدا يحمد الله حمدا جديدا يأتى من اقصى الارض وتفرح البرية وسكانها يهللون الله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية لا يضعف ولا يغلب ولا يميل الى الهوى مشقح ولا يذل

فاكتبنا مع الشاهدين وقوله (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا) وقال ابن اسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس ان يهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة يامعشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وتخبرونا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير ما جاءنا شيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم فانزل الله تعالى فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله علي الكافرين وقال أبو العالية وغيره كانوا يعني اليهود اذا استنصروا بمحمد علي مشركي العرب يقولون اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم فلما بعث الله محمدا صلي الله عليه وسلم وارؤا انه من غيرهم كفروا به حسدا للعرب وهم يعلمون انه رسول الله صلي الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآيات (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) وروي ابن اسحاق عن عاصم بن عمر ابن قتادة الانصاري ثم الظفري عن رجال من قومه قالوا ومما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله وهداه انا كنا نسمع من رجال يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا انا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم

أخبار من وقف على تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب ممن أسلم وممن لم يسلم بما وجدوه من ذكره بها وهذا مثل ما تواتر عن الانصار ان جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه وانه رسول الله وانه موجود عندهم وكانوا ينتظرونه وكان هذا من أعظم مادعي الانصار الى الايمان به لما دعاهم الى الاسلام حتى آمن الانصار به وبايعوه من غير رهبة ولا رغبة ولهذا قيل ان المدينة فتحت بالقرآن لم تفتح بالسيف كما فتح غيرها وقد أخبر الله بذلك عن أهل الكتاب في القرآن قال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا مايؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ومثل ما تواتر عن أخبار النصارى بوجوده فى كتبهم مثل أخبار هرقل ملك الروم والمقوقس ملك مصر صاحب الاسكندرية والنجاشي ملك الحبشة والذين جاؤه بمكة وقد ذكر الله ذلك عنهم في القرآن في قوله عن اليهود وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال عن النصارى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا

ما نعلم احدا يعبد الله به الا شيخ بالجزيرة فخرجت فقدمت عليه فاخبرته بالذى خرجت له فقال ان كل من رأيت في ضلالة ممن انت قال ، قلت انا من اهل بيت الله ومن اهل الشوك والقرظ فقال انه قد خرج في بلدك نبى او هو خارج قد خرج نجمه فارجع فصدقه واتبعه وآمن به فرجعت فلم احس شيئاً بعد قال فاناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيره فقدمنا اليه السفرة قال زيد ما اكل شيئاً ذبح لغير الله فتفرقا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت قال زيد وانا معه وكان صنمان من نحاس يقال لهما أساف ونائلة مستقبل الكعبة يتمسح بهما الناس اذا طافوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمسهما ولا تمسح بهما قال زيد فقلت في نفسي وقد طفنا لامسهما حتى انظر مايقول فمسستهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تنهه فلا والذى أكرمه مامسستهما حتى انزل الله عليه الكتاب ومات زيد بن عمرو بن نفيل قبل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده وروى البخارى حديث خروج زيد بن عمرو قريباً من هذا اللفظ وقال ابن اسحق حدثنا صالح بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة ابن وقش قال كان بين ابياتنا يهودى فخرج على بادى قومه بنى عبد الاشهل ذات غداة فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان فقال ذلك لاصحاب وثن لا يرون ان بعثا كائن بعد موت وذلك قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ويحك يافلان أو ويلك وهذا كائن ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون من أعمالهم قال نعم والذى يحلف به لوددت ان حظي من تلك النار ان

فكنا كثيراً مانسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم رسولا من عند الله أجبنا حين دعانا الى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدونا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات التي في البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون علي الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين قال ابن اسحق وحدثنا صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أسعد بن زرارة الانصاري قال حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان ابن ثابت الانصاري قال والله اني لغلام يفقه ابن سبع سنين أو ثمان سنين اعقل كلما سمعت اذ سمعت يهوديا يقول على اطم يثرب يصرخ يا معشر اليهود فلما اجتمعوا عليه قالوا مالك ويلك قال طلع نجم أحمد الذي يبعث الليلة وروى ابو زرعة باسناد صحيح عن اسامة بن زيد عن أبيه زيد بن حارثة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مردف في ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم حار من أيام مكة حتى اذا كنا باعلى الوادى لقيه زيد بن عمرو بن نفيل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ياابن عمرو مالى أرى قومك قد شنفوك قال أما والله ان ذلك لغير مأثرة كانت مني فيهم ولكن أراهم على ضلال فخرجت ابتغي هذا الدين فاتيت الى أحبار يثرب فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به فقلت ما هذا بالدين الذى ابتغي فخرجت حتى اتي أحبار خيبر فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به فقلت ماهذا بالدين الذى ابتغي فقال لى حبر من احبار الشام انك لتسأل عن دين

لنا فيقول لا والله حتى تقدموا امام مخرجكم صدقة فنقول كم فيقول صاعا من تمر او مدين من شعير فنخرجه ثم يخرج الى ظاهر حرتنا ونحن معه فنستقي فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة فحضرته الوفاة واجتمعوا اليه فقال يا معشر يهود ماترونه اخرجني من أرض الخمر والخمير الى أرض البؤس والجوع قالوا انت اعلم قال فانه انما اخرجني توقع خروج نبي قد أظل زمانه هذه البلاد ومهاجره فاتبعوه ولا تسبقن اليه اذا خرج يامعشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه ولا يمنعنكم ذلك منه ثم مات فلما كان الليلة التي فتحت فيها قريظة قال اولئك الثلاثة الفتية وكانوا شبانا احداثا يا معشر يهود والله انه الذي ذكر لكم ابن الهيبان فقالوا ماهو به قالوا بلى والله انه لصفته ثم نزلوا فاسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم واهاليهم قال بن اسحق فلما فتح الحصن رد ذلك عليهم وفي الصحيحين من حديث ابن عباس عن ابى سفيان بن حرب لما حدثه عن هرقل وقد تقدم حديثه في اول الكتاب وذكر فيه ان هرقل لما سأله عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان يكن ماتقول فيه حقاً انه لنبي وقد كنت اعلم انه خارج ولم اكن اظنه منكم ولو اعلم انى اخلص اليه لاحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وزاد البخاري في حديثه وقال ابن الناطور وكان هرقل حزاء ينظر فى النجوم فنظر فقال ان ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الامة قال تختتن اليهود فلا يهمنك شأنهم وابعث الى من فى مملكتك من اليهود

يوقدوا أعظم تنور فى داركم فيحمونه ثم يقذفونى فيه ثم يطينون علي وانى انجو من تلك النار غداً فقيل يافلان فما علامة ذلك قال نبي يبعث من ناحية هذه البلاد وأشار الى مكة واليمن بيده قالوا فمتى نراه فرمي بطرفه فرآنى وانا مضطجع بفنايات اهلي وانا أحدث القوم فقال ان يستقد هذا الغلام عمره يدركه فماذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله وانه لحي بين اظهرهم فآمنا به وصدقناه وكفر به بغياً وحسدا فقلنا له يافلان الست الذى قلت ما قلت واخبرتنا قال ليس به وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ان غلاماً يهودياً كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يايهودى اشهدك بالله الذى انزل التوراة على موسى هل تجد فى التوراة صفتي ومخرجي قال لاقال الفتى بلى والله يارسول الله انا نجد في التوراة نعتك ومخرجك وانى أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقيموا هذا من عند رأسه ولوا أخاكم رواه البيهقى باسناد صحيح وقال ابن اسحق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال هل تدرى عما كان اسلام اسيد وثعلبة ابني سعيد واسد بن عبيد نفر من بنى هذيل لم يكونوا من بني قريظة و بني النضير كانوا فوق ذاك فقلت لا قال فانه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له ابن الهيبان فاقام عندنا والله مارأينا رجلا قط لا يصلي الخمس خيراً منه فقدم علينا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بسنين وكنا اذا اقحطنا وقل علينا المطر نقول يا ابن الهيبان اخرج فاستسق

ورقة ان توفى وقال ابن اسحق وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا أو قريب من ذلك وهو بمكة من النصارى حين ظهر خبره بالحبشة فوجدوه في المجلس فكلموه وسألوه ورجال من قريش في انديتهم فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله عز وجل وتلى عليهم القرآن فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقال خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم لترتادوا لهم فتأتونهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم مانعلم ركبا احمق منكم أو كما قالوا لهم • فقالوا سلام عليكم لا نجاهلكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم ويقال فيهم نزل قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) الآية وعن محمد بن عمر بن سعيد بن محمد بن جبير حدثني جدتي ام عثمان بنت سعيد بن محمد بن جبير عن أبيها سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت ابى جبيرا يقول لما بعث الله نبيه وظهر أمره بمكة خرجت الى الشام فلما كنت ببصرى اتتنى جماعة من النصارى فقالوا لي امن الحرم انت؟ قلت نعم قالوا فتعرف هذا الذى تنبأ فيكم؟ قلت نعم قال فاخذوا بيدى فادخلوني ديراً لهم فيه تماثيل وصور فقالوا لى انظر هل ترى صورة هذا النبي الذى بعث فيكم فنظرت فلم أر صورته • قلت

فيقتلونهم ثم وجد انساناً من العرب فقال انظروا أمختتن هو فنظروا
فاذا هو مختتن وساله عن العرب فقال يختتنون وقال فيه وكان برومية
صاحب له كان هرقل نظيره في العلم فارسل اليه وسار الى حمص فلم
يرم من حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأيه على خروج
النبي صلي الله عليه وسلم وانه نبي وكذلك النجاشي ملك الحبشة لما
هاجر الصحابة اليه لما اذاهم المشركون وخافوا ان يفتنوهم عن دينهم
وقرؤا عليه القرآن قال فاخذ عودا بين اصبعيه فقال ما عدا عيسى
ابن مريم ما قلت هـذا العود فتناخرت بطارقتـه فقال وان نخرتم
اذهبوا فانتم سيوم بارضى يعني أنتم آمنون وقال هذا لان قريشاً ارسلوا
هدايا اليه وطلبوا منه ان يرد هؤلآء المسلمين وقالوا هؤلآء فارقوا ديننا
وخالفوا دينك الحديث رواه أحمد وغيره وفى الصحيحين حديث ورقة
ابن نوفل الذى ترويه عائشة رضى الله عنها فى بدء الوحي قالت أول
مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة في
النوم وكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء
فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد الى
ان قالت فاتت به خديجة ورقة بن نوفل وكان قد تنصر فى الجاهليـة
وكان يكتب الانجيل ماشاء الله ان يكتب فقالت اسمع من ابن أخيك
فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال ورقة هـذا
الناموس الذي أنزل الله على موسى ليتنى جذعا انصرك نصراً مؤزرا
اذ يخرجك قومك قال أو مخرجي هم قال نعم لم يأت أحد بمثل ماجئت
به الا عودى وان يدركنى يومك انصرك نصراً مؤزرا ثم لم ينشب

ملك النصارى أخرج له صور الانبياء واخرج له صورة نبينا صلى الله عليه وسلم فعرفها • والوجه الثالث نفس اخباره بذلك في القرآن مرة بعد مرة واستشهاده باهل الكتاب واخباره بانه مذكور في كتبهم مما يدل العاقل على انه كان موجوداً في كتبهم فانه لاريب عند كل من عرف حال محمد من مؤمن وكافر انه كان من اعقل أهل الارض فان المكذبين له لايشكون في انه كان عنده من الخبرة والمعرفة والحذق ما أوجب ان يقيم مثل هذا الامر العظيم الذي لم يحصل لاحد مثله لا قبله ولا بعده فعلم ضرورة انه لايفعله ولا يخبر به وهو من أحرص الناس على تصديقه وأخبرهم بالطرق التي يصدق بها وأبعدهم عن ان يفعل ما يعلم انه يكذب به فلو لم يعلم انه مكتوب عندهم بل علم انتفاء ذلك لامتنع ان يخبر بذلك مرة بعد مرة ويستشهد به ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه واوليائه واعدائه فان هذا لايفعله الا من هو أقل الناس عقلا لان فيه اظهار كذبه عند من آمن به منهم وعند من يخبرونه وهو ضد مقصوده وهو بمنزلة من يريد اقامة شهود على حقه فيأتي الى من لا يعلم انه لايكذب ويعلم انه ليس بشاهد ولا حضر قضيته ويقول هذا يشهد لي وهذا يشهد لي فانهم كانوا حاضرين هذه القضية فيقول اولئك لسنا نشهد له ولا حضرنا هذه القضية فهذا لايفعله عاقل يعلم انهم لم يكونوا حاضرين وانهم يكذبونه ولا يشهدون له • الرابع ان يقال لما قامت الاعلام على صدقه فقد أخبر انه مكتوب في الكتب المتقدمة وان الانبياء بشروا به علم ان الامر كذلك لكن هذا لايذكر الا بعد ان يقام دليل منفصل على نبوته والطريق الاول

لا أرى صورته فادخلوني ديراً أكبر من ذلك الدير فيه صور اكثر
مما في ذلك الدير فقالوا لي انظر هل ترى صورته فنظرت فاذا أنا بصفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصورته واذا انا بصفة ابى بكر
وصورته وهو آخذ بعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لي
انظر هل ترى صفته قلت نعم قالوا هو هذا وأشاروا الى صفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم قلت اللهم نعم اشهد انه هو قالوا اتعرف هذا
الذى أخذ بعقبه قلت نعم قالوا نشهد ان هذا صاحبكم وان هذا الخليفة
من بعده رواه البخارى في تاريخه وقال فيه قال الذى أراه الصور لم
يكن نبي الا كان بعده نبي الا هذا النبي ورواه ابو نعيم فى دلائل النبوة
وروى موسى بن عقبة ان هشام بن العاص ونعيم بن عبدالله ورجلاً
آخر قد سماه بعثوا الى ملك الروم زمن ابي بكر قال فدخلنا على
جبلة بن الايهم وهو بالغوطة فذكر الحديث وانه انطلق بهم الى الملك
وانهم وجدوا عنده شبه الربعة العظيمة مذهبة واذا فيها ابواب صغار
ففتح منها بابا فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فيها صورة بيضاء
وذكر صفة آدم ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة وفيها صورة
نوح ثم ابراهيم ثم أراهم حريرة فيها صورة محمد صلى الله عليه وسلم فقال
هذا آخر الابواب لكني عجلته لانظر ماعندكم ثم فتح أبواباً اخر
واراهم صورة بقية الانبياء موسى وهرون وداود وسليمان وعيسى بن
مريم عليهم السلام وصفة لوط وصفة اسحاق وذكر ان هذا عندهم
قديما من عهد آدم وان دانيال صورها باعيانها وروى مثل هذا عن
المغيرة بن شعبة انه لما دخل على المقوقس ملك مصر والاسكندرية

المسيح فقبل قسطنطين لم يكن له ملك بل كانوا يكونون ببعض بلاد الروم وغيرها وكانوا مستضعفين بذتل أعيانهم او عامتهم فى كثير من الاوقات ولما انتشر تفرق أهله فرقا متباينة يكفر فيها بعضهم بعضاً ثم ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم ظهر في مشارق الارض ومغاربها وفي وسط الارض المعمورة الاقليم الثاني والثالث والرابع وظهرت أمته على النصارى في أفضل الارض وأجلها عندهم كارض الشام ومصر والجزيرة وغيرها ودام شرعه فله اليوم اكثر من سبعمائة سنة ومعلوم ان هذا المدعي للنبوة سواء كان صادقاً او كاذباً لابد ان يخبر به الانبياء فانهم أخبروا بظهور الدجال الكذاب تحذيراً للناس من فتنته وانه كذاب يظهر على يده أمور يفتتن بها الناس مع ان الدجال مدته قليلة فلو كان مايقوله المكذب لمحمد حقاً وانه كاذب ليس برسول لكانت فتنته أعظم من فتنة الدجال من وجوه كثيرة لان الذين اتبعوه اضعاف اضعاف من يتبع الدجال فلو كان كاذباً لكان الذين افتتنوا به اضعاف اضعاف من يفتتن بالدجال فكان التحذير منه أولى من التحذير من الدجال اذ ليس فى العالم من زمان آدم الى اليوم كذاب ظهر ودام هذا الظهور والدوام فكيف يغفل الانبياء التحذير عن مثل هذا لو كان كاذباً. واذا كان صادقا فالبشارة به للايمان به من أولى مايبشر به الانبياء من المستقبلات ويخبر به فعلم انه لابد أن يكون فى الكتب ذكره ثم قد وجد مواضع كثيرة في الكتب تزيد على مائة موضع استدلوا بها على انه مذكور وتواتر عن خلق كثير من أهل الكتاب انه موجود في كتبهم وتواتر عن كثير ممن أسلم انه كان سبب اسلامهم او من أعظم

هو من أظهر الحجج على أهل الكتاب وأظهر الاعلام على نبوته وقد استخرج غير واحد من العلماء من الكتب الموجودة الآن فى أيدى أهل الكتاب من البشارات بنبوته مواضع متعددة وصنفوا فى ذلك مصنفات وهذه البشارات فى هذه الكتب من جنس البشارات بالمسيح صلى الله عليه وسلم • واليهود يقرون باللفظ لكن يدعون ان المبشر به ليس هو المسيح عيسى بن مريم وانما هو آخر ينتظر. وهم في الحقيقة لاينتظرون الا المسيح الدجال وينتظرون أيضاً مجيء المسيح عيسى بن مريم اذا نزل من السماء كما بسط فى موضع آخر ويحرفون دلالة اللفظ ويقولون انها لاتدل على نبي منتظر كما قالوا فى قوله سأقيم لبني اسرائيل نبياً من اخوتهم مثلك ياموسى انزل عليه توراة مثل توراة موسى اجعل كلامى على فيه قال بعضهم ليس هذا اخبارا بل هذا استفهام انكار وقدروا الف استفهام وليس فى النص شيء من ذلك فاليهود يحرفون الدلالات المبشرة بالمسيح وذلك عند المسلمين والنصارى لايقدح فى البشارات بالمسيح بل تبين دلالة النصوص عليه وبطلان تحريف اليهود وكذلك البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الكتب المتقدمة لايقدح فيها تحريف أهل الكتاب اليهود والنصارى بل تبين دلالة تلك النصوص على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبطلان تحريف أهل الكتاب

الوجه الخامس ان يقال معلوم ان ظهور دين محمد صلى الله عليه وسلم في مشارق الارض ومغاربها أعظم حادث حدث فى الارض فلم يعرف قط دين انتشر ودام كانتشاره ودوامه فان شرع موسى وان دام فلم ينتشر انتشاره ودوامه بل كان غاية ظهوره ببعض الشام واما شرع

ويسبونهم كبخت نصر وسنجاريب ولكن هؤلآء الملوك لم يدعوا انهم انبياء ولم يدعوا الى دين فلم تحتج الانبياء الى التحذير من اتباعهم وقد حذروا من اتباع من يدعي النبوة وهو كاذب ومحمد صلى الله عليه وسلم قد قهر أهل الكتاب وسبي من سبى وقتل من قتل وأخرجهم من ديارهم فلا بد ان يذكروه ويذكروا الاحداث التي تجري عليهم في ايامه واذا كان كاذباً مدعياً للنبوة فلا بد ان يحذروهم من اتباعه ومعلوم ان عامة أهل الكتاب ومن نقل عنهم اما ان يقول ليس موجوداً في كتبنا او يقول انه موجود بالمدح والثناء لايمكن أحد ان ينقل عن الكتب المتقدمة انه موجود فيها بالذم والتحذير ولو كان مذكوراً عندهم بالذم والتحذير لكان هذا من أعظم ما يحتجون به عليه في حياته وعلى أمته بعد مماته ويحتج به من لم يسلم منهم على من أسلم فانه معلوم ان كثيراً من أهل الكتاب كان عندهم من البغض له والعداوة وتكذيبه والحرص على ابطال أمره ما أوجب ان يفتروا أشياء لم توجد ونسبوا اليه أشياء يعرف كذبها كل من عرف أمره حتى آل الامر ببعضهم الى ان فسروا قول المسلمين الله اكبر بان اكبر صنم وان النبي أمرهم بتعظيم هذا الصنم وقال بعضهم فيه انه أوجب الزنا على المرأة المطلقة ثلاثا عقوبة لزوجها بانه لاينكحها حتى يزني بها غيره • وقال بعضهم انه تعلم من بحيرا الراهب مع علم كل من عرف سيرته انه لم يجتمع ببحيرا وحده ولم يره الا بعض نهار ومع اصحابه لما مروا به لما قدموا الشام في تجارة وان بحيرا سالهم عنه ولم يكلمه الا كلمات يستخبره فيها عن حاله لم يخبره بشيء ومع طعن بعض أهل الكتاب فيه بانه بعث بالسيف حتى قد يقولوا انما قام دينه

سبب اسلامهم علمهم بذكره في الكتب المتقدمة اما بانه وجد ذكره في الكتب كحال كثير ممن أسلم قديماً وحديثاً واما بما ثبت عندهم من أخبار أهل الكتاب كالانصار فانه كان من أعظم أسباب اسلامهم ما كانوا يسمعونه من جيرانهم أهل الكتاب من ذكره ونعته وانتظارهم اياه وان من خيارهم من لم يسكن أرض يثرب مع شدتها ويدع أرض الشام مع رخائها الا لانتظاره لهذا النبي العربي الذي يبعث من ولد اسماعيل ولم يكن أحد قط أن ينقل عن شيء من الكتب انه وجد فيها ذكره بالذم والتكذيب والتحذير كما يوجد ذكر الدجال وعند أهل الكتاب من ذكر أصحابه كعمر بن الخطاب وغيره وعدلهم وسيرتهم عن المسيح وغيره ما هو معروف عندهم فاذا كان الذين استخرجوا ذكره من كتب أهل الكتاب والذين سمعوا خبره من علماء أهل الكتاب انما يذكرون نعته فيها بالمدح والثناء علم بذلك ان الانبياء المتقدمين ذكروه بالمدح والثناء ولم يذكروه بذم ولا عيب وكل من ادعى النبوة ومدحه الانبياء واثنوا عليه لم يكن الا صادقا فى دعوى النبوة يمتنع ان الانبياء يثنون على من يكذب في دعوى النبوة (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهذا مما يبين انه لابد أن يكون الانبياء ذكروه وأخبروا به وانه لم يذكروه الا بالثناء والمدح لا بالذم والعيب وذلك مع دعوى النبوة لا يكون الا اذا كان صادقا في دعوى النبوة فتبين انهم بشروا بنبوته وهو المطلوب تبين من ذلك ان الانبياء أخبروا أهل الكتاب بما سيكون منهم من الاحداث وما يسلط عليهم من الملوك الذين يقتلونهم ويخربون بلادهم

كذبه فكيف مثل هذا فاذا انتفت لوازم الكذب انتفى الملزوم • وصدقه لازم لامور كثيرة كلها تدل على صدقه وثبوت الملزوم يقتضى ثبوت اللازم ماضيه ومقارنه ومتأخره ومدعى النبوة لا يخلو من الصدق أو الكذب وكل من الصدق والكذب له لوازم وملزومات فادلة الصدق مستلزمة له وأدلة الكذب مستلزمة له والصدق له لوازم والكذب له لوازم فصدقه يعرف بنوعين بثبوت دلائل الصدق المستلزمة لصدقه وبانتفاء لوازم الكذب الموجب انتفاءها انتفاء كذبه كما ان كذب الكذاب يعرف بادلة كذبه المستلزمة لكذبه وبانتفاء لوازم الصدق المستلزم انتفاؤها لانتفاء صدقه والله أعلم • والشيء يعرف تارة بما يدل على ثبوته وتارة بما يدل على انتفاء نقيضه وهو الذي يسمى قياس الخلف فان الشيء اذا انحصر فى شيئين لزم من ثبوت أحدهما انتفاء الآخر ومن انتفاء أحدهما ثبوت الآخر ومدعي النبوة اما صادق واما كاذب وكل منهما له لوازم يدل انتفاؤها على انتفائه وله ملزومات يدل ثبوتها على ثبوته فدليل الشيء مستلزم له كاعلام النبوة ودلائلها وآيات الربوبية وأدلة الاحكام الشرعية وغير ذلك وانتفاء الشيء يعلم بما يستلزم نفيه كانتفاء لوازمه مثل صدق الكذاب يقال لو كان صادقا لكان متصفاً بما يتصف به الصادقون وكذلك كذب الصادق يقال لو كان كذاباً لكان متصفاً بما يتصف به الكذاب فانه قد عرف حال الانبياء الصادقين والمتنبئين الكذابين فانتفاء لوازم الكذب دليل صدقه كما ان ثبوت ما يستلزم الصدق دليل صدقه وكذلك الكذاب يستدل على كذبه بما يستلزم كذبه وبانتفاء لوازم صدقه وهكذا سائر الامور

بالسيف وحتى يوهموا الناس ان الذين اتبعوه انما اتبعوه خوفا من السيف وحتى يقولوا ان الخطيب انما يتوكأ على سيف يوم الجمعة اشارة الى انه انما يقوم الدين بالسيف الى أمثال هذه الامور التي هى من أظهر الامور كذبا عليه يعرف أدنى الناس معرفة بحاله انها كذب وهم مع هذا يتشبثون بها فلو كان عندهم اخبار عن الانبياء توجب ذمه وتكذيبه والتحذير من متابعته لكان اظهارهم لذلك واحتجاجهم به أقوى وأبلغ وكان ذلك مما يجب في العادة اشتهاره بين خاصتهم وعامتهم قديماً وحديثاً وكان ظهور ذلك فيهم أولى من ظهور خبر الدجال فيهم وفي المسلمين فان هذا الامر من أعظم ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله واشتهاره فاذا لم يكن كذلك علم انه ليس في كتب الانبياء ما يوجب تكذيبه وذمه وقد قام الدليل على انه لابد من ان تذكره الانبياء وتخبر بحاله فاذا لم يخبروا انه كاذب • علم انهم اخبروا انه نبي صادق كما شاع ذلك وظهر واستفاض من وجوه كثيرة فالكتاب الذى بعث به مملوء بشهادة أهل الكتب له والكتب الموجودة فيها مواضع كثيرة شاهدة له من وجوه متعددة والاخبار متواترة عمن اطلع على ما فيها بذلك والاخبار متواترة عمن أسلم لاجل ذلك وهذا مما يوجب القطع بانه مذكور فيها بما يدل على صدقه فى دعوي النبوة وليس فيها مايخبر بكذبه والتحذير منه وهذا هو المطلوب * وفي الجملة أمره أظهر واشهر وأعجب وأبهر وأخرق للعادة من كل أمر ظهر فى العالم من البشر ومثل هذا اذا كان كاذباً فلكذبه لوازم كثيرة جداً تفوق الحصر متقدمة ومقارنة ومتأخرة فان من هو ادني دعوة منه اذا كان كاذبا لزم كذبه من اللوازم ما يبين

على المسيح وكان المسيح من ساعير ارض الخليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمي من اتبعه من نصارى وكما وجب ان يكون اشراقه من ساعير بالمسيح فكذلك يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وجبال فاران هي جبال مكة قال وليس بين المسلمين واهل الكتاب خلاف في ان فاران هي مكة فان ادعوا انها غير مكة فليس ينكر ذلك من تحريفهم وافكهم قلنا اليس في التوراة ان ابراهيم اسكن هاجر واسماعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذى انزل عليه كتاباً بعد المسيح او ليس استعلن وعلن هما بمعنى واحد ؟ وهو ماظهر وانكشف فهل تعلمون ظهر دين ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه ؟ وقال ابو هاشم بن ظفر ساعير جبل بالشام منه ظهرت نبوة المسيح . قلت وبجانب بيت لحم القرية التي ولد فيها المسيح قرية تسمى الى اليوم ساعير ولها جبال تسمى ساعير وفي التوراة ان نسل العيص كانوا سكاناً بساعير وأمر الله موسى ان لا يؤذيهم وعلى هذا فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقا جبل حراء الذي ليس حول مكة جبل اعلا منه ومنه كان نزول اول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وحوله من الجبال جبال كثيرة حتى قد قيل ان بمكة اثنى عشر الف جبل وذلك المكان يسمى فاران الى هذا اليوم وفيه كان ابتداء نزول القرآن والبرية التي بين مكة وطورسينا تسمى برية فاران ولا يمكن احداً ان يدعى انه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الارض ولا بعث نبي . فعلم انه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران الا ارسال محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبحانه ذكر

(فصل)ومما ينبغي ان يعرف ماقد نبهنا عليه غير مرة ان شهادة الكتب المتقدمة لمحمد صلى الله عليه وسلم اما شهادتها بنبوته واما شهادتها بمثل ما اخبر به هو من الآيات البينات على نبوته ونبوة من قبله وهو حجة على اهل الكتاب وعلى غير اهل الكتاب من اصناف المشركين والملحدين كما قد ذكر الله هذا النوع من الآيات في غير موضع من كتابه كما في قوله تعالى (اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل) وقوله (فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) وقوله (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)وقوله (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) وقوله (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم) وقوله (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) وقوله (ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا).وذلك مثل قوله في التوراة ماقد ترجم بالعربية جاء الله من طورسينا وبعضهم يقول في الترجمة تجلي الله من طورسيناواشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران،قال كثير من العلماء واللفظ لمحمد بن قتيبة ليس بهذا خفاء على من تدبر ولا غموض لان مجيء الله من طورسينا انزاله التوراة على موسى من طورسينا كالذى هو عند اهل الكتاب وعندنا وكذلك يجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله الانجيل

بالبلد الامين وهى مكة والبلد الذي اسكن ابراهيم ابنه اسمعيل وامه وهو الذي جعله الله حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم وجعله آمناً خلقاً وامراً قدراً وشرعاً فان ابراهيم حرمه ودعا لأهله فقال (ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وقال تعالى (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود واذا قال ابراهم رب اجعل هذا بلداً آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلاً ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير فاخبر الله تعالى ان ابراهيم دعى الله بان يجعل مكة بلداً آمنا واستجاب الله دعاء ابراهيم وبها بنى ابراهيم البيت كما قال تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم)وقد استجاب الله دعاء ابراهيم فبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة وذكر ذلك في غير موضع قال تعالى (ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) وقال

هذا بالتوراة على الترتيب الزماني فذكر انزال التوراة ثم الأنجيل ثم القرآن وهذه الكتب نور الله وهداه وقال في الأول جاء أو ظهر وفي الثاني أشرق وفى الثالث استعلن وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر أو ماهو أظهر من ذلك ونزول الانجيل مثل اشراق الشمس ازداد به النور والهدى . واما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء ولهذا قال واستعلن من جبال فاران فان النبي صلى الله عليه وسلم ظهر به نور الله وهداه في مشرق الارض ومغربها اعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس اذا استعلنت في مشارق الأرض ومغاربها ولهذا سماه الله سراجاً منيراً وسمى الشمس سراجاً وهاجاً والخلق محتاجون الى السراج المنير اعظم من حاجتهم الى السراج الوهاج فان الوهاج يحتاجون اليه فى وقت دون وقت بل قد يتضررون به بعض الاوقات واما السراج المنير فيحتاجون اليه كل وقت وفى كل مكان ليلا ونهارا سرا وعلانية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوى لي منها وهذه الاماكن الثلاث أقسم الله بها في القرآن في قوله تعالى (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين أليس الله باحكم الحاكمين) فاقسم بالتين والزيتون وهو الارض المقدسة الذى ينبت فيها ذلك ومنها بعث المسيح وانزل عليه فيها الانجيل واقسم بطورسينا وهو الجبل الذى كلم الله فيه موسى وناداه من واديه الايمن في البقعة المباركة من الشجرة واقسم

بطورسينا ثم بمكة لان أشرف الكتب الثلاثة القرآن ثم التوراة ثم الانجيل وكذلك الانبياء فاقسم بها على وجه التدريج كما في قوله والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امراً فاقسم بطبقات المخلوقات طبقة بعد طبقة فاقسم بالرياح الذاريات ثم بالسحاب الحاملات للمطر فانها فوق الرياح ثم بالجاريات يسراً وقد قيل انها السفن ولكن الانسب ان تكون هي الكواكب المذكورة في قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فسماها جواري كما سمى الفلك جوارى في قوله ومن آياته الجوارى فى البحر كالاعلام والكواكب فوق السحاب ثم قال فالمقسمات أمراً وهى الملائكة التي هى اعلا درجة من هذا كله وما ذكر ابن قتيبة وغيره من علماء المسلمين من تربية اسماعيل فى برية فاران فهكذا هو فى التوراة قال فيها وغدا ابراهيم فاخذ الغلام وأخذ خبزاً و سقاء من ماء ودفعه الى هاجر وحمله عليها وقال لها اذهبي فانطلقت هاجر فضلت في برية سبع ونفد الماء الذي كان معها فطرحت الغلام تحت شجرة وجلست في مقابلته على مقدار رمية سهم لئلا تبصر الغلام حين يموت ورفعت صوتها بالبكاء وسمع الله صوت الغلام فدعا ملك الله هاجر وقال لها مالك يا هاجر لا تخشى فان الله قد سمع صوت الغلام حيث هو فقومى فاحملي الغلام وشدى يديك به فاني جاعله لامة عظيمة وفتح الله عينها فبصرت بئر ماء فسقت الغلام وملئت سقاءها وكان الله مع الغلام فربى وسكن فى برية فاران فهذا خبر الله في التوراة ان اسماعيل ربى وسكن فى برية فاران بعد ان كاد يموت من العطش وان الله سقاه من بئر ماء وقد علم بالتواتر

تعالى (لإيلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وقال تعالى وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون وقال تعالى (أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) وقال تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) وقال تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم مافي السموات والارض وان الله بكل شيء عليم) فقوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين اقسام منه بالامكنة الشريفة المعظمة الثلاثة التي ظهر فيها نوره وهداه وانزل فيها كتبه الثلاثة التوراة والانجيل والقرآن كما ذكر الثلاثة في التوراة بقوله جاء الله من طورسينا وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ولما كان مافي التوراة خبراً عنها اخبر بها على ترتيبها الزماني فقدم الاسبق فالاسبق . واما القرآن فانه اقسم بها تعظيما لشأنها وذلك تعظيم لقدرته سبحانه وآياته وكتبه ورسله فاقسم بها على وجه التدريج درجة بعد درجة فختمها باعلى الدرجات فاقسم اولا بالتين والزيتون ثم

مكة فعلم انها فاران وانه هو وابراهيم بنيا البيت الحرام الذى مازال محجوجا من عهد ابراهيم تحجه العرب وغير العرب من الانبياء وغيرهم كما حج اليه موسى بن عمران ويونس بن متى كما في الصحيح من رواية ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بوادى الازرق بين مكة والمدينة فقال اي واد هذا؟ فقالوا هذا وادى الازرق فقال كاني انظر الى موسى صلى الله عليه وسلم هابطاً من الثنية واضعاً أصبعيه في اذنيه له جوار الى الله عزوجل في التلبية ماراً بهذا الوادى قال ثم سرنا حتى اتينا على ثنية فقال اى ثنية هذه؟ قالوا هو شيء فقال كانى انظر الى يونس على ناقة حمرا عليه جبة صوف خطام ناقته ليف خلبة مارا بهذا الوادى ملبيا * وفي رواية اما موسى فرجل آدم جعد على جمل أحمر مخطوم بخلبة ليف ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم أوجب حجه على كل احد فحجت اليه الامم من مشارق الارض ومغاربها والبئر الذي شرب منها اسماعيل وأمه هي بئر زمزم وحديثها مذكور في صحيح البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقاً ليعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى اعلا المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هنالك ووضع عندها جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفا ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى ليس فيه انس ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله امرك بهذا

واتفاق الامم ان اسماعيل انما ربي بمكة وهو وابوه ابراهيم بنيا البيت فعلم ان ارض مكة من فاران والله تعالى قد اخبر في القرآن في غير موضع بكون اسماعيل كان بمكة فقال عن الخليل واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون وقال تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم وهذه البشارة التي في التوراة لهاجر باسماعيل وقول الله اني جاعله لامة عظمية ومعظمة جداً جداً وان هاجر فتحت عينها فرأت بئر ماء فدنت منها وملأت المزادة وشربت وسقت الصبي وكان الله معها ومع الصبي حتى تربي وكان مسكنه في برية فاران وفي موضع آخر قال عن اسماعيل انه يجعل يده فوق يدى الجميع ومعلوم باتفاق الامم والنقل المتواتر ان اسماعيل تربي بارض

لا يضيع أهله • وكان البيت مرتفعاً من الارض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدا فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماءلعهدنا بهذاالوادى وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذاهم بالماء فرجعوا فاخبروهم بالماء فاقبلوا • قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا ان ننزل عندك فقالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم • قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك أم اسماعيل وهى تحب الانس فنزلوا فارسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه إمرأة منهم وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد فسأل امرأته فقالت خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت بشر نحن في ضيق وشدة فشكت اليه. قال اذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسماعيل كانه انس شيئاً فقال هل جاءكم من أحد ؟ قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فاخبرته وسألني كيف عيشنا فاخبرته أنا في جهد وشدة قال فهل أوصاك بشيء ؟ قالت نعم أمرني ان أقرأ عليك السلام وقال نغير عتبة بابك قال ذاك أبي قد أمرني ان أفارقك الحقي باهلك فطلقها ثم تزوج منهم أخرى فلبث عنهم ما شاء الله ثم أتاهم بعدُ فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا • قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله فقال ماطعامكم

قال نعم قالت اذاً لايضيعنا • وفى لفظ وتبعته ام اسماعيل حتى بلغوا كداء نادته من وراء يا ابراهيم الى من تتركنا ؟ قال الى الله قالت رضيت بالله ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند البيت حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعي بهذه الدعوات فقال رب انى اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم حتي بلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد مافي السقاء وعطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط انطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى من أحد فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه تريد نفسها ثم سمعت فسمعت أيضاً فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوطه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ماتغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم أو قال لولم تغرف من الماء لكان زمزم عيناً معيناً قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لاتخافي الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله

فلو قدر ان البيت الذى بناه لايحج اليه أحد وان ذريته ليس منهم شيء
كما يقوله كفرة أهل الكتاب لم يكن هناك تعظيم مبالغاً فيه بجداً جداً
اذا كثر مافي ذلك ان يكون له ذرية ومجرد كون الرجل له نسل وعقب
لا يعظم به الا اذا كان في الذرية مؤمنون مطيعون لله وكذلك قوله اجعله
لامة عظيمة إن كانت تلك الامة كافرة . لم تكن عظيمة بل كان يكون
ابا لامة كافرة فعلم ان هذه الامة العظيمة كانوا مؤمنين وهؤلاء يحجون
البيت فعلم ان حج البيت مما يحبه الله ويأمر به وليس في أهل الكتاب
الا المسلمون فعلم انهم الذين فعلوا ما يحبه الله ويرضاه وانهم وسلفهم
الذين كانوا يحجون البيت أمة اثنى الله عليها وشرفها وان اسماعيل عظمه
الله جداً جداً بما جعل فى ذريته من الايمان والنبوة وهذا هو كما امتن
الله على نوح وابراهيم بقوله (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى
ذريتهما النبوة والكتاب) وقال في الخليل (وجعلنا في ذريته النبوة
والكتاب ولما قال فى نوح وجعلنا ذريته هم الباقين كان فى ذريته أهل
الايمان كلهم فعلم بذلك ان اسماعيل وذريته معظمون عند الله ممدوحون
وان اسماعيل معظم جداً جداً كما عظم الله نوحا وابراهيم وان كان
ابراهيم أفضل من اسماعيل لكن المقصود ان هذا التعظيم له ولذريته
انما يكون اذا كانت ذريته معظمة على دين حق وهؤلاء يحجون الى
هذا البيت ولا يحج اليه بعد مجيء محمد غيرهم ولهذا لما قال تعالى ومن
يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه قالت اليهود او بعض أهل الكتاب
فنحن مسلمون قال الله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه
سبيلا) فقالوا لانحج فقال (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) وأيضاً

قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه قال فهما لايخلو عنهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه قال فاذا جاء زوجك فاقرئ عليه السلام ومريه ان يثبت عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قال هل أتيكم من أحد؟ قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويقول لك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني ان أمسكك ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يبري نبلاله تحت دوحة قريباً من زمزم فلما رآه قام اليه فصنع كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد ثم قال يا اسماعيل ان الله أمرني بامر قال فاصنع ما أمرك ربك قال وتعينني قال؟ واعينك قال فان الله أمرني ان ابني هاهنا بيتاً واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهمايقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم قال فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وكانت بئر زمزم قد عميت ثم أحياها عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وصارت السقاية في ولده فى العباس وأولاده يسقون منها ويسقون أيضاً الشراب الحلو . والشرب من ذلك سنة والله تعالى قال في اسماعيل انى جاعله لامة عظيمة ومعظمة جداً جداً وهذا التعظيم المؤكد بجداً جداً يقتضى أن يكون تعظيما مبالغاً

البشارة معلوم ان يد بني اسماعيل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن فوق أيدي بني اسحاق بل كان في بني اسحاق النبوة والكتاب وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب فلم يكن لبني اسماعيل فوقهم يد ثم خرجوا منها لما بعث موسى وكانوا مع موسى أعز أهل الارض لم يكن لاحد عليهم يد ثم مع يوشع بعده الى زمن داود وملك سليمان الذى لم يؤت أحد مثله وسلط عليهم بعد ذلك بخت نصر فلم يكن لبني اسماعيل عليهم أمر ثم بعث المسيح وخرب بيت المقدس الخراب الثاني حيث أفسدوا في الارض مرتين ومن حينئذ زال ملكهم وقطعهم الله في الارض امما وكانوا تحت حكم الروم والفرس والقبط ولم يكن للعرب عليهم حكم أكثر من غيرهم فلم يكن لولد اسماعيل سلطان على أحد من الامم لاهل الكتاب ولا الاميين فلم يكن يد ولد اسماعيل فوق الجميع حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الذي دعا به ابراهيم واسماعيل حيث قالا (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) فلما بعث صارت يد ولد اسماعيل فوق الجميع فلم يكن في الارض سلطان أعز من سلطانهم وقهروا فارس والروم وغيرهم من الامم وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين فظهر بذلك تحقيق قوله في التوراة وتكون يده فوق الجميع ويد الكل به وهذا أمر مستمر الى آخر الدهر • فان قيل هذه بشارة بملكه وظهوره . قيل الملك ملكان ملك ليس فيه دعوى نبوة وهذا لم يكن لبني اسماعيل على الجميع وملك صدر عن دعوى نبوة فان كان مدعي النبوة كاذبا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي

فهذا التعظيم المبالغ فيه الذى صار به ولد اسماعيل فوق الناس لم يظهر الا بنبوة محمد فدل ذلك على أنها حق مبشر به ومثل هذا بشارة أخرى بمحمد صلى الله عليه وسلم من كلام شمعون بما رضوه من ترجمتهم وهو جاء الله بالبينات من جبال فاران وامتلأت السموات والارض من تسبيحه وتسبيح أمته فهذا تصريح بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الذى جاء بالنبوة من جبال فاران وامتلأت السموات والارض من تسبيحه وتسبيح أمته ولم يخرج أحد قط وامتلأت السموات والارض من تسبيحه وتسبيح أمته مما يسمى فاران سوى محمد صلى الله عليه وسلم فان المسيح لم يكن بارض فاران البتة *وموسى انما كلم من الطور والطور ليس من أرض فاران وان كانت البرية التي بين الطور وأرض الحجاز من فاران فلم ينزل الله فيها التوراة وبشارات التوراة قد تقدمت بجبل الطور وبشارة الانجيل بجبل ساعير ومثل هذا ما نقل عن نبوة حيقوق انه قال جاء الله من التيمن وظهر القدس على جبال فاران وامتلأت الأرض من تحميد أحمد وملك بيمينه رقاب الامم وأنارت الارض لنوره وحملت خيله في البحر • ومن ذلك ما فى التوراة التي بأيديهم في السفر الاول منها وهى خمسة أسفار فى الفصل التاسع فى قصة هاجر لما فارقت سارة وخاطبها الملك فقال ياهاجر من أين أقبلت والى أين تريدين ؟ فلما شرحت له الحال قال ارجعي فاني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون وها انت تحبلين وتلدين ابناً تسمينه اسماعيل لان الله قد سمع تذللك وخضوعك وولدك يكون وحي الناس ويكون يده فوق الجميع ويد الكل به ويكون مسكنه على تخوم جميع اخوته • قال المستخرجون لهذه

وحده • وفي صحيح البخاري عن انس قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن معه بالمدينة الظهر اربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين ثم بات بها حتى اصبح ثم ركب حتي استوت به راحلته على البيداء حمد الله وسبح وكبر ثم اهل بعمرة وحج وذكر الحديث وعن ابى هريرة ان رجلا قال يا رسول الله انى اريد ان اسافر فاوصني قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف فاما ان ولى الرجل قال اللهم اطوله البعد وهون عليه السفر رواه الامام احمد والترمذي والنسائى وروى ابن ماجة منه أوصيك بتقوى الله والتكبير على كل شرف وروى ابو داود وغيره باسناد صحيح عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وجيوشه اذا علوا شرفا كبروا واذا هبطوا سبحوا وهم يكبرون الله باصوات عالية مرتفعة فى أعيادهم عيد الفطر وعيد النحر في الصلاة والخطبة وفى ذهابهم الى موضع الصلاة وفي ايام منى الحجاج وسائر اهل الامصار يكبرون عقيب الصلوات فامام الصلاة يسن له الجهر بالتكبير • وذكر البخاري عن عمر بن الخطاب انه كان يكبر في قبة بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون بتكبيره فيسمعهم اهل الاسواق فيكبرون حتي ترتج منى تكبيراً قال وكان ابن عمر وابن عباس يخرجان الى السوق أيام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما ويكبرون على قرابينهم وهديهم وضحاياهم كما كان نبيهم يقول عند الذبح بسم الله والله اكبر ويكبرون اذا رموا الجمار ويكبرون على الصفا والمروة ويكبرون في الطواف عند محاذاة الركن وكل هذا يجهرون فيه بالتكبير غير مايسرونه قال تعالى لما ذكر صوم رمضان الذى يقيمون

الي ولم يوح اليه شيء وهذا من شر الناس وأكذبهم وأظلمهم وأفجرهم وملكه شر من ملك الظالم الذي لم يدع نبوة كبخت نصر وسنجاريب ومعلوم ان الاخبار بهذا لايكون بشارة ولا تفرح ساره وابراهيم بهذا كما لو قيل يكون جبارا طاغياً يقهر الناس على طاعته ويقتلهم ويسبي حريمهم ويأخذ أموالهم بالباطل فان الاخبار بهذا لايكون بشارة ولا بشر المخبر بذلك وانما يكون بشارة تسره اذا كان ذلك يعدل وكان علوه محمودا لا اثم فيه وذلك من مدعي النبوة لا يكون الا وهو صادق لا كاذب

(فصل)وقال داود في الزبور في قوله سبحوا الله تسبيحاً جديداً وليفرح بالخالق من اصطفي الله لهأمته واعطاهالنصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم بهم من الامم الذين لا يعبدونه وهذه الصفات انما تنطبق على صفات محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فهم الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة في أذانهم للصلوات الخمس وعلى الاماكن العالية كما قال جابر بن عبد الله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا علونا كبرنا واذا هبطنا سبحنا فوضعت الصلاة على ذلك رواه البخاري وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا قفل من الجيوش او السرايا او الحج او العمرة اذا اوفي على ثنية او فدْفد كبر ثلاثاً ثم قال لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب

واتباعهم البلاد وقوله يسبحونه على مضاجعهم بيان لنعت المؤمنين الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم ويصلي الفرض أحدهم قائماً فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى جنب فلا يتركون ذكر الله في حال بل يذكرونه حتى في هـذه الحال ويصلون فى البيوت على المضاجع بخلاف اهل الكتاب والصلاة أعظم التسبيح كما فيقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمـد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون)وقوله فسبح بحمد ربك قبـل طلوع الشمس وقبل غروبها وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى وهـذا معنى قول داود سبحوا الله تسابيحا جديداً يعني التسابيح التي شرعهـا الله جديداً كالصلوات الخمس التي شرعها للمسلمين جديدا ولما اقامها جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم قال هذا وقتك ووقت الانبياء قبلك فكان الانبياء يسبحون في هذه الاوقات وذلك هو التسبيح المتقدم والتسبيح الجديد للمسلمين كما يدل عليه سائر الـكلام ولا يمكن ان يكون ذلك للنصارى لانهم لا يكبرون الله باصوات مرتفعة ولا بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم الله بهم من الامم بل اخبارهم تدل على انهم كانوا مغلوبين مع الامم ولم يكونوا يجاهدونهم بالسيف بل النصارى قد تعيب من يقاتل الـكفار بالسيف ٠ومنهم من يجعل هذامن معايب محمد صلى الله عليه

له عيد الفطر قال تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهدا كم ولعلكم تشكرون وقال لما ذكر الهدى الذي يقرب في عيد النحر وهو يوم الحج الاكبر قال (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا أوجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهديكم وبشر المحسنين) والنصارى يسمون عيد المسلمين عيد الله الاكبر لظهور التكبير فيه وليس هذا لاحد من الامم لا اهل الكتاب ولا غيرهم غير المسلمين وانما كان موسي يجمع بني اسرائيل بالبوق والنصارى شعارهم الناقوس واما تكبير الله بأصوات مرتفعة فانما هو شعار المسلمين فان الاذان شعار المسلمين وبهذا يظهر تقصير من فسر ذلك بتلبية الحجاج وفي الصحيحين عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا غزا أقواماً لم يغز حتى يصبح فان سمع اذاناً امسك وان لم يسمع اذانا اغار بعد مايصبح وفي لفظ مسلم كان يغير اذا طلع الفجر وكان يستمع الاذان فان سمع اذانا أمسك والا اغار فسمع رجلا يقول الله اكبر الله اكبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفطرة ثم قال أشهد ان لا اله إلا الله فقال خرجت من النار وعن عصام المزني قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث السرية يقول اذا رأيتم مسجداً أو سمعتم منادياً فلا تقتلوا أحداً رواه احمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة وكذلك قوله بايديهم سيوف ذات شفرتين وهي السيوف العربية التي بها فتح الصحابة

الله عليه وسلم في التوراة فقال انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن وذكر صفته موجودة فى نبوة أشعياء وليست موجودة في نفس كتاب موسى وتقدم ان لفظ التوراة يقصدون به جنس الكتب التي عند أهل الكتاب وكذلك ما يوجد كثيراً من قول كعب الاحبار وغيرهم ممن ينقل عن اهل الكتاب قرأت فى التوراة انما يريدون به جنس الكتاب الذى عند اهل الكتاب لايخصون بذلك كتاب موسى واذا كان هذا معروفا عندهم وقد خوطبوا بهذه اللغة فان قوله تعالى فى القرآن يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يراد بالتوراة جنس الكتب التي عند اهل الكتاب فيتناول ذلك كتاب موسى وزبور داود وصحف سائر الانبياء سوى الانجيل فانه ليس عند اهل الكتاب وانما هوعند النصارى خاصة واما سائر كتب الانبياء فالامتان يقران بها ويؤيد ذلك ان الله كثيرا مايقرن فى القرآن بين التوراة والانجيل وانما يذكر الزبور مفردا كقول تعالى (الم الله لااله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان)وقوله (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن) وقوله تعالى (الذين يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل واهل الكتاب يجدونه مكتوباً في الكتب التي بأيديهم وهو فى كثير منها اصرح مما هو فى كتاب موسى خاصة فاذا اريد بالتوراة جنس الكتب فلا يستريب عاقل فى كثرة ذكره ونعته ونعت امته في تلك الكتب ومعلوم

وسلم وامته ويغفلون عما عندهم من ان الله أمر موسى بقتال الكفار فقاتلهم بنوا اسرائيل بامره وقاتلهم يوشع وداود وغيرهما من الانبياء وابراهيم الخليل قاتل لدفع الظلم عن أصحابه

(فصل) قالوا وقال داود في مزاميره وهي الزبور من اجل هذا بارك الله عليك الى الابد فتقلد ايها الجبار بالسيف لان البهاء لوجهك والحمد الغالب عليك اركب كلمة الحق وسمة التأله فان ناموسك وشرائعك مقرونة لهيبة يمينك وسهامك مسنونة والامم يخرون تحتك • قالوا فليس متقلد السيف من الانبياء بعد داود سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذى خرت الامم تحته وقرنت شرائعه بالهيبة كما قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وقد أخبر داود ان له ناموساً وشرائع وخاطبه بلفظ الجبار اشارة الى قوته وقهره لاعداء الله بخلاف المستضعف المقهور وهو صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ونبي الملحمة وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين بخلاف من كان ذليلا للطائفتين من النصارى المقهورين مع الكفار أو كان عزيزاً على المؤمنين من اليهود لمن كان مستكبراً كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً

(فصل) قالوا وقال داود في مزمور له ان ربنا عظيم محمود جداً وفي ترجمة إلهنا قدوس ومحمد قد عم الارض كلها فرحاً قالوا فقد نص داود على اسم محمد وبلده وسماها قرية الله وأخبر ان كلمته تعم الارض كلها قلت قد تقدم الحديث الصحيح لما قيل لعبد الله بن عمرو وروى انه عبد الله بن سلام في غير البخاري أخبرنا ببعض صفة رسول الله صلى

(ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس) وقال تعالى ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن) واذا كان لفظ التوراة يتناول الكتب التي عند أهل الكتاب جميعاً والزبور وغيره داخل فى هذا الاسم كان ظهور اسمه ونعته فى التوراة ووجودهم ذلك فيما عندهم وتكرره فى غاية القوة وكان معرفتهم لذلك كما يعرفون ابناءهم واضحاً بيناً وان قدر ان هذه الكتب التي يعترف بها عامتهم لم يكتم منها شيء بل هى باقية كما كانت

(فصل) وقالوا قال داود في مزموره لترتاح البوادى وقراها ولتصر أرض قيذار مروجاً وليسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ويذيعوا تسابيحه فى الجزائر قالوا فامن البوادى من الامم سوى أمة محمد ومن قيذار سوى ابن اسماعيل جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سكان الكهوف وتلك الجبال سوى العرب

(فصل) قالوا وقال داود فى مزمور له ويجوز من البحر الى البحر ومن لدن الانهار الى منقطع الارض ويخر أهل الجزائر بين يديه ويلحس أعداؤه التراب ويسجد له ملوك الفرس وتدين له الامم بالطاعة والانقياد ويخلص البائس المضطهد ممن هو اقوى منه وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ويرأف بالمساكين والضعفاء ويصلي عليه ويبارك في كل حين وهذه الصفات منطبقة على محمد وأمته لا على المسيح فان

ان الله اراد بذلك الاستشهاد بوجوده فى تلك الكتب واقامة الحجة بذكره فيها فاذا كان ذكره في غير كتاب موسى أكبر واظهر عندهم كان الاستدلال بذلك أولى من تخصيص الاستدلال بكتاب موسى فاذا حمل لفظ التوراة في هذا على جنس الكتب كما هو موجود في لغة من تكلم بذلك من الصحابة والتابعين كان هـذا فى غاية البيان والمدح للقرآن والكتب المتقدمة وتصديق بعضها بعضاً وقد أمرنا ان نؤمن بما أوتى النبيون مطلقاً كما قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وقال ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) والزبور ذكره مفرداً فى موضعين من القرآن فى قوله (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) وقال تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا) فذكره مفرداً وذكر كتاب موسى بهذه الاضافة لا بلفظ التوراة في غير موضع فقال (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منـه ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده) وقال قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لايهدي القوم الظالمين) الى قوله

(فصل) ومما ينبغي ان يعرف ان الكتب المتقدمة بشرت بالمسيح كما بشرت بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذلك انذرت بالمسيح الدجال والامم الثلاثة المسلمون واليهود والنصاري متفقون على ان الانبياء انذرت بالمسيح الدجال وحذرت منه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح مامن نبي الا وقد انذر امته المسيح الدجال حتى نوح انذر أمته وساقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لامته انه أعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ف ر يقرأه كل مؤمن قاريء وغيرقاريء والامم الثلاثة متفقون على ان الانبياء بشروا بمسيح من ولد داود فالامم الثلاثة متفقون على الاخبار بمسيح هُدى من نسل داود ومسيح ضلالة وهم متفقون على ان مسيح الضلالة لم يأت بعد وسيأتى ومتفقون على ان مسيح الهدى سيأتى ثم المسلمون واليهود والنصارى متفقون على ان مسيح الهدى هو عيسى بن مريم واليهود ينكرون ان يكون هو عيسى بن مريم مع اقرارهم بانه من ولد داود قالوا لان المسيح المبشر به تؤمن به الامم كلها وزعموا ان المسيح بن مريم انما بعث بدين النصارى وهو دين ظاهر البطلان وهذا اذا خرج المسيح الدجال اتبعوه فيخرج معه سبعون الف مطياس من يهود اصبهان ويسلط المسلمون على اليهود فيقتلونهم حتى يقول الحجر والشجر يامسلم هذا يهودي ورائي تعالَ فاقتله كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح والنصارى تقربان المسيح مسيح الهدى بعث ويقرون بانه سيأتى مرة ثانية لكن يزعمون ان هذا الاتيان الثانى هو يوم القيامة ليجزي الناس باعمالهم وهو فى زعمهم هو الله والله الذى هو اللاهوت

محمداً جاز من البحر الرومي الى البحر الفارسي ومن لدن الانهار كسيحون وجيحون الى منقطع الارض بالمغرب كما قال زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي مازوى لي منها. وهو يصلي عليه ويبارك في كل حين في كل صلاة من الصلوات الخمس وغيرها يقول كل من امته اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد فيصلي عليه ويبارك وقد خرت اهل الجزائر بين يديه اهل جزيرة العرب وأهل الجزيرة التي بين الفرات ودجلة وأهل جزيرة قبرص واهل جزائر الاندلس وخضعت له ملوك الفرس فلم يبق منهم إلا من اسلم أو ادى الجزية عن يد وهم صاغرون بخلاف ملوك الروم فان فيهم من لم يسلم ويؤد الجزية فلهذا خص ملوك فارس ودانت له الامم فعامة الامم التي تعرفه وتعرف امته كانت اما مؤمنة به أو مسالمة له منافقة أو مهادنة له مصالحة أو خائفة منهم وانقذ الضعفاء من الجبارين وهذا بخلاف المسيح فانه لم يتمكن هذا التمكن في حياته ولا من اتبعه بعد موته تمكنوا هذا التمكن ولا جازوا ماذكر ولا صلي عليه وبورك عليه في اليوم والليلة فان النصارى يدّعون إلهية المسيح فلا يصلون عليه وانما يصلون له

(فصل) وقالوا في نبوة اشعياء قال اشعياء فقيل لي قم نظاراً فانظر ماذا ترى فقلت ارى راكبين مقبلين احدهما على حمار والآخر على جمل يقول احدهما لصاحبه سقطت بابل واصنامها للمنخر قالوا فراكب الحمار هو المسيح وراكب الجمل هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو اشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار وبمحمد صلى الله عليه وسلم سقطت بابل

الصحيح ان اولى الناس بابن مريم لانا انه ليس بيني وبينه نبي وروى كيف تهلك أمة انا في أولها وعيسى في آخرها وهـذا مما يظهر به مناسبة اقترانهما فيما رواه اشعياء حيث قال راكب الحمار وراكب الجمل

(فصل) قالوا وقال اشعياء النبي عليه السلام مثنياً على مكة شرفها الله ارفعي الى ماحولك بصرك فستبتهجين وتفرحين من أجـل ان الله يصير اليك ذخائر البحرين وتحج اليك عساكر الامم حتى يعم بك قطر الابل الموبلة وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع اليـك وتساق اليك كباش مدين ويأتيك أهل سبا ويسير اليك أغنام فاران ويخدمك رجال مأرب يريد سدنة الكعبة وهم أولاد مارب بن اسماعيل . قالوا فهذه الصفات كلها حصلت بمكة فحملت اليها ذخائر البحرين وحج اليها عساكر الامم وسيقت اليها أغنام فاران الهدايا والاضاحي وفاران هي البرية الواسعة التي فيها مكة وضاقت الارض عن قطرات الابل الموبلة الحاملة للناس وازوادهم اليها واتاها أهل سبا وهم أهل اليمن

(فصل) قالوا وقال اشعياء النبي صلى الله عليه وسلم معلناً باسم رسول الله صلى الله عليه وسـلم اني جعلت أمرك محمداً يامحمد ياقدوس الرب اسمك موجود من الابد . قالوا فهل بقي بعد ذلك لزائغ مقال او لطاعن مجال وقول أشعياء ان اسم محمد موجود من الابد موافق لقول داود الذي حكيناه ان اسمه موجود قبـل الشمس وقوله ياقدوس الرب يعني يامن طهره الرب وخلصه من شوائب بشريته واصطفاه لنفسه

(فصل) قالوا وقال اشعياء وشهد لهذه الامة بالصلاح والديانة سأرفع علماً لاهل الارض بعيداً فيصفر لهم من أقاصي الارض فيأتون سراعا

يأتي في ناسوته كما زعموا انه جاءقبل ذلك • واما المسلمون فآمنوا بما أخبرت به الانبياء على وجهه وهو موافق لما اخبر به خاتم الرسل حيث قال فى الحديث الصحيح يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا واماماً مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وأخبر في الحديث الصحيح انه اذا خرج مسيح الضلالة الاعور الكذاب نزل عيسى بن مريم على المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهروذتين واضعاً يديه على منكبي ملكين فاذا رآه الدجال انماع كما ينماع الملح فى الماء فيدركه فيقتله بالحربة عندباب لد الشرقي على بضع عشرة خطوة منه وهذا تفسير قوله تعالى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) اى يؤمن بالمسيح قبل ان يموت حين نزوله الى الارض وحينئذ لايبقى يهودى ولا نصرانى ولا يبقى دين الا دين الاسلام وهذا موجود فى نعته عند اهل الكتاب ولكن النصارى ظنوا ان ذلك مجيئه بعد قيام القيامة وانه هو الله فغلطوا في ذلك كما غلطوا في مجيئه الاول حيث ظنوا انه هو الله • واليهود انكروا مجيئه الاول وظنوا ان الذى بشر به ليس هو اياه وليس هو الذى يأتي آخراً وصاروا ينتظرون غيره وانما هو بعث اليهم أولاً فكذبوه وسيأتيهم ثانياً فيؤمن به كل من على وجه الارض من يهودى ونصرانى الا من قتل أو مات ويظهر كذب هؤلاء الذين كذبوه ورموا امه بالفرية وقالوا انه ولد زنا وهؤلاء الذين غلوا فيه وقالوا انه الله ولما كان المسيح عليه السلام نازلا في أمة محمد صلى الله عليه وسلم صار بينه وبين محمد من الاتصال ماليس بينه وبين غير محمد ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث

لسليمان ولا للمسيح وقد وصفه بالجلوس على كرسي داود يعني انه سيرث بني اسرائيل نبوتهم وملكهم ويبتزهم رياستهم

(فصل) قالوا وقال اشعياء في وصف أمة محمد صلى الله عليه وسلم ستمتلئ البادية والمدن من اولاد قيذار يسبحون ومن رؤس الجبال ينادون هم الذين يجعلون لله الكرامة ويسبحونه في البر والبحر . قلت وقيذار هو ابن اسماعيل باتفاق الناس وربيعة ومضر من ولده ومحمد صلى الله عليه وسلم من مضر وهذا الامتلاء والتسبيح في البر والبحر لم يحصل لهم الا بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم والتسبيح الصلوات الخمس وقد جعلت لهم الارض مسجداً وطهوراً فهم يصلون الخمس في البر والبحر

(فصل) قالوا وقال اشعياء والمراد مكة انا رسمتك على كفي وسيأتيك اولادك سراعا ويخرج عنك من اراد ان يخيفك ويخربك فارفعي بصرك الى ماحولك فانهم سيأتونك ويجتمعون اليك فتسمي باسمي انى انا الحي لتلبسي الحلل وتزيني بالاكاليل مثل العروس ولتضيقن خراباتك من كثرة سكانك والداعيين فيك وليهابن كل من يناويك وليكثرن اولادك حتى يقول من رزق هؤلاء كلهم وانا وحيدة فريدة يرون رقوب فمن ربى لي هؤلاء ومن تكفل لي بهم؟ قالوا وذلك ايضاح من اشعياء بشأن الكعبة فهي التي البسها الله الحلل الديباج الفاخرة ووكل بخدمتها الخلفاء والملوك ومكة هي التي بارك الله لها الاولاد من حجاجها والقاطنين بها قلت . وذلك ان مكة هي التي أخرج عنها كل من اراد ان يخيفها ويخربها فلم تزل عزيزة مكرمة محرمة لم يهنها احد من البشر قط بل اصحاب الفيل

والنداء هو ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم من التلبية في الحج وهم الذين جعلوا لله الكرامة فوحدوه وعبدوه وأفردوه بالربوبية وكسروا الاصنام وعطلوا الاوثان والعلم المرفوع هو النبوة وصفيره دعاؤهم الى بيته ومشاعره فيأتونه سامعين مطيعين

(فصل) قالوا وقال اشعياء النبي والمراد مكة شرفها الله تعالى سيري واهتزي ايتها العاقر التي لم تلدي وانطقي بالتسبيح وافرحي اذ لم تحبلي فان أهلك يكونون اكثر من أهلي يعني باهله بيت المقدس ويعني بالعاقر مكة شرفها الله لانها لم تلد قبل نبينا عليه السلام ولا يجوز ان يريد بالعاقر بيت المقدس لانه بيت الانبياء ومعدن الوحي فلم تزل تلك البقعة ولادة

(فصل) قالوا وقال اشعياء النبي ونص على خاتم النبوة ولد لنا غلام يكون عجباً وبشراً والشامة على كتفيه اركون السلام اله جبار وسلطانه سلطان السلام وهو ابن عامله يجلس على كرسي داود. قالوا الاركون هو العظيم بلغة الانجيل والاراكنة المعظمون ولما أبرأ المسيح مجنوناً من جنونه قال اليهود ان هذا لايخرج الشياطين من الادميين الا باركون الشياطين يعنون عظيمهم وقال المسيح في الانجيل ان اركون هذا العالم يدان يريد اما ابليس او الشرير العظيم الشر من الادميين وسماه آلهاً على نحو قول التوراة ان الله جعل موسى آلهاً لفرعون اي حاكما عليه ومتصرفا فيه وعلى نحو قول داود للعظماء من قومه انكم آلهة فقد شهد اشعيا بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه باخص علاماته واوضحها وهي شامته فلعمري لم تكن الشامة

الروابي وتزعزعت ستور أهل مدين ولقد حاز المساعي القديمة ثم قال زجرك في الانهار واختدام صوامك في البحار ركبت الخيول وعلوق مراكب الايقاد وسينزع في قسيك اعراقاً ونزعا وترتوي السهام بأمرك يامحمد ارتواء ولقد رأتك الجبال فارتاعت وانحرف عنك شؤبوب السيل وتعبرت المهاوي تعبرا ورعبا رفعت ايديها وجلاً وخوفا وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان تباويك تدوخ الارض غضباً وتدوس الامم زجراً لانك ظهرت بخلاص امتك وانقاذ تراث ابائك • قالوا وهذا تصريح بمحمد ومن رام صرف نبوة حيقوق هذه عن محمد صلي الله عليه وسلم فقد رام ستر النهار وحبس الانهار واني يقدر على ذلك. وقد سماه باسمه مرتين واخبر بقوة امته وسير المنايا امامهم واتباع جوارح الطير اثارهم وهذه النبوة لا تليق إلا بمحمد ولا تصلح الا له ولا تدل الا عليه فمن حاول صرفها عنه فقد حاول ممتنعاً . قلت وقد ذكر فيها مجيء نور الله من التيمن وهي ناحية مكة والحجاز فان انبياء بني اسرائيل كانوا يكونون من ناحية الشام ومحمد صلي الله عليه وسلم جاء من ناحية اليمن وجبال فاران هي جبال مكة كما قد تقدم بيان ذلك وهذا مما لا يمكن النزاع فيه واما امتلاء السماء من بهاء احمد فانوار الايمان والقرآن التي ظهرت منه ومن امته وامتلاء الارض من حمده وحمد امته في صلواتهم فأمر ظاهر فان امته هم الحمادون لابد لهم من حمد الله في كل صلاة وكل خطبة ولا بد لكل مصل في كل ركعة من ان يقول الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فاذا قال الحمد لله رب العالمين

لما قصدوها عذبهم الله العذاب المشهور ولم تزل عامرة محجوجة من لدن ابراهيم الخليل بخلاف بيت المقدس فانه قد أخرب مرة بعد مرة وخلا من السكان واستولى العدو عليه وعلى أهله وكذلك أخباره باهانة كل من يناويها هو للكعبة دون بيت المقدس كما قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) • والحجاج بن يوسف كان معظماً للكعبة لم يرمها بمنجنيق وانما قصد ابن الزبير خاصة واما كثرة أولادها وهم الذين يحجون اليها أو يستقبلونها في صلاتهم فهم اضعاف اضعاف اولاد بيت المقدس

(فصل) قالوا وقال اشعيا حاكياً عن الله تعالى اشكر حبيبي وابني احمد فسماه الله حبيباً وسماه ابنا وداود ابنا غير ان الله خصه عليهم بمزية فقال حبيبي ابني اشكره فتعبد اشعيا لشكر محمد ووصف عليه وعلى قومه شكره واجلاله ليتبين قدره ومنزلته عنده وتلك منزلة لم يؤتها غيره من الرسل وقال اشعيا انما سمعنا من أطراف الارض صوت محمد وهذا افصاح من اشعيا باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فايرنا اهل الكتاب نبياً نصت الانبياء على اسمه صريحاً سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فصل) قالوا وقال حيقوق وسمى محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين في نبوته ان الله جاء من التيمن والقدوس من جبال فاران لقد أضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الارض من حمده شعاع منظره مثل النور يحوط بلاده بعزه تسير المنايا أمامه وتصحب سباع الطير أجناده قام فسيح الارض فتضعضعت له الجبال القديمة وانخفضت

وقال تنزل الملائكة على خيل بيض وهذا مما تواترت به الآثار ان الملائكة كانت تنزل على الخيل البيض فانها نزلت يوم بدر لنصر النبي صلى الله عليه وسلم وامته ونزلت يوم الاحزاب واحاطت ببنى قريظة

تم الجزء الثالث بحمد الله وحسن معونته
و يليه الجزء الرابع أوله فصل وقال دانيال
عليه السلام

قال الله حمدني عبدي فاذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى على عبدي فاذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي فهم يفتتحون القيام في الصلاة بالتحميد ويختمونها بالتحميد واذا رفعوا رؤسهم من الركوع يقول امامهم سمع الله لمن حمده ويقولون جميعاً ربنا ولك الحمد ويختمون صلاتهم بتحميده بجمل التحيات له والصلوات والطيبات وانواع تحميدهم فيه والثناء عليه مما يطول وصفه

(فصل) قالوا وقال دانيال وهو يهدد اليهود ويصف لهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وان الله يظهرهم عليكم وباعث فيهم نبيا ومنزل عليهم كتاباً ومملكهم رقابكم يقهرونكم ويذلونكم بالحق ويخرج رجال قيذار في جماعات الشعوب معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين فيحيطون بكم وتكون عاقبتكم الى النار نعوذ بالله من النار . قلت وذلك ان رجال بني قيذار هم ربيعة ومضر ابناء عدنان وهما جميعاً من ولد قيذار بن اسماعيل والعرب كلهم من بني عدنان وبنى قحطان فعدنان أبو ربيعة ومضر وانمار من ولد اسماعيل باتفاق الناس وأما قحطان فقيل هم من ولد اسماعيل وقيل هم من ولد هود ومضر ولده الياس ابن مضر والياس بن مضر وقريش هم من ولد الياس بن مضر وهوازن مثل عقيل وكلاب وسعد بن بكر وبنو نمير وثقيف وغيرهم هم من ولد الياس بن مضر وهولاء انتشروا في الارض فاستولوا على أرض الشام والجزيرة ومصر والعراق وغيرها حتى انهم لما سكنوا الجزيرة بين الفرات ودجلة سكنت مضر فى حران وما قرب منها فسميت ديار مضر وسكنت ربيعة في الموصل وما قرب منها فسميت ديار ربيعة

صحيفه

٨٣ فصل قال سعيد بن البطريق ومثل ان كلمة الانسان المولودة الخ وهو يتضمن ردتمثيل حلوله في عيسي بالكلمة الموجودة في العقل تكتب في القرطاس من غير ان تفارق العقل الذي منه ولدت ولا يفارقها العقل وبيان فساد تمثيلهم من وجوه

٩٧ فصل قال سعيد بن البطريق وليس حلول كلمة الله الخالق الخ وهو يتضمن الجواب عن قولهم ليس حلول كلمة الله الخالقة والتحامها بجوهر الناسوت عن انتقال ولا تغير ولا استحالة فلا الالهي احتال ان يكون الهاً ولا الناسوتي احتال ان يكون انساناً مخلوقاً والاحتيال والتغير انما يلزم الخلطة اذا كانت من خلقين ثقيلين غليظين الخ وهو مبحث طويل يشتمل على جملة مواضيع مختلفة منها الرد على قولهم صلب ومات مع قولهم بالالوهية الى غير ذلك من المناقضات

١١٦ فصل وهذا الذي قد ذكره هذا البترك سعيد بن البطريق الخ وهو يتضمن آراء الناس في ابن البطريق الذي تعصب للنصارى ونصب نفسه لنصرتهم وان بعضهم ينكر عليه ويخالفه في اعتقاده ويكذبه وبعضهم يستحسن آراءه وفيه مباحث شتى ذكر فيها أول ملك أظهر دين المسيح وغير ذلك

١١٩ فصل وقد حصل بما ذكرنا الجواب عن قولهم الخ وهو يتضمن رد مذهبهم من حلول اللاهوت بالناسوت باوضح مما تقدم ومعارضته بما لا يبقى لهم شبهة في ابطال مذهبهم ويذكر لوازم اللاهوتية ولوازم الناسوتية ويرد قولهم ان هذا أمر فوق

﴿ فهرست الجزء الثالث من الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ﴾

صحيفه

صحيفه

ففيه مباحث علمية فى مواضع مختلفة وكلها تنتج أخيراً ابطال
دعاوى للنصارى في تمسكاتهم بأى وجه من أوجه الاستدلال

٢١٥ فصل ثم قالوا انا نعجب من هؤلآء القوم وما يأخذون به
أنفسهم من الفضل كيف لم يعلموا ان الشرائع شريعتان شريعة
عدل وشريعة فضل الخ وهو يتضمن رد قولهم ان التشريع قد
انتهى بالمسيح لان الله شرع أولا بموسى شريعة العدل والشدة
وختم بالفضل بتشريع عيسى حيث أرسله بالفضل المطلق
والسهولة والخير الكامل وحاصل الرد ان الشرائع ثلاثة شريعة
فضل وشريعة عدل وشريعة كاملة تجمعهما وهى شريعة القرآن
والادلة على ذلك

٢٤٣ فصل وجميع ما احتجوا به من التوراة والانجيل وغيرهما من
كلام الانبياء عليهم السلام الخ وهو يشتمل على بيان ان
حججهم عليهم لالهم حيث لم يقيموا دليلا على نبوة من
استدلوا بكلامه

٢٤٥ فصل قد ذكرنا في جواب اول كتابهم بيان امتناع احتجاجهم
بشيء من كلام محمد عليه السلام وهو يشتمل على توضيح ابطال
حججهم عقلاً وشرعاً والبرهان على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بجميع ما في الكتب السماوية وبيان انه لا يصح الاستدلال
بكلام أحد من الانبياء الا بعد تصديق محمد وهو مقام ينبغى
الاطلاع عليه لكل أحد

صحيفه

العقول بذكر لوازم تقنعهم ومباحث مهمة في هذا الموضع ينبغي استقصاؤها

١٣٠ فصل قال الحاكي عنهم فقلت لهم انهم يقولون انا اذا كان اعتقادكم في الباري انه واحد الخ وهو يحتوى على صورة مناظرة بين مسلم ونصراني يقول المسلم لم تقولون ما ظاهره يخالف اعتقادكم من انه واحد وانتم تقولون أب وابن وروح قدس فيقول النصراني ولم تقولون ان له يداً وعيناً ووجهاً وساقاً مما يخالف اعتقادكم وتمتد بينهم المجادلة الى ان تنتهى باسكات النصرانى وفيه يذكر بعض مذاهب للمسلمين مردودة وتأويل آيات ظاهرها غير مراد وفيه مباحث فلسفية يرتاح الضمير لسماعها ومسائل متعلقة بعلم التوحيد والتكلم على الصفات ومعناها وهو موضوع طويل ومبحث نفيس

١٩١ فصل قال الحاكي عنهم فقلت فانهم ينكرون علينا فى قولنا ان الله تعالى جوهر الخ وهو يتضمن استغراب النصارى من عدم موافقة الاسلام لهم فى انه جوهر وبيان مذهب الاسلام فى معنى الجوهر وتقسيمه وهل ان الصفات جواهر أو اعراض وهل هو غير الصفات أو عينها وما يتعلق بكل منها وبيان الحق من هذه الاقوال وفيه تحقيق معنى الوحي والكلام الذى جاءت به الرسل وفيه تقسيم الموجودات الى جوهر واعراض هي مجموع المقولات التسع وآراء لبعض الفلاسفة في واجب الوجود وبالجملة

صحيفه

صحيفه